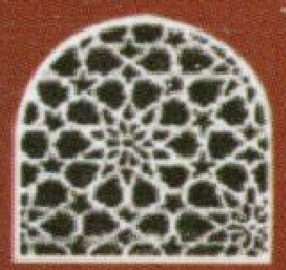


جمعية دراسات المرأة والحضارة
من سلسلة دراسات المرأة المسلمة المعاصرة "٥"

أم الأطباء المصريين

الدكتورة زهيرة عابدين

شهادة وفاء وعرفان



مجلد تذكارى

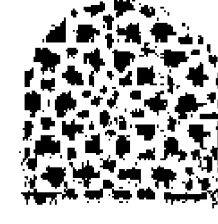
جمعية أصدقاء الأطفال
مرضى روماتيزم القلب
١٩٥٧ - ٢٠٠٧

حول المؤسِّس والمؤسَّسة

الجزء الأول

إعداد وتحرير
د. منى أبو الفضل
أستاذ العلوم السياسية
كرسى زهيرة عابدين لدراسات المرأة

أم الأطباء المصريين
الدكتورة زهيرة عابدين
شهادة وفاء وعرفان


جمعية دراسات المرأة والحضارة

من سلسلة دراسات المرأة المسلمة المعاصرة "5"

كتاب تذكاري

جمعية أصدقاء الأطفال مرضى روماتيزم القلب

2007-1957

حول المؤســـس والمؤسَّســـة

الجزء الأول

أم الأطباء الدكتورة زهيرة عابديـــــن

شـــهـــادة وفاء وعـــرفـــان

إعداد وتحرير

د. منى أبو الفضل

أستاذ العلوم السياسية

كرسي زهيرة عابدين لدراسات المرأة

رئيس جمعية دراسات المرأة والحضارة

جمعية دراسات المرأة والحضارة

القاهرة - 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع فى دار الكتب٢٣٤٩٢ /٢٠٠٧

الطبعة الأولى

موضوعات الكتاب:
المرأة المصرية - المرأة العربية - المرأة المسلمة -
الطب في مصر - الطب في العالم العربي - الطب الاجتماعي - المؤسسات والجمعيات الخيرية
التراجم والسير - العنوان ١ - سلسلة دراسات المرأة المسلمة المعاصرة ٢

طبع بمطابع الطوبجي - القاهرة - جمهورية مصر العربية
سنة ٢٠٠٨



".. ففي المكان نفسه، وعلى الربوة بنت بالحس الحضاري وبالوراثة الحـضارية في البنـاء والإنـشاء، وزراعة العقل كالحقل، وتخضير القلب كتخضير الأرض.. أقامت مصر من خلالها.. خلال الطبيبة الإنـسانة، الدكتورة زهيرة عابدين، هرما آخر، من قلوب، هذه المرة يصعد منها، الى الله الكلم الطيب والعمل الـصالح يرفعه على هدي من سجاياها.. وعلى نور من ضياها، وعلى عرف من أنفاس رياها.. هذه الدار التي أتحدث عنها وقفت وراءها ارادة صممت ونظمت وجمعت القلوب قبل المال، وضمت الى النساء، الرجال.. وشيدت هذا المركز، صرحا، لرائيه يرفعه من الأرض الى الأفق، وينتعه من الوهاد الى إشراق واشراقة القمة..."

صاحبة "شخصية مصر" - د. نعمات احمد فؤاد،

في نعيها لـــ "أم الأطباء" – في جريدة الأهرام ٢٩ مايو ٢٠٠٢

سلسلة دراسات المرأة المسلمة المعاصرة ، وهي تشتمل على العناوين التالية، منها ما قد صدرفعلاً ومنها ما هو قيد الإعداد والنشر: المرأة العربية والمجتمع في قرن: ببليوغرافية تتقدمها دراسة تحليلية شاملة ، المرأة والوقف والتنمية، خطاب المرأة أم خطاب العصر : من أعمال ندوة حول أعمال د. عائشة عبد الرحمـــن — بنت الشاطئ ، فصل الخطاب فيما وراء الحجاب : تأملات وحوارات حول المرأة المسلمة والعولمة على أعتاب قرن جديد ، المرأة والأمة في مطلع قرن جديد : من ارشيف جمعية دراسات المرأة والحضارة حول المرأة المسلمة في العالم ، نحو مطارحات معرفية في مسألة المرأة ، أم الأطباء المصريين زهيرة حافظ عابدين: شهادة وفاء وعرفان



منى محمد عبد المنعم أبو الفضل : من مواليد القاهرة، مصر، ١٩٤٥ والموافق لغُـــرّة ذي الحجـــة لعام ١٣٦٤ . دكتوراه العلوم السياسية، جامعة لندن ، ١٩٧٥ . أستاذ العلوم السياسية، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة. أستاذ بجامعة العلوم الإسلامية والإجتماعية بالولايات المتحدة. أستاذ زائر بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي شاركت في العديد من المؤتمرات العربية والدولية وهي عضو في الجمعيات العلمية المتخصصة في مجالات العلوم السياسية والعلوم الإجتماعية. مؤسس جمعية دراسات المرأة والحضارة، وصاحبة أول كرسي يخصص لدراسات المرأة المسلمة كرسي د. زهيرة حافظ عابدين، ومن هذا الموقع وذاك تقوم بالإشراف على سلسلة من دراسات المرأة المسلمة المعاصرة. تعتبر اول من أصّل للمنظور الحضاري وطرحه كاقتراب منهاجي في دراسة العلوم السياسية، ومن ثم فهي صاحبة مدرسة فكرية مميزة، وتعد كتاباتها تنويعات على معزوفة التجدد الحضاري في حقول فكرية وعلمية مختلفة، تلتقي في مجموعها حول اطروحة محددة قوامها الإستيعاب والتجاوز، نفياً للثنائية بين الأصالة والمعاصرة، او القصام بين العلوم الشرعية والعلوم الإجتماعية، وذلك عبر النموذج المعرفي التوحيدي، والذي تعتبر كذلك من اوائل من طرحه كنموذج بديل في اعادة بناء صرح الأكاديمية المعاصرة . من اهم مؤلفاتها المنشورة بالعربية : الأمــــة القطب: نحو تأصيل لمفهوم الأمــة في الإسلام ، نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي في العلوم السياسية ، نحو منهاجية علمية لتدريس النظم العربيـــــة ، مراجعات في النظرية الإجتماعية المعاصرة، نحو قراءة بديلة في خطاب المرأة والنهضة، مطارحات معرفية في مسألة المرأة

جمعية دراسات المرأة والحضارة جمعية اهلية أشهرت في مارس ١٩٩٩ بموجب قانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ . تقع ضمن ما يصنف بجمعيات التوعية حيث يتركز نشاطها في مجال الفكر والتوعية من خلال إجراء البحوث والدراسات والندوات والأنشطة التدريبية. تمارس الجمعية نشاطها في اطار فلسفة عامة ترتكز بالأساس على المنظور الحضاري في معالجة مشكلات المرأة والمجتمع، وهو منظور ينفتح على التراث عبر تأكيده على الرابطة العضوية عبر الماضي والحاضر، بين القيم والماديات، بين الوحي والعلم. تهدف الجمعية الى إصلاح واقع المرأة وإنصافها إضافة الى حماية الأسرة والبناء الإجتماعي حيث تتبنى الجمعية أطروحة ان المرأة مدخل اساسي من مداخل التغيير والإصلاح الإجتماعي والتنمية. تتشكل الجمعية هيكلياً من فرعين: وحدة البحوث والدراسات والتي تعنى بالمراجعة الفكرية ذات الصبغة الأكاديمية للتراث الخاص بالمرأة، سواء ما يتعلق بالكتابات النسوية الغربية أو العربية، وتحليل النصوص المعاصرة، والوحدة الصحية لطب المجتمع المعنية بجوانب الصحة النفسية والبدنية للمرأة والأسرة على نحو ما أسست له عملياً أم الأطباء المصريين د. زهيرة حافظ عابدين من تقاليد الطب الإجتماعي.

تنبيه: يصدر هذا الكتاب ضمن أعمال مؤتمر يوم القلب العالمي الذي انعقد في القاهرة في سبتمبر ٢٠٠٧ والذي شاركت جمعية اصدقاء مرضى اطفال روماتزم القلب بتنظيمه احتفالاً باليوبيل الذهبي بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيها ، والكتاب يقع ضمن مشروع فاعليات جمعية دراسات المرأة والحضارة ، وجاء اسهاماً منها بهذه المناسبة. وعلى هذا فجمعية دراسات المرأة والحضارة ليست الناشر لهذا الكتاب ، وأي مسؤولية قانونية تقع على المؤلف صاحب حقوق الطبع.

المحتويات

إهداء

إلـــى الـزهـراء... أمـــي

يـا مَـنْ فَـقَـدتُـك لكنْ ما بَرِحَـتِ مَـعِـي
في القلـبِ مَسكَنُـكِ العـالي و مَـثْـوَاكِ

خيـرَ النسـاءِ ، و مَـنْ لا مِثْـلَ يُشـبِهُـمَـا
في العالَـمين سِـوى الزهـراءِ – يَهنـاكِ

قُـربُ النبيِّ وأهـلِ البيـتِ من مُـضَـرٍ
والآلُ والصَّـحـبُ في الفِردَوسِ تَـلقـاكِ

أهـلُ الشَـهـادةِ والصِّـدِّيقُ يـَقـدُمُهُـم
يَـسْـتَقبِـلُونَ غَـداً مِنّـا مُـحَـيَّـاكِ

أمَّ الأطـبـاءِ ، أمَّ البـائِسِـيْنَ و مَـنْ
لو مَـسَّـهُـمْ ضُـرُّهـا فَـرُّوا لِيُـمـنَـاكِ
كأنَّ سـيِّـدَنـا عِـيسـى أعـارَكِـهـا
بإذنِ ربِّـي تَـعـافَـى كُلُّ مَـرضَـاكِ

يا أمَّ رَيحانَةِ الدُنيا وزينتُها
مُنى التي غادَرَتْنا عِنْدَ مَسْراكِ
لم يبقى منها سوى الذِكرى تُؤَرِقُها
تُعَلِّل النفسَ يوماً سوف تلقاكِ

و لم تعُدْ بعْدَكُم مَنْ كُنتُ أعْرفُها
فكلُّ أوقاتِها شُغلٌ بذِكْرَاكِ

يا بِنْتَ أنمُوذَجِ الدُّنيا وقُدْوَتِها
لا تجْزَعي فغداً زَهْراء تلقاكِ

في جَنَّةِ الخُلْدِ لا لَغْوٌ ولا نَصَبٌ
ولا متاعِبَ فيها سَوْفَ تغْشاكِ

كوني لها خلفاً يُحْيي مآثِرَها
يَصُونُ أمْجادَها تَحظَى بذِكراكِ

تلك المآثِرُ مِنْ بعْدِ الرَّحيلِ غَدَتْ
خِلْواً و خاشعةً ترْنوا لِيُمْناكْ

فشَمِّري عن ذِراعِ الجِدِّ واعتَمِري
بالحزْمِ، لا تهِني: فالله يَرْعاكِ

لمَّا دَنا الأجَلُ المحتومُ في خَجَلٍ
وقد تردَّدَ دَهْراً كيفَ يلقاكِ

تنافسَت فيكِ قيعانٌ وأضرحةٌ
كي ما تضُمَّكِ او تحظَى برَيّاكِ

نادى "البقيع" بأعلى الصوت حيَّهلاً
فجاوبته "المُعَلاّ" و هي تهواكِ:

دعها لنا، أمُّها عندي مُكرّمة
خديجةُ المجدِ في شوقٍ للُقياكِ

قالت كِنانةُ مِصرَ: بل لها سَكنٌ
عِندي فمِن تُربتي كانت عَطاياكِ

عندي ستَرقُدُ من قُرْبٍ وعن كَثَبٍ
تلك المآثرَ شادَتْها يَمِيناكِ

عليك رحمةُ ربّي كلّما طَلَعَت
شمسُ النَهارِ تَذَكّرنا سَجاياكِ

ابنك البار المحب، ابن النيل والفرات طه العلواني

فاتحة واستهلال

عاشت حياة ملؤها العطاء والتفاني في الأداء لوجه الله وخير الناس ولصالح الأمة وصلاحها: تعددت وتكاثرت وتنوعت في مسيرتها الأدوار والأطوار قدر تعدد وتنوع الحياة ذاتها في إقبال وإدبار، وقدر قابليات تلك الحياة للبناء والعمران، كما للفساد والإختلال : ... فكانت زهيرة دائما على ثغرة وهي تهم وتسعى في الإستجابة للحوائج الملحة التي تستشفها، أو حتى تستشرفها، وهي تجد وتجتهد بحكمة وإصرار في تلبية دواعي الحوادث والمستجدات

الصحة والعناية بالرعاية الصحية المتكاملة، والسعي في تطبيب القلوب (مبنى ومجازاً) كشرط لتصحيح الأبدان والأفهام، والسبق في مسح دمعة الحزن والألم عن عين طفل بائس أومسكين اويتيم، كان ذلك مدخلها للإصلاح والتصحيح والتقويم وعمل الخير ومكافحة ثالوث الفقر والجهل والمرض، ودحر الظلم، والوقوف في وجه الفساد بغير هوادة ولاهوان، والإنتصار للحق حيثما كان.

إن الصحة في هذه الرؤيا لم تكن هدفا في ذاتها، ولا هي نهاية المطاف: و لكنها كانت الوسيلة التي هيئها لها ربها لتكون الثغرة التي تسلك منها السبل المؤدية للإستخلاف في الأرض اداءا لفروض الأمانة، التي يعيشها كل منا قدر سعته من الهمة والأستطاعة، ولا يخفى قدر ما يسر لها الله سبحانه من وفر ومقدرة، ابليت بهما وفيهما خير بلاء : الى ان وافتها المنية، وتغمدها الرحمن بعطفه و كرمه، فلم تكن-لتعبء بوهن او مرض او ضعف او قلة حيلة او هوان على الناس في زمن عز فيه الكرم وتوارت فيه الفضيلة، لم يقعدها ثقل الأمانة عن عزيمة الدأب والصبر والجلد والمثابرة التي جبلت عليها، لأن تستمر في حمل ا"الأمانة، وعن تحمل الوان المشقّة في سبيل إلا تسقط راية الجهاد الذي عاشت عمراً ترفعه، حتى ان اذن لها ربها بالرجعى، فلاقت وجه العلي

الكريم وهي على العهد حافظة: لتُلحق في زمرة عباده المخلصين من الصديقين والشهداء والصالحين ممن قال فيهم وقوله الحق: "الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ... وقد بوأهم الرحمن جل وعلى، مكانة يرضونها".. في مقعد صدق عند مليك مقتدر"، ونعم هذا مقاماً، وحسن اولئك رفيقاً. (وقد كانت دائما تردد : ان يقيني بالله يقيني،وتؤمن بأن الله لا يضيع أجر عمل صالحٍ لوجهه مصداقاً لقوله تعالى: ان الله لا يضيع اجر عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ....).

ومما لا شك فيه ان ايمانها العميق بالله وفهمها لدينها كمناط معاشها ومحياها ومماتها كان له ابعد الأثر فيما عاشته من مُثُل كانت دائمة الأستحضار لها في كل خلجة كما في كل خطوة، وهذه المعاني ارتسمت معالمها أو تجسدت عملياً في الدور الرسالي الذي مارسته على مدى عمر جاوز الثمانون حولاً وزيادة، بدأت فيها معرفتها للحق وحبها في الله منذ نعومة أظافرها تعلقاً وتأملاً – سؤالاً ونظراً، وواصلتها علماً وعملاً وبذلاً وعطاء لا يكل ولا ينضب، مستجلية الحكمة عند كل منعطف، عاقدة النية والعزم على بلوغ غايتها، دائماً ابداً متوسلة طاعة ربها ورضاه، فيما تقصده او ترتضيه، الى ان قاربت نهاية المطاف في العقد الأخير من عمرها حين داهمتها الخُطُب وتكاثفت في سمائها الغُمَم، لتختمه بين الشكوى والمناجاة، والدعاء والرجاء، شاكرة مبتهلة، وهي في كل حالٍ صابرةً محتسبة .. وكان قد اشتد الوطيس بين مداد رباني لا ينقطع وابتلاء كاد ألاّ ينقضي، من ذلك النوع الذي خص به الله عباده المخلصين ممن اجتباهم للُقياه، وهم على المحجة البيضاء لا يكدر شيئا من صفائهم واصطفائهم، وهم في الدرجة العالية المحمودة التي وعدها الحق اولياءه الصالحين.

(وهي ممن صدق فيهم قول: ان لله عباد اختصهم بقضاء حوائج الناس ....)

نعم ... انها أمي التي احببتها من كل قلبي، والتي اتضرع شوقاً للقياها على غير حال وفي خير بال مما تركتها عليه في حينها، وان لم اكن دوماً عند مستوى حسن الظن وعلو الهمة وعمق الرجاء الذي طالما ارتأته في وتمنته لي، واعلم انه كان رجاء واملاً و مظنة وأماني ما بعدها من أماني، فقد بُنيت على قدر سعة صدرها الرحوب الحنون، وعلو همتها وصدق رجاءها وخلاص ودها، وليس بحال على قدر ما بي انا من استحقاق ....ولو أن الأمر لي لكم آثرت ان استأثر بذكراها العطرة، وبروحها الفياضة الفضفاضة وهي تسكن نبضات قلبي وتؤنس وحشتي وتغمرني من فيض نور ونضارة قلما فارقتها وهي في الحياة الدنيا، والتي ما برحت تلازمها وهي في مقتبل

اخراها .... أعود لأقول لو كان الأمر لي لاستأثرت بخير صحبة فيما بقي لي من عمر ... ولكـــن أنّى لي ذلك، وكيف لى ان استأثر بها الآن سيرة عطرة و لم استأثر بها يوماً في غضون مسيرة حافلة يوم ترجلت دنيا معاشها ومحياها ...وانما اجدها مرة اخرى تلح على لأن اسعى على شاكلتها بما ينفع العباد، وألّا استسلم لهواجس الذات في الإثرة والإستحواذ، وانما على ان ابادر كي اجعل من سيرتها عبرة ونفعا للعباد، حتى يتواصل ثوابها عند ربها في مثواها كما تحقق عبر ملحمـــة محياهـــا الأدنـــى ....

نعم انها ابت على الإستئثار بحسنييها، لا ضناً علي، بل شفقة وحباً لي حتى لا أقع في المحظور، فأحجب عن غيري خيراً واقعاً أو محتملا، يأتي من جراء استخلاص العبرة من السيرة، عـــسى ان يكون فيها ما فيها مما ينفع الناس، ويعود عليها هي بالمزيد من الثواب.

ومن موقع هذا الإلحاح الوجداني أجدني اليوم اجتهد محاولة استنطاق زهيرة النموذج، مـــبنى ومعنى ودلالة، حتى يمكن ان أمد الجسور بيني وبين الآخرين في مجلس المدارسة والأعتبـــار، لعلنـــا يمكن بهذا الجهد المتواضع ان ننفع الفكر المعاصر في المجالات التي تتماس وتتقاطع من خلال ســـيرة زهرة النموذج : أو قل، المثل والقدوة: فتكون قد امضت حياتها عمليا فيما ينفع النـــاس، وتـــأتي سيرتها لتدعم هذا النفع وتُعَمِمه نظراً وفكراً ومثلاً بما يُثري الأجيال.

من فاتحة مجلد تحت الإعداد لأسرة رواق زهرة، إشراف د. منى أبو الفضل بعنوان
"زهيرة حافظ عابدين: بين الرؤيا والقدوة والممارسة ...
قراءة في نموذج للفاعلية الحضارية في زمن الإنكسار"

تصدير

بقلم فضيلة أ.د. طه جابر العلواني

بين خطاب المرأة في الغرب كخطاب حقوق يندرج في إطار "حقوق الأقليّات"، وخطاب المرأة المسلمة أو الشرقيّة الذي كان انعكاساً لخطاب المرأة في الغرب ويغلب أن يتناول حق التعليم، وحق العمل، واعتراضات على بعض التشريعات كالميراث، والشهادة، وقضايا اختيار الزوج، والطلاق وتقييده وتعدّد الزوجات والحجاب وما إلى ذلك مما اختلطت به التقاليد والتشريعات.. استطاعت زهيرة عابدين أن تستوعب ذلك -كلّه- وتتجاوزه نحو العمل فبدلاً من أن ترفع صوتها في المطالبة بتعليم المرأة أسست جمعيّة للتربية لتؤسّس سلسلة من المدارس ذات المستوى العالي جعلت المرأة علي رأس بعضها، وقامت بإعداد جيل من المربيّات الفاضلات والتلميذات مربيّات المستقبل لتجعل الأمر مسلّمة عمليّة بدلاً من قضيّة نظريّة للنقاش وتثبت عمليّاً قدرات المرأة وطاقاتها.

وبدلاً من مناقشة دور نظريّ للمرأة في تنمية المجتمع قامت ببناء مؤسّسات تقاوم الأمراض، وتسهر على صحة المجتمع وتنقيته من الأمراض، ووضعه على طريق الإنتاج. وعنيت بتأسيس الطب الاجتماعي بالعناية بأسر المرضى لتبني رؤية كليّة في العلاج والتكافل استلهمت بذلك روح الهدي النبويّ في هذا المجال. وهو أمر لم تسبق إليه فيما أعلم.

وتجاوزت ذلك إلى تأسيس دور للمسنّات وللشابات المسلمات لتشمل رعايتها الأجيال كلّها.

وبدلاً من الدعوة إلى المشاركة السياسيّة كانت ذات خبرة وقدرة وطاقة على الاستفادة من سائر مستويات القيادات السياسيّة في البلد. ولم تكن تتردد حتى في حالات المرض القصوى من الاتصال بالوزراء الذين تحتاج بعض المشاريع إلى الحديث إليهم، ولم يكن أيّ منهم يتردّد أن ينـزل من مكتبه إلى حيث تقف سيارتها ليجلس معها في سيارتها يستمع لطلباتها ووصاياها بدافع من الإيمان بإخلاصها وأمانتها وقدرتها على حسن التخطيط، وسلامة الإنجاز.

لقد كانت قامة شامخة، وهرماً لا يطاول.

وفي إطار رؤيتها، بل فلسفتها في الطب أسّست كليّة للطب للـ"بنات" في دبي بتعاون مع الوجيه الشيخ سعيد لوتاه. هذه الكليَّة وفلسفتها تستحق دراسات خاصّة للكشف عن فلسفة أم الأطباء في الطب.

لقد كنّا نتمنّى لو أن د. زهيرة كتبت بنفسها سيرة ذاتيَّة لشخصها الكريم -إذن-: لأثْرت المكتبة العربيَّة الإسلاميَّة بسيرة عطرة تمثّل "شهادة شاهد عدل" على قرن يعد أخطر القرون التي عاشتها أمتنا المسلمة؛ إذ أنّه القرن الذي برزت فيه نتائج احتكاك أمتنا بالغرب وفيه ظهرت بعض أهم ردود الفعل العربيَّة الإسلاميَّة التي تجسَّدت في أرض الكنانة على ذلك التحدِّي، وبرزت عيوب كثيرة وإيجابيّات كثيرة كذلك في كياننا الاجتماعيّ نتيجة ذلك التحدّي الغربيّ الذي شرع يمتد في كثير من فراغاتنا الفكريَّة والثقافيَّة والتربويَّة والاجتماعيَّة فضلاً عن الفراغات الأخرى.

لقد كانت زهرة فارسة من فارسات أمتنا في الاستجابة لذلك التحدّي. ولو أن وقتها اتّسع، واقتنعت بفوائد كتابة سيرتها الذاتيَّة بقلمها لوجدنا كنزاً من الفوائد، ومعيناً لا ينضب من التجارب الغنيَّة الخصبة لهذه الشخصيَّة المجاهدة. ولكن ذلك النوع من القيادات قد يرى في كتابته سيرته نوعاً من الإعجاب بالنفس، أو الثناء عليها؛ وهذا النوع من الرائدات يأبى أن يكون في أيّ عمل حظاً للنفس قد يؤثر في خلوص نيّته لله، أو يقلّل من مثوبته عنده. ومن هو مثل "زهرتنا" في طهرها وصوفيَّتها، وإخلاصها، وصدق نيَّتها لا يمكن أن يغامر بذلك ليكتب عن نفسه.

وكما قال علماؤنا: "الميسور لا يسقط بالمعسور" فقد رأت محرّرة كتاب "المؤسِّسة والمؤسَّسة" د. منى أبو الفضل كريمتها ووارثة حماسها للأمَّة وإخلاصها لقضاياها أن تجمع من أقوال معاصريها وتلامذتها وزملائها، وعارفي فضلها باقة مختارة بعناية لعلّها تعوّض الأجيال الطالعة عن عدم كتابتها سيرتها الذاتيَّة ولو بشكل يسير. ولعلّها تلقي بعض الضوء على جوانب من سيرتها العطرة تبيّن كيف ينبغي أن تكون الاستجابة للتحدي الحضاري عندما يقع ليكون في ذلك شيء من العبرة للمعتبرين، والعظات لمن يتّعظون، والأسوة والمثل والنموذج للباحثين عن أمثال ونماذج في زمن قل فيه المثال، وانعدم أو كاد فيه النموذج. ومصر المحروسة وبلاد العرب والمسلمين اليوم أحوج ما يكون إلى هذه التذكرة. نسأل العليّ القدير أن يتغمَّد "زهرتنا" برحمته، ويسكنها فسيح جناته، ويعوض أسرتها وأمتها عنها خيراً. إنّه سميع مجيب.

اولاً



من حفل تأبين الشقيقتين

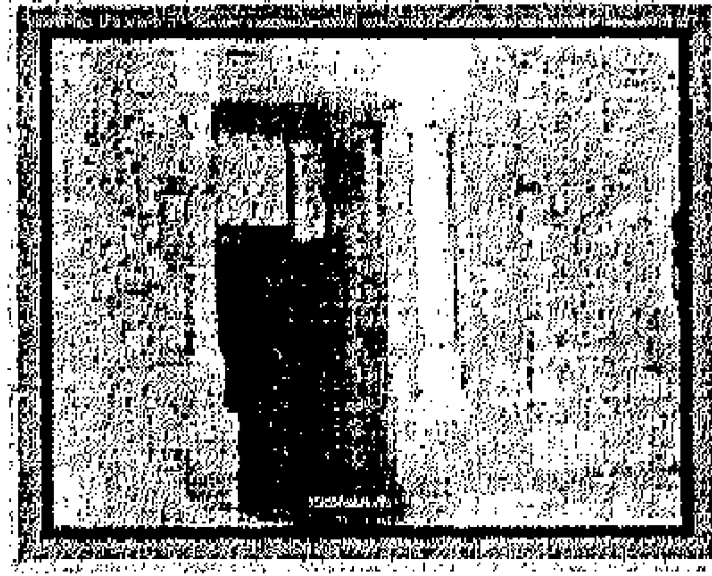
فاطمة عابدين و زهيرة عابدين

المقام بمبنى دار الحكمـــة-القصر العيني-القاهرة

2002/6/24

جانب من الكلمات التي القيت في هذه المناسبة

بسم الله الرحمن الرحيم



نموذج فريد وجديد للعمل الطبي والعمل الإنساني والعمل الذي يشع بالنور وبالرحمة وبالإنسانية

كلمة نقيب الأطباء أ.د. حمدي السيد

السيدات والسادة الحضور الكرام، لقد اجتمعنا في بيت الأطباء لتكريم عالمتين من علماء الطب والعطاء والانسانية المغفور لهما الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين والاستاذة الدكتورة فاطمة عابدين رحمهما الله رحمة واسعة وأنزلهما منازل الصديقين والشهداء.

فالاستاذة الدكتورة فاطمة عابدين هي علم من أعلام الطب في مصر بل وفي المنطقة العربية ولها تاريخ طويل حافل بالانجازات، ولقد كان لي شرف أن ألتقي بها منذ عشرات السنين. كذلك كانت د. زهيرة عابدين التي كتب لي أن ألتحق بالدراسات العليا بالجامعة الانجليزية نفسها التي كانت د. زهيرة فيها وذلك بعد أن غادرتها هي تاركة في هذا الموقع العلمي المهم أكبر الأثر، فلها أبحاث ومؤلفات منذ الخمسينيات لا تزال تدرس إلى الآن في مجال أمراض القلب للأطفال وأمراض روماتيزم القلب، وإني لأتساءل كم طبيبة مصرية تذهب إلى انجلترا وتقتحم هذا البحر من العلم الغزير بعلمها وأدائها وإصرارها الشديد كما فعلت د. زهيرة رحمها الله. لقد كانت د. زهيرة رحمة الله عليها صاحبة إصرار وعزيمة وشكيمة كما كان لديها قوة مكنتها من أن تؤدي رسالتها خير أداء.

عندما عادت الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين إلى الوطن قامت بإنشاء تخصص أمراض القلب للأطفال وقامت برعاية مرضى روماتيزم القلب. وكان للمنشأة العظيمة الموجودة تحت سفح الهرم لرعاية مرضى روماتيزم القلب والذي كان عددهم في ذلك الوقت بالآلاف، دور كبير

في مكافحة هذا المرض وتحجيمه. لقد اتجهت جهود د. زهيرة لرعاية هؤلاء المرضى صحيًا وعلميًا وثقافيًا، وقامت في هذا بعمل عظيم ما زلنا نذكره وما زال يذكره المجتمع الطبي وما زالت تذكره المحافل الدولية، وكان بداية لنهضة علمية طبية إنسانية نفتخر بها. ولقد كان لي معها لقاءات كثيرة بحكم زياراتي لها في موقع عملها حيث كانت تستعين بنا ونستعين بها في رعاية أولادها من المرضى والأطفال الذين كانت تحنو عليهم حنو الأم وكانت نموذج فريد وجديد للعمل الطبي والعمل الإنساني والعمل الذي يشع بالنور وبالرحمة وبالانسانية.

ثم تتابعت إنجازات الدكتورة زهيرة عابدين من موقع إلى موقع ومن مكان إلى مكان انجازات علمية وجامعية وإنسانية، وكانت نموذج للعمل العظيم، العمل التطوعي، العمل الذي لم يكن يصبو إلا إلى إرضاء الله سبحانه وتعالى. لقد كانت تعمل بتفان شديد ومثابرة وتراعي أدق التفصيلات في عملها وتراعي سائر الجوانب الإنسانية التي تكتنف هذا العمل، فكانت أي مشكلة لأي طبيب هي بمثابة مشكلة لها ولأسرتها، وعندما تكون هناك مشكلة مع محافظة الجيزة أو وكيل وزارة الصحة كانت تأتي وتجلس معنا بالساعات محاولة إيجاد حلول لهذه المشكلات، وكانت تفعل ذلك وهي في غاية الاهتمام والتفاني في عملها، لقد كانت نموذج فريد للعالم والإنسان والعطاء المتجدد الدائم الذي لم يتوقف حتى فارقت الحياة. رحم الله الفقيدتين وألهمنا وألهم أسرتيهما الصبر وإنا لله وإنا إليه راجعون.

.. فكلفها الله سبحانه وتعالى برسالة العلم فأخلصت لها

أ.د. صلاح شهيب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد إمام المرسلين ونور الهداية للعالمين، بسم الله الرحمن الرحيم "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم".

السيدات والسادة الحضور نحن نتواجد اليوم لتأبين رمزين من رموز العطاء والإخلاص والعلم هما الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين والاستاذة الدكتورة فاطمة عابدين.

وفي هذا المقام أتذكر قول المولى عز وجل "قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" أتذكر الموت وأتذكر قول المولى سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "إنك ميت وإنهم ميتون" فالموت حق وحقيقة ولا مفر منها واسمحوا لي أن يكون حديثي عن الأستاذة الدكتورة "زهيرة عابدين" حيث عملت معها وتحت إشرافها لسنوات عديدة.

لقد خلق الله الانسان ليعمر الارض ويؤدي كل فرد رسالته وكل مهيأ لما خلق له، ولقد كانت المرحومة على علم بهذا **فكلفها الله سبحانه وتعالى برسالة العلم فأخلصت** لها منطبق عليها بذلك الحديث القدسي الذي يقول فيه رب العزة "الاخلاص سر من أسراري أطلعه على من أحب".

لقد أحبت المرحومة عملها وكانت رائدة علاج مرض روماتيزم القلب في مصر وكأنني أرى الآن مركز روماتيزم القلب بالهرم عام 1965 حينما عملت هناك لمدة عام، جاءت بعدها فكرة **إنشاء فروع لهذا المركز في كل من طنطا والمنصورة وبنها وأسيوط ثم الاسكندرية حيث تم إنشاء هذه الفروع في أقسام الأطفال التابعة لهذه الكليات الجامعية.**

ولم تكف الدكتورة زهيرة عابدين يدها عن هذه المراكز بل كانت دائمة المتابعة لها، تقوم بدراسة التقارير الشهرية الصادرة عنها وكانت دائما في زيارات لهذه المراكز إيمانًا منها بأهمية هذا المشروع الحيوي. وقد أصبحت د. زهيرة بذلك **قدوة لأجيال على صعيد تكريس فلسفة تفاعل الجامعات والعلماء مع مشكلات المجتمع** في ربوع مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى" لقد أعطت الدكتورة زهيرة عابدين من الجهد فآمنت برسالتها وكانت قدوة للمحبين لها من الأطباء فكان العطاء من الجميع عن اقتناع حيث **كانت القدوة ولذلك كان النجاح**، لقد أفرزت هذه المراكز العديد من الرسائل العلمية والأبحاث الخاصة بالحمى الروماتيزمية وروماتيزم القلب بما يحسب لصاحب فكرة إنشاء هذه المراكز وإن الفائدة التي تعود على المرضى لهي صدقة جارية في ميزان حسناتها.

أيها السادة والسيدات، إذا كانت الدكتورة زهيرة عابدين هي **العقل المفكر والمدبر** لما قامت به من **رسائل علمية وإنسانية** فلقد ساعدها في تنفيذها أسرتها جميعًا كل على قدر استطاعته

وكانوا عوناً لها حتى استطاعت أن ترسي **رسالتها نحو الطفل المصري** أيًا كان موقعه في الريف والحضر فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء ونفعهم بما قدموا.

أيها السيدات والسادة إننا إذ نذكر هذه الشخصية الاسطورية التي نقوم بتأبينها وإلقاء الضوء على أعمالها نحن في حاجة ماسة لتخليد ذكراها وتخليد اسمها رمزا للأجيال القادمة وحافزًا لهم على العطاء، واقترح في هذا الصدد:

أولاً: إنشاء "مكتبة الدكتورة زهيرة عابدين" لتحتوي كتبها الخاصة وأبحاثها المتعلقة بالحمى الروماتيزمية والرسائل العلمية التي أشرفت عليها وتكون هذه المكتبة في مكان متاح لجميع الدارسين في هذا الحقل من التخصص.

ثانيًا: إنشاء جائزة سنوية مالية باسم جائزة د. زهيرة عابدين للحمى الروماتيزمية وروماتيزم القلب تعطي لأحسن بحث في هذا الفرع سنويًا مع جوائز الدولة الأخرى التي تشرف عليها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

ثالثًا: تكوين لجنة لاستكمال فروع مراكز روماتيزم القلب في الكليات التي ليست بها مثل هذه المراكز إحياءًا لمسيرة الراحلة الكريمة.

وفي نهاية حديثي أطلب من الله تعالى للفقيدتين الكريمتين الرحمة والمنزلة الحسنة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النموذج الإنساني الذي قدمته د. زهيرة يجعل الإنسان دائمًا في تحفز لعمل الخير اقتداءًا بهذه الأسوة الصالحة..

أ.د. أحمد جمال ماضي أبو العزايم

بالنيابة عن أسرة المرحوم جمال ماضي أبو العزايم أتقدم إلى أسرة الفقيدتين بالعزاء لوفاتهما، وإنني الآن استحضر العلاقة المتينة التي ربطت بين أفراد هذا الجيل المخلص من الأطباء، وأذكر أن المرحوم جمال ماضي أبو العزايم عندما أنهى تعليمه الثانوي وبدأ يفكر في أي كلية يلتحق لجأ إلى الإمام محمد ماضي أبو العزايم الذي أشار عليه بالاستخارة، ففعل، فإذا به يرى في الحلم أنه يركب

في سفينة سارت إلى قبرص حيث نزل ثم استقل سفينة أخرى بها مجموعة من الرجال والسيدات، ولما توجه إلى الإمام محمد ماضي أبو العزايم برؤيته قال له يا بني بارك الله فيك وفيهن سوف يعود بكم المجد الإسلامي.

لقد كانت علاقة طويلة من الصداقة جمعت بين الدكتور جمال ماضي أبو العزايم وبين د. زهيرة عابدين وغيرهم من الأطباء المخلصين الذين قاموا بتأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية، والتي تعددت مهامها فكانت تعني باليتامي والفقراء فضلاً عن الاحتفال بالمناسبات الإسلامية. لقد ربطت هذا الجيل علاقة مستمرة من العمل الطبي المتخصص والتفاني، فلقد عاشوا وماتوا وهم يعملون ويتفانون، وأتذكر أن د. زهيرة وحتى في أيامها الأخيرة كانت تحرص على أن تتصل بي لألقي المحاضرت في مركزها، إن مثل هذا النموذج الإنساني الذي قدمته د. زهيرة يجعل الإنسان دائمًا في تحفز لعمل الخير اقتداءًا بهذه الأسوة الصالحة.

لقد منح الله هذا الجيل القدرة على العمل الجماعي المثمر، والقدرة على الدهشة؛ الدهشة التي تجعلهم ينظرون إلى ما حولهم متطلعين إلى ما هو أفضل دائماً. لقد استطاع هذا الجيل أن يضع اللبنة لمشروع الطبيب الذي يتقي الله في عمله، لقد كانت لهم فلسفة خاصة للوقت، كان وقتهم ملكًا لله، فلا راحة إلا في العمل من أجل الآخرين، كان الوقت طاقة متفجرة ومستمرة للعطاء. لعل الأجيال القادمة تنقل هذه الحكمة وتفيد منها.

ندعو الله أن يتغمدهم برحمته وأن يجعل منزلتهم في الفردوس الأعلى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د.زهيرة شخصية ثرية متعددة الجوانب
وكان لها دورها الأساسي والمركب في تنمية المجتمع المصري

أ.د محمد جمال ماضي أبو العزايم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى من تبعه باحسان إلى يوم الدين. يشرفني اليوم الحضور والحديث عن د. زهيرة عابدين بالنيابة عن الجمعية الخيرية الإسلامية التي يرأسها د. محمد شوقي الفنجري والجمعية العالمية الإسلامية للطب النفسي التي أسسها د.جمال ماضي أبو العزايم.

لقد كانت **د. زهيرة شخصية ثرية متعددة الجوانب، وكان لها دورها الأساسي والمركب في تنمية المجتمع المصري عبر عدة مداخل أساسية** ساعدتها فيها هذه الشخصية الثرية، فاسمحوا لي الآن أن أتحدث عن **بعض الجوانب الأساسية لعملية التنمية وفلسفتها عند د. زهيرة عابدين** رحمها الله:

الجانب الأول: تفعيل العمل التطوعي، العمل التطوعي ليس أمرًا سهلاً وتقول الاحصاءات الحديثة أن هناك عزوف في المجتمع المصري عن العمل التطوعي بوجه عام وأن عدد العاملين فيه لا تتجاوز نسبتهم 3-5% من إجمالي عدد السكان، وفوق هذا فبين هذا العمل المحدود ينخفض عدد المتطوعين من القيادات النسائية. ومن ثم فإننا نجد د. زهيرة عابدين تتحدى هاتين الحقيقتين، **فهي تضطلع بالعمل التطوعي الواسع النطاق، وتمثل في ذاتها قيادة نسوية نشيطة ورشيدة.**

أما الجانب الثاني في الدور التنموي لد. زهيرة عابدين فيتمثل في: **تنمية القيم الدينية.**

كانت د. زهيرة حريصة على تنمية القيم الدينية، أتذكر أنها قالت لي يومًا "أنا لست مقتنعة بأن أبنائنا يتفهمون المنهج الإسلامي على الوجه الأكمل، وأرى أن هناك **فجوة بين العقيدة والسلوك**" وانطلاقًا من هذا عملت على **تدشين برنامج ثقافي في مدارس طلائع** الكمال يدعي إليه العلماء والمتخصصين لتقديم المنهج الإسلامي في أسلوب ميسر لأبناء المراحل الابتدائية وحتى الثانوية.

ويتمثل **الجانب الثالث** في جهود د. زهيرة في **تفعيل النشاط الاقتصادي:** إننا لو رصدنا المؤسسات التي قامت بإنشائها لوجدناها تشغِّل الكثير من الناس، ومن ثم فإننا توجه من هنا دعوة

للقيادات العاملة في المجتمع بعدم اكتناز المال بل استثماره في إقامة مشروعات ومؤسسات تفتح أبواب الرزق للناس وتحرك المجتمع، متخذين من د. زهيرة التي أقامت الكثير من المؤسسات الاقتصادية/الاجتماعية قدوة في هذا.

الجانب الرابع هو تعليم الفتيات: كانت د. زهيرة من رواد العمل التعليمي في مصر، واهتمت بصفة خاصة بتعليم الفتيات من خلال فتح مزيد من المدارس لتعليمهم، وقد سبقت برؤيتها النافذة الاهتمام الراهن بهذه القضية الحيوية.

الجانب الخامس هو تكامل الشخصية النفسية، فأنت عندما تجلس مع د. زهيرة تجد شخصية هادئة مبتسمة تعطي فرصة للحوار وتتمتع باتزان نفسي بعيد عن الانفعال، إن هذا الاتزان النفسي يجب أن يُنظر إليه كجانب من جوانب التنمية كونه عامل من عوامل النجاح في الحياة والعمل.

نرجو من الله أن يرحم د. زهيرة وأن يجعل أعمالها المثمرة الكثيرة في ميزان حسناتها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.. كما أنها صاحبة مدرسة علمية متميزة

أ.د. إبراهيم بدران

سادتي سيداتي ليس أصعب على النفس من أن نقف موقف الرثاء من أستاذات عزيزات افتقدناهما بعد رحلة طويلة استمرت مدى العمر، **صلة رحم أعز ما تكون، وقدوة قلما تتكرر وإيمان وتقوى رفيقين، وجهاد في عطاء العلم وفعل الخير ابتغاء وجه الله،** عسى الله أن يكون منزلهما خير مما أعطيتا في الدنيا عطاءً حسابًا من رب العالمين.

لقد كانت الفقيدتين الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين والأستاذة الدكتورة فاطمة عابدين كلاهما **أختان حميمتان وأستاذتان فضليان ورفيقتان كريمتان في الحج والعمرة** على مدى سنوات طويلة، استفدنا منهما ماتميزتا به من **الرحمة والعطف والعلم الراسخ والاستاذية المثمرة في كل عطاء،** استفدنا منهما عطائهما على كل من حولهما عطاءً وفكرًا رغم تراكم السنين والمرض، واسمحوا لي أن أعرض على حضراتكم قصة حياة لهاتين العالمتين الجليلتين ليكونا قدوة للأجيال.

الأستاذة الدكتورة فاطمة عابدين ولدت عام 1912 وكانت الثانية في ترتيبها بالبكالوريا وكانت أول فتاة تحصل على هذا المقام وبعدها حصلت شقيقتها المرحومة الدكتورة زهيرة عابدين على البكالوريا وكانت الأولى على القطر المصري مما جعلهما مثار الحديث في المجتمع المصري في ذلك الوقت، وتخرجتا من كلية طب القصر العيني وكان ترتيبهما أوائل الخريجين واستمرتا فيها حتى درجة الاستاذية ثم حتى وافتهما المنية هذا العام **كأنهما كانتا على موعد للقاء المولى سويًا بعد رسالة أديت على أكمل وجه.**

حصلت الاستاذة الدكتورة فاطمة عابدين بعد البكالوريوس على دبلوم الباثولوجي عام 1947، ثم الدكتوراه عام 1949 بدرجة امتياز وعملت بوزارة الصحة لمدة خمسة سنوات وارتبطت بالمشكلة الصحية المصرية ثم عينت مدرسة عام 1949 ثم أستاذة عام 1965 ثم شاركت في تحديث وإنشاء قسم الباثولوجي بكلية طب الأزهر **وإنشاء المتحف الباثولوجي** الذي سمي باسمها في الكلية نفسها. واستمرت في عطائها بتلك الكلية منذ عام 1972 حتى وفاتها ونشرت في تلك الفترة أكثر من 70 بحثًا أحدث كثير منها ضجة في الأوساط الطبية العالمية. وكذلك زارت معظم الجامعات والكليات الأوروبية والأمريكية وزارت الصين عام 1957. وكانت د.فاطمة رحمها الله تنتمي لأكثر من عشرين جمعية كما **ترأست الجمعية المصرية الطبية ورأست تحرير مجلتها على مدى ثلاثين عامًا** وأنشأت قسم الباثولوجي بكلية طب الأزهر وهو يضاهي أي قسم نظير في سائر جامعات العالم، وكذلك أنشأت قسم الباثولوجي في عدد من الجامعات الاقليمية وعملت في كلية الطب بالخرطوم من عام 1968 حتى عام 1972. ولتقدير الدولة لدورها هذا فقد منحتها وسام العلوم والفنون وكذلك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى كما كرمتها نقابة الأطباء عدة مرات في مناسبات وأعياد الطبيب المصري ومنحتها جوائز كثيرة.

أما الدكتورة **زهيرة عابدين** فقد كانت **الأولى على البكالوريا وعلى البكالوريوس** من جامعة فؤاد الأول عام 1941 وحصلت على الدكتوراه في طب الأطفال عام 1943 وعلى **الزمالة في الكلية الملكية** البريطانية عام 1948 ومنحت الزمالة الشرفية لأول مرة لطبيبة من الشرق الأوسط ومن العالم الإسلامي من الكلية الطبية الملكية عام 1977 تقديرا لعلمها ولعطائها

وعينت معيدة لأول مرة في قسم طب الاطفال عام 1944 وارتقت حتى الاستاذية في أواخر الستينات ورأست قسم طب الأطفال 1975 وتفرغت حتى سنة 1987 ولها نحو 150 بحثا تتمحور حول أمراض القلب وعلاجه عند الأطفال، وانشأت **جمعية أصدقاء** مرضى روماتيزم القلب

للأطفال ومركز رعاية مرضى روماتيزم القلب بالهرم وهي من أوائل من أدركن الأمراض التشخيصية للقلب للأطفال، كما أنها صاحبة مدرسة علمية متميزة ومن أعمالها التي لا تنسى إنشاء دار للطالبات والطلاب الجامعيين تضم نحو مائة طالب أو أكثر من المغتربين والمبعوثين، وإنشاء كلية البنات في دبي وتولتها لمدة سبع سنوات حتى استقرت وتخرجت منها دفعتين، وكذلك إنشاء مدارس طلائع الكمال الإسلامية التي تقوم على العلم والتسلح بالإيمان.

أسأل الله أن يرحم الفقيدتين القدوتين وعوض الله الطب والعلم ومصر خيرا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

في مجلسنا غائب حاضر ..
كانت زهيرة هي ابنته الصغرى التي لا تفارقه

أ.د. محمد عبد المنعم أبو الفضل

[الفقرة التالية مختزلة من كلمة الدكتور ابو الفضل، وهو الزوج والصهر، وقد انصب الجانب الأكبر من مداخلته على جوانب شخصية من السيرة الذاتية للشقيقتين زهيرة وفاطمة، وجاءت بلمحات شيقة في كيفية اللقاء والخطبة والزواج، وبعض الأمور العائلية، وخصال وطرائف شخصية،وهي نوادر ممتعة تضفي حميمية وبعداً إنسانياً على سيرة لا تتأتى إلا ممن خابرها معاشاً... ولكن يبدو انه قد طرأ عارضاً اثناء التسجيل المتاح، فسقط الشق الأكبر من تلك المداخلة. أو لربما جاء إستحساناً تحريرياً أثناء نسخ الشريط، بأنه من الأفضل الإقتصار على الجوانب العامة التي وردت ملخصة أدناه، مع التغاضي عن "طرائف" يصعب حصرها ونسجها، رغم اهميتها كشهادة عيان على فصل هام من السيرة الذاتية. مما قد يدعو الى بعض التساؤلات: ترى هل يأتي هذا الخيار انعكاساً لطبيعة التحيزات الخاصة بالثقافة العربية السائدة التي تتحفظ على التعرض للحياة الخاصة للرموز والأعلام، وتقتصر على طرح الحياة العامة بوصفها مجال مشاع لا غبار عليه؟...سؤال نطرحه، وهو جدير بالتأمل." *المحرر*]

بسم الله الرحمن الرحيم "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"، السيد الأستاذ الدكتور عاطف عبيد والسيد الاستاذ الدكتور ابراهيم بدران، السادة الحضور الكرام.

إن هذا المجلس فيه غائب حاضر، هذا الغائب الحاضر هو حافظ حسين بك عابدين، عندما قلبت في أوراقي الخاصة وجدت أن يوم 24 يونيو 1945 هو اليوم الذي توفي فيه حافظ حسين عابدين الذي كان عضو مجلس الشيوخ، وهو ابن حسين عابدين الذي كان صديقاً شخصيًا للسلطان حسين كامل. كانت حياة حافظ حسين مليئة بالكد وكان وطنيًا وكان صديقًا شخصيًا لسعد زغلول، وكانت زهيرة هي ابنته الصغرى التي لا تفارقه وتقضي جل وقتها مع صفية زغلول أم المصريين. كانت زهيرة وفاطمة من النماذج النادرة في تربيتهم. لقد كان سر تفوق زهيرة وفاطمة هو التقوى، وكانت زهيرة متفرغة للدراسة والعبادة وكان شيمتها الاخلاص في دراستها وعبادتها وعملها....

(الشق الأكبر من المداخلة سقط لعيب في التسجيل....)

أيها الحضور الكرام إن العمل الخالص لوجه الله هو سبيل النجاح، واذكروا دائما أن الحياة في ذكر الله هي خير ما نفعل، وأشكركم جميعًا وأسأل الله أن نكون على العهد.

سيرة ومسيرة وتحديات المتابعة واستكمال المسار

د. عمر محمد عبد المنعم أبو الفضل

جاءت مداخلة الدكتور عمر أبو الفضل واسطة عاقدة، مقدمة للخلفية والأرضية التي انصبت حولها جل المداخلات التي سبقتها وتلتها.. فقد قدمت على شكل عروض ضوئية، باور بوينت شو – في فقرتين، الأولى تعرضت للمحات من السيرة الذاتية لأم الأطباء في ادوارها واطوارها المختلفة التي ما فتأت ان عاشتها منذ حصولها على البكالوريا بجدارة في عام 1936 من مدرسة الأميرة فوزية، ثم في رحلة تفوقها المشهود له عبر مراحل دراستها الجامعية منذ التحاقها بكلية طب القصر العيني، وتخرجها بتخصص الأطفال، ثم حصولها على درجة عضوية الجمعية الطبية الملكية التي اهلتها للإستشارية في جملة فروع الطب، وهي في مقتبل حياتها المهنية، فنزولها لمعترك الحياة الميدانية والخيارات الفارقة التي اعتزمتها، ما أدى الى تكريسها حياتها الخاصة قبل العامة لخدمة مجتمعها وأمتها مبتغية وجه الله تعالى فيما ندرت له نفسها من جهاد، فكان من محصلته توجيه طاقاتها العلمية والإجتماعية والتعليمية والثقافية بوحي من طاقات نورانية استمدتها من نمط حياة تجسرت فيها المسافة بين الواقع والخيال، كما بين الواقعية والمثالية، بشكل قلما

وجدناه اليوم في غير فئة جد قليلة، ومنها تلك الفئة ممن بذلوا واخلصوا لربهم فجمعهم حولها..ولو للحظات فاصلة في طريق ممتد..

وقد بدأ عرض د. عمر بلمحات من تاريخ د. زهيرة على النحو التالي:

"كانت د. زهيرة الأولى في البكالوريا عام 1936، وأول أستاذة جامعية تحمل راية خدمة المجتمع، منحتها جامعة القاهرة لقب أستاذ كرسي طب المجتمع ومنحتها الدولة وسام الدولة الذهبي تقديرًا لمكانتها العلمية وخدماتها التطوعية للمجتمع، ومنحتها نقابة الأطباء لقب أم أطباء مصر والذي سلمته لها السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية في حفل الأم المثالية عام 1990، وقد شارفت يومها على يوبيلها الماسي، وأنشأت د. زهيرة أول كلية للطب على نسق مستحدث ومتفرد في دولة الإمارات عام 1986...."

ولمتابعة بقية المداخلة يمكن مراجعة شرائحها المصغرة والمرفقة في ختام المجلد التذكاري في جزئه الثاني تحت عنوان: "سيرة ومسيرة وتحديات المتابعة واستكمال المسار" وهو ما جاء ضمن عنوان المداخلة والتي حرصنا على ضمها حفظا وتوثيقاً لجهد قيم بذل فيها، ولما تنقله من روح مجلس **تحول من تأبين وعزاء الى مدارسة واستذكار** ومناسبة لاستنفار كوامن التأسي في اتجاه مواصلة مشوار الخير والبذل والعطاء الذي مثلته صاحبة المجلس في حياتها وأوصت به خلَفَها عند الفراق.

رأيت في الدكتورة زهيرة النموذج الأمثل للإنسان المسلم المثقف

أ.د. زغلول النجار

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم واصلي وأسلم على خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أيها الإخوة الكرام أحييكم وتحية الإسلام هي السلام فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. لقد أحزنني أني كنت خارج مصر لحظة وفاة دكتورة زهيرة عابدين ومن بعدها فاطمة عابدين وكلاهما له عندي مكانة كبيرة يعلمها الله سبحانه وتعالى.

لقد التقيت بالدكتور محمد عبد المنعم أبو الفضل والأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين في الكويت في عام 1972 ومنذ ذلك التاريخ وصلتي بهما لا تنقطع..لقد **رأيت في الدكتورة زهيرة**

النموذج الأمثل للإنسان المسلم المثقف الذي حقق نجاحًا كبيرًا في دراسته وحياته. كانت كلا الأختين د. زهيرة ود.فاطمة من المتفوقين تفوقًا ملحوظًا في دراستهما كما سمعتم وبالإضافة لذلك كانتا دعاة إلى الدين الإسلامي بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة والمنطق السليم والعمل التطبيقي الجيد. لقد راعني الدور العظيم الذي قامت به د. زهيرة عابدين في إنشاء مركز روماتيزم القلب وجمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب ومعهد صحة الطفل بالدقي ومؤسسة رعاية المسنين، وكذلك **اهتمامها بقضية التعليم الإسلامي المتميز** في وقت بدأت فيه الجامعة تتدهور كثيرًا في مصر، حيث أنشأت مدارس طلائع الكمال وكانت نموذج طيب للعمل التربوي الملتزم بالمستوى الراقي وفي نفس الوقت الملتزم بهذا الدين العظيم وتنشئة الأولاد عليه، وأذكر أنني حضرت معها **حفل افتتاح مدرسة في مصر الجديدة** وكان معنا وزير التعليم وبعض المسئولين، **وقدم الأطفال مسرحية بسيطة عظيمة المضمون جعلت الدموع تترقرق في أعين الجالسين.**

كذلك انشأت د. زهيرة الكثير من **مراكز السكن للطلبة والطالبات**، وكلكم يعلم مدى ما يعانيه هؤلاء -والطالبات على الأخص- في إيجاد مكان للسكن، وكانت حريصة على تزويد مساكن الطلبة والطالبات بالدعاة بطريقة شبه دورية، وكان لهذا الأمر أثر إيجابي كبير على هؤلاء الطلبة.

اهتمت الدكتورة زهيرة عابدين بتحفيظ القرآن الكريم، **وقد رأيتها وهي في سن متأخرة تسير على أكثر من عكاز وتقوم مع ذلك بزيارة مراكز تحفيظ القرآن الكريم التي أنشأتها وتحرص على حضور المسابقات وتوزيع الجوائز.** فهي صورة للمرأة المسلمة الواعية التي حصَّلت من العلم قدرًا عاليًا كما حصلت من العمل الاجتماعي والخدمي الراقي المؤسس على منهجية صحيحة والمؤسس على كسب عواطف الناس أكثر من استثارة الناس واستفزازهم فحققت الكثير.

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم في هذا الجمع الكريم أن يبارك فيما قدمته هاتان الأختان الفاضلتان من أجل خدمة هذا الدين ومن أجل تحقيق دور كريم للمسلمة الواعية المثقفة، وأن يجزل لهما المثوبة وأن يغفر لهما ويزيد في أجرهما وأن يجعلهما في رياض الجنة ويؤنسهما في وحدتهما في القبر وأن يجعل قبرهما روضة من رياض الجنة وان يبعثهما مبعث كريم ترضيان عنه إن شاء الله في معية المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي معية الصالحين من الذين تركوا آثارا إيجابية في هذا الحياة فكثير من الناس يموتون ولا يذكرون وكثير من الناس يعمرون أكثر مما عمرت الأختان ولا يذكروا مطلقًا، ولكن الأثر الذي تركته هاتان الأختان معلمة، سيبقى لسنين طويلة خاصة

للأجيال التي عاصرهما وعاشت معهما ورأت كفاحهما، هذا الكفاح الجاد المخلص المتجرد، إن المسلم مطالب أن يحيا حياته بإيجابية وأن يبذل كل ما في وسعه لخدمة هذا الدين وأن يكون في خدمة الآخرين، فهذا هو الباقي أما ما عداه فيضيع. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه "لا تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه فيما أفاد به" وقد كانت هاتان الأختان الفاضلتان نموذجا طيبًا للاستفادة بحياتهما على هذه الأرض فقدمتا ما نسأل الله أن يكون ثقيلاً في ميزانهما يوم القيامة، فاذكروهما في صلاتكم وفي دعاؤكم فهما يستحقان منا ذلك وأكثر، والأجر الأعظم لهما عند الله سبحانه وتعالى وما ذلك على الله بعزيز. والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

زهيرة مدرسة .. وزهيرة أمة

أ.د. طه جابر العلواني

بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ربما يكون هذا أول حفل تأبين في حياتي أحضره، فما اعتدت أن أحضر حفل تأبين أحد من الناس التزاماً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام "لاعزاء بعد ثلاث" – ولكن تأبين شخص مثل زهيرة أمر آخر؛ فهو ليس **مجلس عزاء لكنه مجلس درس**، فما الدرس وما العبرة التي يمكن أن نأخذها من سيرة زهيرة ويمكن أن تبقى معنا منها؟

زهيرة برزت في وقت كانت الأمة فيه تعاني من انقسام حاد داخل نخبتها؛ فنخبة أو فصيل من النخبة قد تغرب وأصبح المثل الأعلى عنده أن يلحق بركب الغرب وأصبحت النموذج المثالي للمرأة هي المرأة الغربية بكل ما تمثل من قيم وسواها. لقد استعمل الغرب المرأة كأهم مدخل من مداخل تغيير مجتمعاتنا وحين أدرك الغرب أن أروع ما في هذه المجتمعات هي الأسرة قرر تفكيكها وبتصميم. واستطاع الغرب أن يقنع المسلمين أو غالبيتهم العظمى بأنه لا أساس للتعايش بين الإسلام والحداثة فإما الإسلام والعيش في الماضي والحرمان من كل معطيات الحضارة وإما اللحاق بالغرب وتقليده ومتابعته وتمثل خطاه للحصول على معطيات هذه الحضارة، **تأتي زهيرة وكذلك فاطمة ليثبتا خطأ هذه النظرية وليبينا أن المرأة المسلمة الملتزمة بإسلامها والتي لا ترضى أن تفارق**

قيمها قادرة لا على أن تواكب المرأة الغربية بل أن تتفوق عليها وأن تتقدم عليها وفي أهم مجالات التحدي وهو الطب.

كانت زهيرة وفاطمة ومن جاء بعدهما **الرد الإسلامي على التحدي الغربي**. لقد بدأ التحدي الغربي في مجال المرأة مع لطيفة هانم زوجة كمال أتاتورك الذي طرحها نموذجًا للمرأة التركية ليعكس من خلالها على العالم الإسلامي كله نموذج للمرأة التي تستطيع أن تتخلى عن كثير من قيم الدين وأن تلحق بركاب الغرب والحداثة.

جاءت زهيرة لتثبت عكس ذلك تمامًا فكانت مثالاً ونموذجًا يتحدى النموذج الغربي حتى فرضت عليه أن يعجب بها، ثم فرضت عليه بعد ذلك أن يعجب بإسلامها. وأن يقرر بأن الإسلام؛ إسلام المرأة وحجابها والتزامها وتمسكها بأخلاقها لا يمكن أن يحول دون وصولها إلى قمة ما لدى الغربي من تقدم علمي وتقني. لقد كان معظم أصدقائها ومعارفها من الأطباء الأمريكيين وهؤلاء كانوا يذكرونها بإعجاب وحتى الشهر الأخير قبل وفاتها اتصل بنا أحد من يعرفها من الأمريكيين وقال إنني فخور بأنني أعرف هذه المرأة وإنني أهنئكم على أنها منكم فهذه المرأة مثال ونموذج.

إننا إذ نودع زهيرة إنما نريد أن نأخذ من سيرتها النموذج والمثال، **زهيرة تمثل أمة ومشروعًا كاملاً**، قد تكون زهيرة قد أسست الكثير من المؤسسات الخيرية لكن هذا ليس مكمن عظمتها إنما تظهر هذه في الجمع بين التدين والفكر والحكمة والالتزام والقدرة والعلم والتصميم ومواصلة الدرس. لقد اخترقت زهيرة كطبيبة الكثير من االحواجز التي لم يحلم طبيب بتجاوزها. فمن المعروف أن كليات الطب لها نظمها الخاصة وطالب الطب لابد أن يقضي سنوات معينة قبل أن يتخرج وطالب الطب يجب أن يكون في سن معينة، تقوم زهيرة بتأسيس كلية طب في دبي تتحدى بها هذه الأنظمة فتبدأ في أخذ طلبة في سن الخامسة عشرة ويبقون في الكلية خمس سنوات ويتخرجون في سن العشرين ويتحدون بذلك خريجي الكليات الأخرى الذين يقضون في كليات الطب سنوات أطول وتكون أعمارهم حين يدخلون أكبر، لقد كانت مبدعة في هذا الجانب واستطاعت أن تحصل لكليتها على اعترافات بذلك من أرقى كليات الطب وجامعاته.

كانت زهيرة حاجة معتمرة كل عام، ولم تكن تسافر إلى أي مكان دون أن تمر بالحرمين لتعتمر ولتتزود في ذلك زادًا يمدها بالطاقة والحياة.

زهيرة مدرسة وزهيرة أمة، وزهيرة في حاجة لأن تكتب سيرتها ويكتب تاريخها وتقدم لبناتنا كنموذج للمرأة المسلمة. وإذا كان لي شيء أقترحه على أسرة المرحومة د. زهيرة عابدين فهو أن تكون لزهيرة مكتبة تستعرض فيها كل ما قامت به وفعلته وكذلك سيرتها ليس على سبيل المدح والثناء وإنما على سبيل القدوة والأسوة والنموذج لبناتنا اللواتي يتعرضن لغزو ملـوث يـشعرهن بتفاهة الحياة وتفاهة كل ما فيها.

إن سيرة زهيرة سيرة تربوية ويجب أن تقدم في هذا الإطار ومن هذا المنطلق، جزى الله زهيرة عنا أفضل وأعظم جزاء وعوضنا بأمثالها وجعل منها خير سلف لخير خلف إن شاء الله.

وإذا كان من مأخذ على الوالدة زهيرة فإني أذكر أمنيتها بأن تموت في أحد الحرمين وكانت حريصة على أن تدفن بمكة وكانت تتحدث عن مقبرة المعلي التي ترقد بها السيدة خديجة رضي الله عنها وكنت أداعبها بأن أقول "وماتدري نفس بأي أرض تموت" استسلمي له فلـيس لـك أن تحاولي أن تحصلي على مكان للوفاة باختيارك، وكانت تقول إني أتعرض لها "وإن لربكم في أيـام دهركم لنفحات" فإنني أحج وأعتمر كل عام لعل الله أن يأخذ أمانته في أي عام من هذه الأعوام. قلت لها ذات يوم: "لن تموتي هناك" فانزعجت مني، سألتها "لماذا تريدين أن تموتي هناك"، قالـت "أريد قربًا من الله ورسوله" قلت لها "ومن قال إنهما بعيدان؟ إنك تقولين في صلاتك في تشهدك: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وهذه صيغة دعاء للقريب وليس البعيد أما الله سبحانه وتعالى فقد نص على ذلك في قوله "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعـوة الـداع إذ دعاني". وقد حاولت زهيرة أن تموت هناك ولما مرضت وظنت أنه المرض الأخير ذهبت بإصـرار إلى مكة لتموت هناك، ولكن الله قرر شيء آخر، فماتت زهيرة هنا في هذه الأرض الطيبة الـتي احتوت نفيسة العلم كما احتوت الكثير من صلحاء الأمة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لزهيرة وأن يتغمدها برحمته وأن يتقبلها في صالح عباده فقد طهرها بالأمراض التي استمرت معها عشرة أعوام لتلقاه طاهرة نقية، وأسأل الله أن يجعلها نموذج ومثال لبناتنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شرف الأمومة في أشرف مهنـــة

د. نبيه زكريا البري

شرفت أن أكون تلميذًا للدكتورة فاطمة عابدين التي كانت أستاذتي وقدوتي، وقد كتبـــت كلمتين في رثاء د. فاطمة ود. زهيرة، نشرت الأولى في الصحف، أما الثانية فلم تنشر واسمحوا لي أن أقرأها عليكم، كانت الكلمات بعنوان "شرف الأمومة في أشرف مهنة" وتقول:

في بيت واسع الثراء رفيع الثقافة ولدت، رآها والدها الأستاذ حافظ عابدين باحـــساس الأب زهرة صغيرة فسماها "زهيرة" ولقد سبقتها إلى الحياة في هذا الأسرة أختها أ.د.فاطمـــة عابـــدين، ولقد كانت بفضل الله عليهما رائدتين في حب العلم والجهاد فيه. وفي شـــرف العلـــم تعلقـــت الأختان بأشرف مهنة وهي مهنة الطب فنالتا فيها أشرف مكانة، كانت فاطمة من اوائل المعيدات التي تم تعيينهن في كلية طب القصر العيني وهي أم كليات الطب في بلادنا (فهي عملـــت أولا في وزارة الصحة، ثم بعد ان فتح طريق الإنضمام للفتاة الطبيبة الى هيئة التدريس التحقت بالتدريس، والمعروف ان زهيرة هي من فتحت الطريق لهذا النهج...). وشرفنا بها كأســـتاذة لنـــا في علـــم الأمراض وهو سرة علوم الطب وكان أساتذتها يطلقون عليها ملكة الباثولوجي ولـــذلك كتبـــت عنها "فاطمة عابدين الملكة الأم" وبعدها كانت زهيرة في طب الأطفال.وكانت أمًا لنا ولأساتذتنا ومن أبنائها أ.د. حسين كامل بهاء الدين وأ.د. إكرام عبد السلام، وكان وجهها الكريم يشع إلينا بنور الأمومة وهو الأمر الذي اختص الله به النساء ويتواضع أمامه الرجال ولو كانوا أنبياء، وجـــه هاديء وعين ذكية، في نور هذا الوجه نتعلم الاتقان الذي يصل حد الكمال فيكـــون إحـــسانًا ونشاطًا لا يكل في رعاية الأبناء داخل المستشفى.

وفي فنائها حيث أنشأت لنا مسجدًا داخل المستشفى نصلي فيه وتصلي فيه معنا وفدنا إليهـــا وشرفنا بمجلسها هي وزوجها أ.د. محمد عبد المنعم أبو الفضل وزودنا في هـــذا المجلـــس القـــرآن الكريم الذي صار زادًا لنا في هذه الحياة على يد شيخنا الكريم عامر عثمان شيخ المقام. وأنـــشأت دورًا للمغتربين والمغتربات من طلاب الجامعات وكان عندها بعد ذلك صدر أمومـــة فاحتـــضنت بهذا الصدر مرضاها وأسرهم، فأنشأت مركز لرعاية مرضى روماتيزم القلب على سفح الهرم يحيط بالمشكلة كلها فالأطفال يعالجون في هذا المركز وتُقام لهم المدارس ليتعلمـــون وأوليـــاء أمـــورهم يتثقفون ثقافة صحية لرعاية أبنائهم ولقد بارك الله في هذا العمل المخلص فنـــزلت نسبة الحالات

الشديدة من اكثر من 50% إلى اقل من 4%، وهي حقيقة ندركها نحن الأطباء المشتغلين بالتأمين الصحي على طلاب المدارس.

وتوالت مشروعاتها فأنشأت معهد صحة الطفل وكلية الطب بدبي ومدارس طلائع الكمال وكانت **شخصيتها تتوازى فيها فخامة الأمومة وذكاء الإدارة** ولولا هذا لما حققت جمعية بدأت رأسمالها بمبلغ سبعمائة جنيه، مشروعات تقدر قيمتها الآن بملايين الجنيهات. كان إيمانها بالله يجعلها على درجة عليا من الانسانية تشعر بآلام الناس وتتحرك لتمسح الدموع وتشفي العلل. **ولقد أنعم الله عليها بمعونة رجال مخلصين** كانت **تذكر منهم** المرحوم طلعت حرب الذي بنى بنك مصر وشركاتها وبنى وهو أمين عام الجمعية الخيرية الإسلامية مستشفى العجوزة بثلث التكاليف. والمرحوم عثمان أحمد عثمان الذي شارك بالسهم الأكبر في بناء مصر الحديثة والمرحوم صدقي سليمان رئيس وزراء مصر وصاحب معجزة الإدارة في بناء السد العالي والأستاذ الدكتور عبد المنعم ناصر الشافعي أستاذ الاقتصاد وزوج أختها المرحومة الدكتورة فاطمة عابدين. والمرحوم يحيى درويش مدير الشئون الاجتماعية السابق. ومن أساتذتها د. خليل عبد الخالق ود. محمد إبراهيم...

لقد كتبت سيرة زهيرة بحروف في وضوح الشمس **أن المرأة بذكاء أمومتها تستطيع أن تكون مديرة على أعلى مستويات الإدارة** حتى يتضاءل أمام فخامة إدارتها كثير من الرجال الذين وضع الله بين أيديهم أضعاف ما كان لديها من امكانيات فجعلوها بوارًا ولم يبيضوا بها وجوههم سواء في حياتهم الدنيا أو يوم القيامة.

هكذا ولدت زهرة صغيرة وصورت في حياتها صورة ذكية لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "خيركم من طال عمره وحسن عمله" فعاشت ما يقارب 85 عامًا **زرعت فيها في نفوس أبنائها وفي مهنتها وفي مجتمعها زهورًا كثيرة** وكانت بفخامة أمومتها شرفًا للأطباء حتى **أعلنوا أنها أم الأطباء وهذا إعلاء لشرف الأطباء بها.**

وسلمتها براءة هذا اللقب السيدة الكريمة التي تشع أمومتها في ربوع مصر كلها السيدة "سوزان مبارك"، وفي يوم الثلاثاء 24 صفر 1423هـ - 7 مايو 2002 لاقت ربها لتتوق نفوسنا للحاق بها ونستظل بأقدامها في الجنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكانت تعلم ان الدنيا مزرعة الأخرة ..

د. مصطفى الشكعة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن ولاه، لقد هرعت إلى هذا المكان بعد عودتي من البيت الحرام من مكة المكرمة وجئت مبكرًا حتى لا أحرم نفسي من هذا اللقاء وكان المفروض أن أظل هناك بضعة أيام أخرى لكني أعتقد أن الجزاء الذي يتفضل به الخالق الأعظم على هذا المجمع المبارك سيعادل من الثواب ما كنت قد أناله لو بقيت بجوار بيت الله.

د. زهيرة... لا ينتهي الكلام عن فضلها وعن تقواها وكانت تعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة ولذلك أحسنت البذر وإن شاء الله تحسن الحصد.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "طلب العلم فريضة على كل مسلم"، والمسلم هنا تشمل المسلم والمسلمة، ولقد التزمتا، د. زهيرة ود. فاطمة، بفريضة طلب العلم، وإذا طلبت من العلم بعضه وُهبت كله.

ولقد وُهبت من العلم ما جعلها إحدى المطيعات في محراب الله عند رسوله صلى الله عليه وسلم، والرسول يقول "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، ولقد تحققت الأمور الثلاث في د. زهيرة فالصدقة الجارية قد أنتجتها، والعلم المنتفع به سجلته وقدمته ومارسته والولد الصالح الذي يدعو لها في ابنها وبناتها الثلاث، ومن ثم فإننا نكرر قول الله تعالى "إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر" ونختم بقوله عز وجل "يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي".

هل من الممكن فعلاً أن نتحدى الظروف المحيطة ونُنشئ مدرسة تخرج لنا أجيالاً رسمتها ذهنية د.زهيرة .. أم أن المدرسة هي جزء من المجتمع؟!

أ.د. عبد الرحمن النقيب

بسم الله الرحمن الرحيم، كانت بداية معرفتي بالدكتورة زهيرة عابدين عندما فكرنا أن نجمع مجموعة من شباب الباحثين في كليات التربية لنشر قضية كيف يستطيع علماء التربية أن يجمعوا بين الثقافة التربوية والمنهجية الإسلامية ووجدت أن د. زهيرة مهتمة جدًا بمثل هذه القضايا.

وعندما زرت مرة مدرسة الطلائع لمست هذا الاهتمام الكبير من د. زهيرة بقضية التربية الذي حاولت أن تجسده برؤية خاصة في مدارس طلائع الكمال، وإذا كنا الآن ننصح بأن تكون هناك مكتبة تضم أعمال د. زهيرة، فإننا ننصح أن تكون هناك أيضًا **دراسة عن مدارس طلائع الكمال والرؤية التي استند إليها** إنشاء هذه المدارس وهل نجحت في تحقيقها أم لا.

أن ندرس تحديدًا كيف يمكن أن نوجد مدارس إسلامية حضارية تجمع للطفل المصري بين الثقافة العلمية المتطورة في أنقى صورها وفي الوقت نفسه الالتزام الإسلامي العميق والفهم الدقيق بحيث تكون هناك الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تستطيع أن تواجه مشكلات الأمة. أعتقد أننا سنكمل رؤية د. زهيرة لو بحثنا هذا الأمر في إطار عدة محاور، الأول: وضع تصور حقيقي لما يجب أن تكون عليه تربية الطفل المسلم الآن، يشارك في وضع هذا التصور علماء العلوم الشرعية والتربوية، والثاني: تقييم وتطوير ما تم إنجازه في مدارس الطلائع حتى الآن، وندرس **هل من الممكن فعلاً أن نتحدى الظروف المحيطة وننشئ مدرسة تخرج لنا أجيالاً رسمتها ذهنية د. زهيرة، أم أن المدرسة هي جزء من المجتمع والمجتمع هو الذي يعطي المدرسة حياتها وأهدافها وبالتالي فلن نستطيع أن توجد طلائع الكمال ما أرادته د. زهيرة طالما أن المجتمع لا يمدها بالدماء الصالحة**. أعتقد أن هذه القضية تستحق أن ينشغل بها أبناء د. زهيرة وننشغل بها جميعًا فهي قضية تخص جميع المسلمين المهتمين بأمر هذه الأمة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثانيـــــاً



باب في شهادات بعض الأوفياء في ذكرى أم الأطباء

هرم ... من العزيمة

أميرة الخازندار جريدة الأخبار 4 يونيو 2002

فقدت مصر يوم 7 مايو الدكتورة زهيرة عابدين رحمها الله وهي اليوم بين يدي الله — وما أجمل أن نذكر الغائب بالخير بعيداً عن المراءاة.

وإذا أردت أن اكتب عنها فسوف أحتار في أي اتجاه أحتار...

فهي كانت دولة كاملة .. هل أكتب عن الإنسان.. أم عن المرأة العاملة؟ .. أم عن الطبيبة الأستاذة؟ .. أم عن الأم المسلمة ؟ .. أم عن سيدة الأعمال الناجحة في أي مجال؟؟

لقد كانت كل هؤلاء، في أجمل وأكمل صورة بلا تجمل أو افتعال وفي بساطة وتلقائية ..كانت رائدة للمشاريع الخيرية — دار صحة الطفل — لعلاجه ورعايته — ثم تعليمه — ودار مسنات ومستشفى أم الأطباء — وجمعية روماتيزم القلب بالهرم علاج ورعاية — ودار أيتام بالشابات المسلمات ومدارس لغات إسلامية — على أعلى مستوى .. أهدت إحداها لوزارة التعليم بـــ 6 أكتوبر كل ذلك وغيره أكثر، وكأن في داخلها كمبيوتر غاية في الدقة - لا تتكلم إلا القليل الهادف تماماً الصادق دائماً — الحازم أبداً، في صوت دقيق رقيق هامس، يضطرك للسكون كي تسمعه.

كانت قوية دائما لا تقف أمامها مشكلة فلديها المخرج الحكيم - وبداخل تلك القوة الجادة، تتواءم مع الحزم الحاد لقلب طفل مرهف رقيق، سريع التأثر في المواقف الإنسانية، واللمحات الدينية — فترى الدمع منساب.

لقد كانت هرماً من العزيمة مؤمنة بكل ما تعمل أو تقول — تفكر بكل عقول من معها .. تنطق بكل آمالهم، وتكشف مكنوناتهم بنظرة نافذة، تتكلم بالود وتعبر عن اللوم.

إني لم أكتب كل ما أريد — ولكني أعتقد أنها رحمها الله كانت ظاهرة غير عادية مبعوثة لكل العصور حريصة على الموروث من التقاليد الأصيلة — متطورة لما لم تصل إليه بعد الأفكار الجديدة - كان إذا تكلمت أقنعت — وإذا نظرت أفهمت — وإذا سكتت ألهمت...

رحمها الله رحمة واسعة، وألهمنا الصبر على فقدها.

ورحلت أم الأطباء

د. عواطف عبد الجليل –جريدة الجمهورية 19 مايو 2002

منذ أيام قليلة تذكرتها ... واستعدت آخر زيارة شرفت بها وهي تصر أن أعدها بعدم إخبار احد بتلك الزيارة.. فهي زيارة خالصة لوجه الله .. تعتقد العالمة-الكبيرة والإنسانة العظيمة .. والطبيبة التي تنساب في عروقها الرحمة والحنان وحب الخير للإنسان .. تعتقد الدكتورة زهيرة حافظ عابدين انها زيارة واجبة .. سبحان الله .. ماذا أقول لذلك الملاك الطاهر الذي عاش لم يتأثر أبداً بما حوله .. ولم يتلون أو يتغير .. أو يميل درجة واحدة أو ينعطف عن الطريق المستقيم .. طريق الإيمان والمنهج القويم .. منهج الإحسان والمذهب السليم .. مذهب العطاء المتدفق بغير توقف.

الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين .. أستاذة طب الأطفال بجامعة القاهرة وأول من خصص قسما لروماتيزم القلب عند الأطفال .. وبدأت مدرسة جديدة متخصصة في روماتيزم القلب عند الأطفال .. وهو المرض الذي كان ينتشر بين أطفال مصر بنسبة حوالي 50% .. انخفض بجهودها إلى اقل من 10%.

لم يجل بخاطري أن أم الأطباء الأستاذة العالمة التي أعرفها منذ أكثر من ثلاثين عاما ... على وشك الرحيل ... وأن نبأ وفاتها سوف يحتل الصفحات الأولى بعد أيام قليلة ... رحمات الله ودعاء من الأعماق ... من كل الأبرياء الذين مدت يدها الكريمة .. تتحسس قلوبهم .. وتطبع قبلاتها على وجوههم وتطمئن قلوب أمهاتهم .. وهي تؤكد لهم أن الحمى الروماتيزمية قابلة للشفاء .. دون أن تترك بصماتها على قلب الصغير.. لتغتال حياته وهو في ريعان الشباب .. فقط لابد من العلاج بدقة متناهية.

لقد عرفت الأستاذة الكبيرة والطبيبة الإنسانة لأول مرة .. عندما ذهبت إليها ومعي صغيري ابن الرابعة .. بعد أن أخبرني الدكتور رشاد صقر أستاذ طب الأطفال بجامعة القاهرة .. انه مصاب بالحمى الروماتيزمية بعد سلسلة طويلة من التحاليل .. تسلمت التحاليل وانفجر بالبكاء .. ورفعت يدي إلى السماء أطلب الرحمة.. وحقق الله لي الدعاء .. على يدي تلك الطبيبة الإنسانة .. التي يندر أن يجود الزمان بمثلها..

وبدأت أتعرف من تلميذها وذراعها الأيمن المرحوم الأستاذ الدكتور احمد عيسى أستاذ الأطفال السابق بطب الأزهر.. وشقيق الزميل الراح جلال عيسى الرئيس السابق لدار الشعب .. تعرفت على الكثير من الأنشطة الإنسانية التي تساهم بها الدكتورة زهيرة عابدين .. وترفض دائما أبداً الحديث عنها أو بجرد الإشارة إليها. (*سقطت اسطر ..*)

... .. ورغم أمومتها الطاغية .. لم تذكر أبداً أحداً من أولادها .. ورغم أنها زوجة لعالم كبير وأستاذ عظيم هو الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التحاليل وشيخ أطباء التحاليل ومؤسس معظم أقسام التحاليل بالجامعات المصرية .. فهي دائما أبداً الإنسانة البسيطة المتواضعة والزوجة المصرية الأصيلة .. والأم التي (تتشيث بطباع الريف) (؟؟!) .. رغم ما حصلت عليه من تقدير من خارج بلدها .. من بريطانيا وأمريكا وألمانيا .. وكان يكفي الأجانب مجرد زيارة للمركز الخاص بالأطفال المصابين بروماتزم القلب في مطلع الطريق إلى هرم خوفو ...

الحقيقة أن الحزن يمزقني وأنا أحاول أن اكتب كلمة رثاء لإنسانة تسمو فوق كل الكلام .. إنسانة اختارها الله لتكون ملاكا حقيقيا للرحمة .. في عالم الطفولة .. فكانت البراءة المجسدة والمزوءة الخالصة .. والرحمة المهداة لطفولة مصر .. فإلى جنة الخلد مع الشهداء والصدّيقين ...

رحم الله أم الأطباء في ذكراها الأولى

فوزي تاج الدين محمد: المسؤول الإعلامي بجمعية لسان العرب

جريدة "عقيدتي" القاهرية (17 يونيو 2003)

"خير الناس أنفعهم للناس"، حديث شريف ينطبق على شخصيات كثيرة أفنت عمرها في رحلة عطاء دون انتظار أدنى مقابل، ومن هذه الشخصيات شخصية رحلت عن عالمنا في مثل هذه الأيام من العام الماضي، أنها الدكتورة زهيرة عابدين، التي جندت كل جهودها ووقتها وعلمها ومالها إلى أخطر ثالوث يعاني منه المجتمع الإسلامي بوجه عام، ألا وهو ثالوث الفقر – المرض – الجهل.

لم تكتف بالتنظير وإقامة الندوات وإلقاء المحاضرات، بل قدمت الخطوات الملموسة في عالم الواقع، فاستثمرت كونها "أم الأطباء بمصر" لبناء مستشفى للأطفال – مجاناً – قدم العلاج

والرعاية الصحية والغذاء المناسب خاصة للأطفال الفقراء والأيتام، إلى جانب إقامة جمعية خيرية تقدم خدمات اجتماعية عديدة للطبقات المحرومة، ولم تنس حاجة المجتمع إلى مدارس نموذجية تهتم بالدراسات العربية والدينية والتربوية لمواجهة الطوفان التغريبي لمدارس اللغات في مصر المحروسة بلد الأزهر الشريف.

وتذكر أوساط المثقفين ما قامت به الدكتورة زهيرة عابدين من عقد موسم ثقافي لسنوات عديدة، استضافت خلاله رموز الدين والفكر والثقافة، واظب عليه عدد غفير من طلاب الجامعة.

والشيء الذي يدعو للأسف حقاً، أنه رغم أن الموت واحد، إلا أن موت الدكتورة زهيرة لم يعرف به إلا عدد قليل، إذ لم تنل ما تستحقه من التقدير الإعلامي حين وفاتها، وقيل يومها أن سبب ذلك موت فنان كبير ولاعب كرة مشهور في نفس توقيت وفاتها ولأنها أحد رموز العمل الاجتماعي والديني لم تهتم بها وسائل الإعلام بينما الاهتمام كل الاهتمام لمن يفكر بقدمه، ولمن ملأ الشاشة مناظر عشق وهيام .. وهذه حقيقة، اللهم إلا بعض الصحف وخاصة الدينية — مثل عقيدتي — التي كرمت الدكتورة زهيرة بالكتابة عنها بعد وفاتها، وأيضاً في ذكرى وفاتها الأولى.

إن أخشى ما نخشاه أن نلقن الأجيال الناشئة درسا خاطئاً وهو تجاهل أصحاب الفكر والرأي والقضايا وعدم تدارس مسيرة حياتهم للخروج بدروس مستفادة تكون بمثابة نقاط ضوء أخضر ينير الطريق أمام التائهين وفي هذا المقام، ورغم ما أعرفه من كم هموم التي تحملها عقيدتي كجريدة دينية رائدة إلا أنني أدعوها إلى أن تتبنى قضية تكريم رموز العمل الاجتماعي مثل الدكتورة زهيرة، أعرف أن الفكرة جديرة بالاهتمام ولكن تحتاج إلى قدر كبير من المعاناة والنقش فوق الماء لكنه ليس بالأمر المستحيل. وكما يقول الشاعر العربي: "لو كان هماً واحداً لاحتملته *** لكنه هم وثان وثالث".

رحم الله الدكتورة زهيرة رحمة واسعة بقدر ما أعطت، ورحم الله أجيالنا الناشئة التي لم تقدم لها إلا النماذج الممسوخة لتكون مثلاً أعلى لهم!

ورحلت "أم الأطفال"!

فاروق هاشم

الأهرام المسائي (18 مايو 2002)

فقدت أمها وهي طفلة عمرها ثلاث سنوات فأعطت عمرها للأطفال وتخصصت في حب الأطفال بأن أصبحت أشهر طبيبة على مستوى العالم وتحولت إلى "أسطورة قلما تتكرر" ... هذا ما قاله 400 عضو يمثلون 50 دولة عن د. زهيرة عابدين التي رحلت منذ أيام وهم يمنحونها جائزة "نورجال" في ألمانيا أشهر جائزة للذين يقدمون خدمات تطوعية اجتماعية للإنسانية لمجتمعاتهم .. وكانت الوحيدة من خارج أمريكا وأوروبا التي تحصل على هذه الجائزة.

رحلت د. زهيرة التي اشتهرت بأنها "أم الأطباء" وهي في الحقيقة "أم الأطفال" لأنها اعتبرت الأطفال قضية عمرها بعد تخرجها في كلية الطب حيث أغلقت عيادتها الخاصة (وكانت من انجح العيادات في وقتها) بعد فترة وجيزة وتفرغت لحرب عدو الأطفال الأول في ذلك الوقت وهو روماتيزم القلب وأنشأت سنة 1957 أول مشروعاتها الخيرية "جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال" وأنشئت أول مستشفى متخصص لعلاج هذا المرض بالجهود الذاتية وكانت صاحبة الفضل في القضاء على هذا المرض بين أطفال مصر بجهدها وأبحاثها التي استفاد منها العالم كله.

لم تكتف بهذا بل أنشأت مستشفى آخر من أجل الأطفال بأموالها وأموال الذين آمنوا بدورها وإخلاصها هو "معهد صحة الطفل".

ولأن حبها للأطفال كان محركها الأساسي بعد إيمانها بالله والعمل ليل نهار على مرضاته سبحانه واعتبار أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم هو الأسوة الحسنة التي يجب أن نهتدي بها .. فقد أنشأت مجموعة مدارس في أنحاء مصر وأطلقت عليها مدارس طلائع الكمال تضم كل مدرسة المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية.

أنشأت من أجل الطلبة والطالبات غير القادرين مساكن وفّرت فيها الأمن والكرامة.

مشروعاتها كثيرة وكان آخرها وأهمها وأقربها إلى قلبها ملجأ للأطفال الأيتام على أرقى مستوى حيث تتم فيه رعايتهم وتعليمهم ليستطيعوا مواجهة الحياة...

رحلت "أم الأطفال" ذات الإرادة الحديدية التي لم يمنعها اليتم المبكر من الحصول على المركز الأول على مستوى مصر في البكالوريا (الثانوية العامة) عام 1936 – رحلت أول أستاذة جامعية بكلية الطب جامعة القاهرة. لذلك أطلقوا عليها لكل هذا " أم الأطباء" بعد أن حصلت على أعلى جائزة في مصر وهي الجائزة التقديرية وتبرعت بقيمتها لأوائل الخريجين المتميزين في طب الأطفال.. وأيضاً حصلت على وسام الدولة الذهبي.

وكرمها العالم المتقدم أيضاً فهي عضو بكلية الأطباء الملكية ببريطانيا، وأنشأت أكاديمية العلوم الاجتماعية بولاية فرجينيا قسما باسمها.

وحم الله الدكتورة زهيرة عابدين التي كان همها الأول والأخير مرضاة الله..

في حفل تأبين الشقيقتين – فاطمة وزهيرة عابدين

سيرتهما نموذج يجب تدريسها لبناتنا

مايسة عبد الرحمن الأهرام 5 يوليو 2002

أن يكون الإنسان دائماً في طليعة أقرانه او رائداً في أحد المجالات أو مؤسساً لإحدى المنشئات الناجحة .. فهو بلا شك شخص يستحق التقدير والتكريم .. أما أن يكون رائداً ومتفرداً مرات عديدة وفي مجالات كثيرة ومؤسسا لمشروعات وفيرة ليس فقط على مستوى وطنه وإنما على مستوى العالم كله .. وخاصة إذا كان امرأة وفي مجتمع وزمن لا يؤمن بتعليم المرأة ولا عملها وفي علم أجنبي عن ثقافة بلادها .. فهو حقاً أمر يستوجب الدهشة والفخار والتوقف والدراسة للتعلم والإقتداء. أنهما الشقيقتان المصريتان الطبيبتان الأستاذتان "فاطمة عابدين" و"زهيرة عابدين" اللتان توفيتا في شهر مايو الماضي وقد أقامت نقابة الأطباء حفل تأبين لهما بمناسبة ذكرى الأربعين حضره تلاميذهما من كبار الأساتذة والوزراء وافتتحه د. عاطف عبيد رئيس الوزراء.

فالشقيقة الكبرى الدكتورة فاطمة عابدين من مواليد 25 مايو 1913 وقد توفاها الله بعد أختها بتسعة أيام فقط في 16 مايو 2002، وهي أول امرأة تحصل على الدكتوراه وذلك سنة 1949 –وهي التي أنشأت قسم الباثولوجي بجامعة الأزهر للبنين– وهو علم تأثير الأمراض على أنسجة الجسم وهو من أهم علوم الطب – وهي صاحبة لقب "الملكة الأم" بين تلاميذها على

مدى خمسين عاما في تدريس هذه المادة.. وقد أقامت متحفاً للعينات التي جمعتها من أنحاء العالم في خدمة هذه المادة، وقد أطلقت جامعة الأزهر أسمها عليه .. وهي أول من اكتشف حقيقة السائل الأمينوي وهو السائل المحيط بالجنين داخل الرحم –على مستوى العالم– ولها 75 بحثا علميا وكان لها ريادة اكتشاف وتفسير بعض الأمراض. وهي أول مصرية تفوز بجائزة الدولة التقديرية (عام 1981).

أما الدكتورة زهيرة عابدين الأخت الصغرى فهي من مواليد 17 يونيو 1917 **وهي تعد من مجددي الدين** لهذا العصر حيث ترجمت حب الله تعالى وتقواه إلى جهاد دءوب يشع نوراً ونفعاً على المجتمع وعلى كل من حولها وقد حصلت على العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية التي تبرعت بقيمتها كلها .. ومنحتها نقابة الأطباء سنة 1990 لقب "أم الأطباء" واحتفى العالم بها تقديراً لجهودها وأبحاثها العلمية الفريدة التي زادت على 120 بحثاً معظمها اكتشافات حديثة في حينها ولا تزال تدرس في العالم حتى الآن.. وقد أنشأت جامعة العلوم الإسلامية الاجتماعية بفرجينيا بأمريكا كرسياً باسمها للدراسات النسوية، وهي رائدة ومؤسسة علم "طب المجتمع" على مستوى العالم كله فحققت لمصر الريادة فيه .. وهي المرأة الوحيدة على مستوى العالم اجمع شرقه وغربه التي اختيرت بانتخابات حرة لنيل الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة ادنبرة بانجلترا .. وهذا كله إلى جانب تأسيس ما يزيد على عشرين جمعية ودار خيرية لرعاية الأيتام والطلبة والطالبات والمسنين وتأهيل الفتيات وحضانات ومراكز ثقافية ومعظمها من ميراثها الشخصي بعد أن أغلقت عيادتها الخاصة وتفرغت لخدمة المجتمع .. وهي أول من ابتكر فكرة إنشاء مدارس أسلامية للغات (4 مدارس)!!

وفي حفل التأبين قال الدكتور حمدي السيد نقيب الأطباء إن الدكتورة زهيرة عابدين نموذج فريد بين الأطباء والعلماء للعمل الإنساني التطوعي بتفان ودأب شديد لوجه الله تعالى وكأنما كل كبيرة وصغيرة تعنيها شخصياً وكانت بداية لنهضة علمية طبية إسلامية عظيمة. وهي أول من خرج بعلمهم خارج أسوار الجامعة إلى المجتمع وهو نموذج نفتقده و ستظل دائماً تذكر بين عظماء هذه الأمة. وقال الدكتور طه جابر العلواني أستاذ الشريعة ورئيس المجلس الفقهي لشمال أمريكا.. إن الذي يجب أن ننتبه إليه في سيرة هاتين الشقيقتين .. أنهما ظهرتا في وقت كانت النخبة تعاني من انقسام حاد حيث كان المستعمر يستخدم المرأة كأهم مدخل لتفكيك الأسرة وصولا إلى تفكيك المجتمع، فأشاع فكرة أنه لا مجال للتعايش بين الإسلام والحداثة .. فإما الإسلام والعيش في

الماضي والإمتناع عن كل معطيات الحضارة وإما اللحاق بركاب الغرب، فجاءتا فاطمة وزهيرة لتؤكدا كذب هذه النظرية، وأن المرأة المسلمة الملتزمة بإسلامها وبحجابها لا يمكنها فقط اللحاق بالأوروبية بل انها تتفوق عليها وعلى كثير من رجال الغرب أيضاً. وقال الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء الذي تربطه صلة نسب مع الدكتورة فاطمة انها كانت تجسد العطاء للعلم والوطن وتؤكد ان العلم هو المصدر الأساسي للقوة. وكانت نموذج للتمسك بالقيم الدينية وانها أعطت لهم المثل في أدب المعاملة واحترام الكبير والصغير والحث على المعروف والنهي عن المنكر في أدب كما كانت حريصة على رعاية النابهين. وقال الدكتور عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التحاليل الطبية وزوج الدكتورة زهيرة عنها أنها كانت تقضي وقتها في العبادة والمذاكرة والعمل بإخلاص لوجه الله ولقد كان التقدير العلمي لها في أوروبا أكبر منه في المنطقة العربية.

العبقرية ... إمرأة دائما

بقلم دعاء السنجري – مجلة الإذاعة والتلفزيون 8 يونيو 2002

"على الرغم من أعمالها الخيرية وتفوقها العلمي الذي ذاع صيته في ارجاء العالم كله وعلى الرغم من امتداد شهرتها نحو الآفاق العالمية، إلا أنها رحلت في صمت، رحلت عن 84 عاما بكل ما يمكن ان يعيشه الإنسان فيها من مشاكل وما تمر عليه من مآزق ومشكلات إلا انها لم تستطع بقوة المنطق أو قوة الزمن أن تنال من تلك القسمات الطفولية التي تطغى على وجهها ولا على هذه الملائكية التي قلما تتكرر عند البشر.

عند اللقاء بها تأخذك إلى عالمها في سرعة البرق لتتواجه مع وجه آخر للحياة وتتعجب من كل هذا الخير الذي تحمله تلك الطاقة النورانية التي فاقت مشروعاتها الخيرية مدى التصور العقلي في زمن وصف أبناؤه بالمادية والنفعية والانتهازية.

استطاعت أن تثبت للعالم كله أن المرأة كائن عبقري وأن العبقرية ليست حكراً على الرجال كما يحب البعض أن يردد، فحياتها سلسلة من التفوق والنبوغ والتميز على جيل بأكمله.

إنها الدكتورة زهيرة عابدين التي وصفتها الصحف الغربية بأنها نموذج لإمرأة قلما تستطيع امرأة أخرى محاكاتها في سيرة حياتها المليئة بالأعمال الخيرة، وأنها تحظى بإعجاب كبير وتقدير عظيم من العالم كله الذي كرمها كرمز من الرموز النسائية الباهرة.

لأن ما قامت به هذه السيدة في حياتها يقترب من مرتبة الأسطورة وما أنجزته خلال اربعة وثمانون عاما هي عمر مديد حافل بالعمل والجدية والعطاء وما كانت تفكر في إنجازه يفوق الخيال..."

بدأت رحلتها مع التفوق عام 1936 حين جاء مرتبتها الأول في امتحان شهادة البكالوريا "الثانوية العامة" على القطر المصري كله، كذلك كانت الأولى خلال دراستها الجامعية حتى ان أساتذتها كانو يفخرون بها ويعيرون زملائها من البنين تبفوقها والذين كانوا يؤكدون بدورهم أن نجاحها وتفوقها عليهم صدفة لن تتكرر غير أنها ظلت تتكرر حتى تخرجت كأول دفعتها عام 1943، وهي أيضاً حاملة لقب أم الأطباء في مصر وقد منحت الدرع الذهبي لكلية طب القصر العيني بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما على تأسيسها كأقدم كلية طب في العالم العربي، غير أنها رائدة الطب الاجتماعي في المحيط الإسلامي بل في العالم اجمع، وكانت أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بالجامعات المصرية وكان ذلك إثر عودتها من انجلترا واجتيازها لامتحان عضوية الجمعية الطبية الملكية كإمرأة عربية وحيدة في ذلك الوقت، تخصصت في طب الأطفال وروماتيزم القلب وقدمت في هذه المجالات من الأبحاث والجهود العلمية والخدمات العامة ما أهلها لأن تكون الطبيبة الوحيدة على مستوى العالم التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة ادنبره بانجلترا عام 1980 وأن تكون أول مسلمة عربية تمنح جائزة اليزابيث نورجال العالمية للمرأة والخدمات الاجتماعية من المانيا عام 1991 وأخيراً قررت أكاديمية العلوم الإسلامية والاجتماعية بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة إنشاء قسم وكرسي أكاديمي لدراسات المرأة باسم العالمة المصرية زهيرة عابدين.

وكان يكفينا منها هذا التفوق والنبوغ منقطع النظير حيث لم تصل إليهما أي امرأة عربية أو أجنبية حتى الآن. إلا ان هناك جانباً آخر في حياة الراحلة د. زهيرة عابدين لا يمكن تجاهله حيث بدأ معها منذ بداية حياتها العملية وحتى وافتها المنية حين اهتز قلبها للأطفال المرضى بروماتيزم

القلب الذين كانوا يترددون على مستشفى ابو الريش التي عملت بها فور تخرجها، وفكرت كثيراً في وسيلة إنقاذ لهؤلاء الأطفال فكانت جمعية أصدقاء مرضى روماتزم القلب ومكانها في الهرم، وعندما وجدت ان علاج الأطفال يستلزم وجودهم لفترات طويلة أقامت لهم مدرسة ابتدائية ملحقة بالمستشفى وكان هذه البداية التي كلفتها وقتها 700 جنيه ثم توالت المشاريع بفضل أهل الخير لتصل قيمتها المادية اليوم الى ملايين الجنيهات وهي معهد صحة الطفل ودار الطلبة الجامعيين المتفوقين والمعوزين ومجموعة مدارس الطلائع الإسلامية المتكاملة للغات ودار ضيافة للمسنات تشمل خدماتها رعاية الأرامل واللقطاء ووقفاً لليتامى، ولقد امتد النشاط الخيري لخارج مصر حيث أسست أول كلية طب للبنات بدولة الإمارات العربية وأقامت مؤخراً وقفاً لتعليم أطفال البوسنة والهرسك.

هذا الفيض من الخير وهذا الإصرار على التفوق والتميز يرجع في أساسه لأمرين في حياة الدكتورة زهيرة عابدين، الأول هو يتمها للأم وقد عرفته قبل بلوغها الثالثة من عمرها حتى أنها ومنذ اقل من عام قالت لي: إن هناك مشهداً يراودها بين الحين والأخر دون انقطاع منذ أكثر من 80 سنة وحتى لقائنا ألا وهو حين تشبثت بيدى والدها بينما هو يصر على تركها خارج إحدى حجرات المنـــزل ليدخل بمفرده على أمها وهي تحتضر، ويظل ممسكاً برأس الأم بينما تجلس إحدى سيدات العائلة إلى جوارها تقرأ عليها بعض آيات الذكر الحكيم حتى لفظت أنفاسها الأخيرة. وأضافت الراحلة أنها تتذكر عن أمها بعض الأحداث قد ترجع الى عمر السنة والنصف سنة وأنها لم تجد تفسيراً علمياً أو طبياً ...

الأمر الثاني هو تجاور منـــزلها لبيت الأمة وصداقة والدها مع الزعيم سعد زغلول بل ورعاية صفية زغلول لها مما كان له أكبر الأثر في توعيتها المبكرة حيث تابعت عن قرب نشاط هدى شعراوي الخيري ولمست كذلك اهتمامها بالناس مما أكد بداخلها حب الخير بل كان دافعاً لترجمة هذا الحب إلى عمل، وكانت تذكر ضمن ما تذكر عن الماضي البعيد يوم تعرض سعد زغلول لإطلاق الرصاص عليه وذهبت مع والدها تحمل بعض الزهور التي قامت باختيارها بنفسها وألقت كلمة أمام الحاضرين وقد بكى بعضهم من فرط تأثرهم بالموقف وأثنى عليها سعد زغلول، ليمثل هذا الحدث نقطة تحول في حياتها حيث التفت والدها لتميزها فازداد اهتماماً بها ورعاية وداوم على اصطحابها إلى المكتبات والتركيز على قراءة الكتب التاريخية والإسلامية.

ولن أنسى ما قالته لي عبر لقاءات متكررة معها من ان هناك أمرين يؤرقاها الأول أنها وفي لحظات النقد الذاتي وبصراحة شديدة تعترف أنها لم تقدم لأبنائها الرعاية الكاملة في سن المراهقة والتي لا يكفي فيها الاهتمام بالصحة والدراسة والتعليم والاعتماد على الذكاء الفطري وتمنت لو أعطتهم وقتاً أطول واهتماماً أكثر في مرحلة المراهقة.

كما أنها لم تبصرهم بتجارب الحياة التي كانت تفتقر إليها بسبب انشغالها بالعلم والدراسة بدلا من تركهم لذكائهم الفطري والخلقي والذي كان قد عوضهم عن بعض التقصير من جانبها إلا انها تؤكد أن اقتراب الأم من أطفالها ومن تفكيرهم وسلوكهم في مرحلة المراهقة مهم جداً لتهيئتهم للتعامل مع المجتمع الخارجي وتحصنهم ضد مساوئه وأخطاره وتزودهم بكل ما يتلاءم مع العصر من خبرات جديدة.

ثم اعترفت لي في لحظة صدق أخرى انه على الرغم من نجاحهم جميعاً وعملهم كأساتذة في كليات التي تخرجوا فيها إلا أنهم مازالوا يعانون من إهمالها لهم في هذه المرحلة الخطيرة حتى أنها كثيراً ما تندم على هذا ثم تردد أرجو منهم أن يسامحوني!!

الأمر الثاني والذي بثته لي في آخر لقاء لي معها هو خوفها الكبير على انهيار مؤسساتها الخيرية بعد رحيلها وقالت لي بالحرف الواحد إنها أدت رسالتها و لم يعد هناك شيء لتفعله غير الدعاء لله تعالى بأن يحفظ تلك المؤسسات الخيرية، ولعلها دعوةً لأبنائها أيضا بمحاولة ذلك.

أم الأطباء

بقلم د. نعمات أحمد فؤاد

جريدة الأهرام 29 مايو 2002

منحت نقابة الأطباء الدكتورة زهيرة عابدين لقب أم الأطباء. لقد اتسعت أمومتها فشملت مرضي روماتيزم القلب من الأطفال.. واتسعت رعايتها فوسعت المسنات كما فردت جناحا على (الشابات المسلمات)..

إنها أم الخير.

أهلنا في الصعيد يحبون إطلاق اسم(أم الخير) علي بناتهم، تيمنا... كم يطيب لي أن أطلق هذا الاسم الطيب المعطاء على الدكتورة زهيرة عابدين، فكم أعطت وكم تبنت مشروعات وجمعيات، وكم أسهمت وكم رعت.. وأترعت.. **كانت هرما للعطاء**.. وكانت مهتدا.. وكانت سؤددا.. وكانت رافدا متجددا.. أعمالها الباقية تقول بعد أن صمت الكلام.. فعلت هذا كله ولديها أبناء نجباء وأسرة سعيدة..

على أعلى الربوة وقف الإنسان المصري القديم، وأراد أن يكون له هرم و لم تكن إرادته هذه حلما بسيطا، أو رغبة عارضة، فإن تحقيق هذه الإرادة لا يقوم إلا على العلم بأصول البناء وهندسته... وعلي إدارة حازمة تنسق العمل بين ألوف العاملين.. فإن العقل ليحار كما يقول العالم الأثري الدكتور أحمد فخري إذا ما أعملنا التفكير في كمية العمل التي يحتاج إليها مثل هذا البناء، حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة.

وقام الهرم ليروع الدنيا حتى اليوم.. و لم ينج من البهر نابليون وعلماء الحملة الفرنسية من ورائه!! إذ قدروا أن ما بالهرم من الأحجار يكفي لإقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسمكه متر.

وتطول الاحصاءات والمقارنات، ولكن الذي يعنينا هنا، قدرة مصر على التشكيل والتنظيم والتصميم والخلق والخلود.

الهرم الجديد هو الإنسان المصري إذا استوعب الدرس، والمعنى، والدلالة.. وانطلق من وراثة حضارية يضفي ويضيف معنى تمثله الدكتورة زهيرة عابدين.

ففي المكان نفسه، وعلى الربوة بنت بالحس الحضاري وبالوراثة الحضارية في البناء والإنشاء وزراعة العقل كالحقل، وتخضير القلب كتخضير الأرض.. أقامت مصر من خلالها.. خلال الطبيبة الإنسانة، الدكتورة زهيرة عابدين، هرما آخر، من قلوب، هذه المرة يصعد منها، الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه على هدي من سجاياها.. وعلى نور من ضياها، وعلى عرف من أنفاس رياها.. هذه الدار التي أتحدث عنها وقفت وراءها ارادة صممت ونظمت وجمعت القلوب قبل المال، وضمت الى النساء، الرجال.. وشيدت هذا المركز، صرحا، لوائيه يرفعه من الأرض الى الأفق، وينتعه من الوهاد الى إشراق واشراقة القمة. ....

ليس للمرأة المصرية أن تتنادي بالمساواة، فهي لم تساو الرجل، فحسب، بل ساوته حين أعطت في كل مجال، وحين رفعت من عطائها أعلاما ترفرف في سماء بلادي..

لم يكتب قلمي يوما سطرا واحدا رثاء الناس، أو ابتغاء زلفى، أو اشتهاء مغنم، ولكني أطري مناقب الدكتورة زهيرة عابدين بعد الغياب لأن اطراءها صدق، والثناء عليها حق، وأبارك عملها لأن القول فيها، كظلها مديد.. كبحرها يفيض ولا يغيض... وبعد المطاف وطول الطواف، يقف القائل لا يحيط بها ولا يزيد..

ماذا يقول الناس في طبيبة تقفل عيادتها وتزهد فيما تدره العيادة من مال يتلهف عليه الإنسان، الذي كابد دراسة الطب، لتتفرغ للأعمال الخيرية مما امتدت إليه رسالتها الإنسانية.

دكتورة زهيرة.. إننا نكرمك بعد أن سبقنا الى تكريمك منذ سنوات خلت، هيئة الأمم المتحدة، التي اختارتك ليس عن مصر وحدها وما أجلها، ولكن عن إفريقيا.. إننا نكرمك بعد أن سبقنا الى تكريمك، التقدير العلمي العالمي، الذي تمثل في دعوتك الى المؤتمرات العالمية.

إننا نكرمك بعد أن أكرمك الله وأظهر آيته يوم (المصعد) حين سقط بك فروعت القاهرة، لأن الإنسان الذي يسقط بين الأسلاك الكهربائية من الدور السادس لا يترك في الأمل، بقية، ترتجي... ولكن الله سلمك في ذلك اليوم البعيد ورعاك، لأنه أراد بمصر خيرا.. ولأنك قدمت خيرا كثيرا والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

لقد كرمتها الجمعية الملكية بلندن، وبحسب المرء أن يكون في وطنه، وفي خارجه،: رمزا ومَعلما (بفتح الميم وسكون حرف العين).

رحلت الدكتورة زهيرة عابدين جسماً وبقيت روحاً تلهم الأسوة وتصنع القدوة، وتكتب في تاريخ المرأة المصرية صفحة ناصعة. وللمرأة المصرية تاريخ مديد ومجيد في السلم والحرب يفرد له، الحديث.

الدكتورة زهيرة عابدين كانت أمّـــاً بالمعنى الجامع، وكانت علامة مصرية، وكانت تاريخا يعتز به التاريخ في وطن التاريخ والأمجاد.

الدكتورة زهيرة عابدين ذات الثقافة الرفيعة والتدين العارف الذي يستمد عمقه من إيمان عميق بالله.. ثم إيمان عميق بالإنسان الذي يزيده العلم توفيقا وتحقيقا فتروع التقوى منه لأن وراءها معين فياض من المعرفة والعمق والنفاذ يزيد الإحساس رهافة، ويزيد التقوى شفافية وعمقا وصدقا وتصديقا.

هكذا كانت الدكتورة زهيرة عابدين الطبيبة المصرية والتقية والوفية لكل هذه الصفات التي تتوجها. إنما تذكرنا بالتقيات على مسار التاريخ الإسلامي، من صاحبات العطاء في شتى نواحيه، واللائي وقفن المال والعقار على الأعمال الخيرية.

من ريادات الدكتورة زهيرة عابدين:

- أول طبيبة عربية تمنحها كلية الأطباء الملكية بلندن درجة الزمالة.
- الطبيبة الوحيدة التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة أدنبره بانجلترا على مستوى العالم كله 1980.
- منحتها مصر وسام الدولة الذهبي تقديرا لمكانتها العلمية، قدمه لها الرئيس السادات.
- أسست أول كلية طب متطورة بدولة الإمارات العربية (كلية دبي الطبية للبنات) عام 1986 ووضعت مناهجها.
- للدكتورة زهيرة عابدين من الأبحاث العلمية ما يربو على المائة والعشرين بحثا في المجلات العلمية بمصر والعالم.
- منحتها الدولة الجائزة التقديرية سنة 1996 في العلوم الطبية التطبيقية، فتبرعت بقيمتها المادية لأوائل الخريجين في طب الأطفال والدراسات العليا.

في المكتبة العربية مجلد ضخم باسم (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) يضم 549 اسما، ولكن ما كتب عن كل منهن من باب التعريف أو الطرائف، ولكن الدكتورة زهيرة عابدين من الدُر المكنون العالي الذي دخل التاريخ العلمي الإنساني الذي تعتز به القيم.

زهيرة عابدين أم أطباء مصر

مجلة أكتوبر– 11 مايو 2003

الدكتورة زهيرة عابدين التي تحل ذكراها هذه الأيام كانت لها إنجازات وانفرادات في مجالات الطفولة والمرأة والخدمة الاجتماعية والمكانة العلمية الطبية في مصر والعالم.

أولى البكالوريا (ثانوية عامة) على القطر المصري عام 1936 متفوقة على زملائها الذكور في وقت لم تكن الفتيات يتعلمن فيه أصلاً.

وهي الطبيبة الوحيدة في مصر الحاصلة على درجة عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن في عام 1948.

أول امرأة يسمح بتعيينها عضو هيئة تدريس في الجامعات المصرية سنة 1949 حيث كان لتفوقها الفضل في كسر ذلك القيد المفروض على المرأة.

الطبيبة الوحيدة في العالم التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة أدنبره (بانجلترا) عام 1980 ولم تمنح هذه الدرجة إلا لطبيب أمريكي وقد سألوها أثناء تكريمها عن وضع المرأة في المجتمع العربي فقالت: (أنا لا أري هنا من بين المكرمين امرأة سواى على مستوى العالم وأنا امرأة عربية).

المرأة العربية الوحيدة التي منحت جائزة إليزابيث نورجال العالمية من النادي النسائي الدولي عام 1992 بألمانيا.

أسست أول كلية طب متطورة للبنات بدبي بدولة الإمارات ووضعت مناهجها عام 1986.

كانت أستاذ طب الأطفال وتخصصت في قلب الأطفال ولما أحزنها حال الأطفال مرضى الحمى الروماتيزمية أنشأت مركز القلب والروماتيزم بالهرم لخدمة الأطفال المرضى في اواخر الخمسينات .. **أول من قامت بحملة قومية بالإشتراك مع وزارة الصحة لمكافحة مرض روماتيزم القلب فكان يأتي أطباء وزارة الصحة والصحة المدرسية للتدريب على التشخيص المبكر والعلاج تحت إشرافها من جميع محافظات مصر وأسهم ذلك في خفض معدلات انتشار الإصابة وتأخر الحالات.** أنشأت معهد صحة الطفل بالدقي لرعاية الأطفال دون الرابعة من العمر وعلاجهم من الأمراض الشائعة كسوء التغذية والنـــزلات المعوية والجفاف.

- أنشأت داري إيواء للأطفال مجهولي النسب لرعاية الأطفال المحرومين.
- أنشأت تخصص قلب الأطفال بعيادات خاصة للتشخيص والمتابعة في الطب حيث لم تكن التخصصات الفرعية الدقيقة في طب الأطفال قد عرفت بعد.
- أول أستاذة تهتم بالعلاقة بين الطب والعوامل الاجتماعية فمنحتها جامعة القاهرة لقب أستاذ كرسي طب المجتمع.
- ولها من الأبحاث العلمية ما يقرب على المائة وعشرين بحثاً منشورة بالمجلات العلمية المصرية والعالمية.
- منحتها نقابة الأطباء لقب (أم أطباء مصر) عام 1990 .
- ومنحتها الدولة الجائزة التقديرية في العلوم الطبية التطبيقية عام 1996 وتبرعت بقيمتها لأوائل الخريجين المتميزين في طب الأطفال والدراسات العليا.
- أسست جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال عام 1957 ومن خلالها أقامت مركز القلب والروماتيزم بالهرم ومعهد صحة الطفل بالدقي اللذين قدما بالإضافة للخدمة الطبية خدمات اجتماعية كدور المُسّنات وإيواء الأيتام وإعانة الحالات الاجتماعية المحتاجة، هذا بالإضافة لدار للطلبة المغتربين.
- وأسست جمعية الشابات المسلمات بتكليف من وزيرة الشؤون الاجتماعية منذ أكثر من عشرين عاماً فأقالتها من عثرتها ونهضت بها وأسست من خلالها دار الحسين أمام جامعة الأزهر لخدمة أهالي الحي حيث احتوت على دار حضانة ومشغل لتعليم الفتيات بالحي التفصيل والتطريز ودار للطالبات وعيادة طبية.
- خصصت وقفا من مالها الخاص لإعانة الأرامل المعيلات ووقفاً لتعليم أطفال البوسنة ...

الدكتورة زهيرة عابدين في رحاب الله

د. محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر

جريدة الأهرام 31 مايو 2002

في الأيام القليلة الماضية توفيت إلى رحمة الله تعالى الدكتورة زهيرة عابدين — ومضى رحيلها في صمت لا يتناسب مع عطائها الكبير للوطن، ولقد تصادف أن رحيلها تزامن مع رحيل نجمين من نجوم المجتمع هما الكابتن صالح سليم والفنان احمد مظهر رحمهما الله، وعطاؤهما في مجاليهما لا ينكر، ولقد نعاهما الكثير في أجهزة الإعلام، بينما تناسى الجميع الراحلة الكريمة الدكتورة زهيرة عابدين التي تعتبر نموذجا عظيما للعطاء للوطن.

فالدكتورة زهيرة عابدين وقد عاشت بفضل الله عمراً مديداً أمضته في خدمة الوطن ونفع الناس، وبالتالي ينطبق عليها قول الرسول صلى الله عليه وسلم، "خير الناس أنفعهم للناس" و(أعمالها) اكثر من أن تحصى، ولكن يمكن **الإشارة** إلى ان **هذه الأعمال توجهت بشكل مباشر إلى مكافحة الثالوث الرهيب المزمن "الفقر" "المرض" "الجهل"** — ففي مجال الفقر أنشأت جمعية خيرية عاد نفعها على العديد من الفقراء والمحتاجين فس صورة إعانات مالية (وغيرها)، وفي مجال المرض وباعتبارها استاذة في الطب أنشأت مستشفى خيري في الدقي لعلاج الأطفال به، كما أسست وتولت عمادة كلية الطب للبنات بدبي فضلا عن دورها كأستاذة بطب القاهرة حتى إنه أطلق عليها لقب "أم الأطباء المصريين". أما في مجال مكافحة الجهل فلقد أنشأت عدة مدارس نموذجية فضلاً عن رعايتها المالية والاجتماعية لعدد كبير من طلاب الجامعات إلى جانب إقامة موسم ثقافي سنوي، وهذا قليل من أعمالها الكثيرة التي لا علم لي بها لأن معرفتي بالدكتورة زهيرة تمت منذ وقت قريب ومن خلال المشاركة في النشاط الثقافي الذي تقيمه سنوياً (في معهد صحة الطفل) .

والشيء الجدير بالتنويه اليه والذي يحتاج إلى تصحيح هو الإهتمام المبالغ فيه بنجوم الفن والرياضة، ونسيان نجوم المجتمع الذين أفنوا عمرهم في خدمة الوطن في مجالات الحياة الأخرى الضرورية التي تعمل على حل مشكلات المجتمع والإسهام في التنمية خاصة ما يتصل منها بمكافحة الفقر والمرض والجهل كما فعلت الدكتورة زهيرة عابدين. فهل يمكن أن نستدرك ذلك وننشر ليس نعياً فقط وإنما إظهار لعطاء الدكتورة زهيرة عابدين للوطن وكيفية استكمال مسيرتها، وهذا

واجب أبنائها الأطباء والعاملين والمستفيدين من مشروعاتها الخيرية، وليس هذا واجباً فقط نحو الراحلة الكريمة وإنما نحو الوطن وغرساً للقيم النبيلة عي وجدان الأجيال الجديدة حتى تستمر مسيرة العطاء للوطن، ونفع الأخرين.

وحم الله الدكتورة زهيرة عابدين جزاء ما قدمته للإنسانية، إنه سميع الدعاء.

رموز العمل الاجتماعي ..

جنود مجهولون – لا يبحثون عن الأضواء .. خدمة البشرية .. الهدف !

السيد العزاوي – باب الكلم الطيب: جريدة المساء 14 يونيو 2002

رموز العمل الاجتماعي في كل العصور .. في داخلهم أنهم جنود مجهولون يبتغون رضا الله وهذا حسبهم و تلك طريقتهم التي لا يتعدون عنها مطلقاً، لا تعنيهم الأضواء ولا يلتفتون اليها بأي حال من الأحوال، و تحت أي ظروف .. هدفهم الأساسي خدمة البشرية وهذه غاية المراد والأمنية التي يتطلعون اليها، بالإضافة إلى انهم يتركون أعمالهم تترجم عن اساس اهدافهم وما يدور بداخلهم : "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد" سورة البقرة 207.

قفزت هذه المعاني إلى الذهن حينما كنت في زيارة خاطفة للمحلة الكبرى منذ فترة قصيرة وعند دخولي إلى مقر شركة غزل المحلة واجهتني **صورة عملاق الإقتصاد المصري** محمد طلعت حرب، وازداد اعجابي بالرجل اكثر حينما شاهدت ألاف العمال وهم يغادرون وزملاؤهم من اصحاب الوردية الأخرى يدخلون إلى المصانع، الجميع يبدو على وجوههم البشر والتفاؤل وعشق العمل يتمثل في انتاجهم وقلت في نفسي: ان الرجل لم يكن يبحث عن الأضواء يوم ان فكر في هذا العمل الجيد غيره من بيك واستوديو مصر، هدفه خدمة ابناء مصر وتحقيق الإكتفاء الذاتي واستغلال الخامات التي تنتجها ارضنا الطيبة في تصنيع الملابس، ولم يكن اختيار الرجل للمحلة عشوائياً وانما بأسلوب علمي حيث ان جو المحلة يتناسب مع صناعة الغزل والنسيج، وقلت في نفسي ايضاً، يكفي الرجل ثواباً توفير لقمة عيش حلال لهذه الآلاف من الرجال والنساء. انه حقاً عمل يتحدث عن جهود الرجل وصدق شاعرنا القديم:

قد مات قوم وما ماتت مآثرهم   وعاش قوم وهم في الناس اموات

ولعل هذه الأعمال تكون شفيعاً لهذا العملاق وفي ميزان حسناته وهو في رحاب الله سبحانه: ان الذين آمنوا وعملو الصالحات، إنا لا نضيع اجر من أحسن عملاً " سورة الكهف.

كما قفزت الى الذهن ايضاً صورة سيدة فاضلة من نساء مجتمعنا المصري هي السيدة الدكتورة زهيرة عابدين. فقد جاءتني منذ اكثر من ثلاثين عاماً ترافقها احدى صديقاتها، وكانت تريد مساعدتها في انهاء عمل اجتماعي لخدمة الأطفال الأيتام، وخلال حديثي معها تبين ان هدف هذه السيدة الفاضلة خدمة اكبر عدد من البشر، وعندما طلبت ان انشر هذه الأعمال التي تترجم مدى اهتمامها قالت في نبرة هادئة: يا بني اعتبرني من الجنود المجهولين، لست ابحث عن الشهرة او الأضواء. أسمى عمل لدى توفير عمل أو تقديم خدمة ليتيم او بائس. انني ابتغي فقط رضا ربي، واذا كان هناك نشر فهو من باب حض الآخرين وحثهم على العمل الاجتماعي. وارجو من الله القبول، وهذا منتهى الأماني. ثم قالت: الم تقرأ قول الله تعالى: " إنما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريراً." سورة الإنسان 9، 10..

وقد رحلت عن عالمنا منذ فترة قصيرة هذه السيدة الفاضلة بعد ان تركت مدارس وأماكن لخدمة البشرية.

هذه الأعمال التي تركها طلعت حرب وزهيرة عابدين وغيرهما مما تضيق هذه المساحة عن ذكرهم، تعيدنا إلى زمن جميل، و تذكر أجيالنا بأن العمل الجيد هو افضل نموذج يظل يذكر الناس ويخلد هؤلاء على مدى التاريخ. وليت القادرين من ابناء وطننا،كل في مجاله، يدركون هذه الحقائق ويقتدون بتلك النماذج المحترمة جداً من ابائنا وأمهاتنا.. " فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال" سورة الرعد 17.

في نفس الوقت تداعى إلى الخاطر ذكريات الرجال العظام في عصر النبوة الأولى، فيوم ان سمع الصحابة نداء الرسول الكريم للمساهمة في تجهيز جيش المسلمين والإستعداد للجهاد في سبيل الله، لبي النداء جميع القادرين، وفي مقدمتهم عثمان بن عفان، ورفض ان يتقاضى أي ثمن من التجار لتلك الصفقة القادمة اليه من ارض الشام، و تبرع بها في سبيل الله راجياً ان يتقبل منه الله وان يضاعف ثوابه. وكذلك سيدنا ابو بكر الذي قدم كل ماله وعندما سأله رسول الله قائلاً: وماذا أبقيت لأولادك؟ اجاب بكل إيمان وثقة: ابقيت لهم الله ورسوله، فرد عليه الرسول بما معناه ان الله لن يخيب أملك ولن يضيعك رب العالمين. وما أكثر هذه النماذج .. فيوم ان مرض الحسن

والحسين ونذر الإمام علي كرم الله وجهه وزوجته السيدة الفاضلة فاطمة الزهراء ان يصوما لله ثلاثة ايام ان شفى الله ولديهما وحقق الله رجاءهما، وعند نهاية اول يوم في الصوم تنازل الإمام وزوجته والخادم عن طعام الإفطار لمسكين، وفي اليوم الثاني ليتيم .. والثالث لأسير .. وهذا العمل الذي لا يقصد به هؤلاء شهرة ا اكتساب رضا الآخرين "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً " .. اذن هدف الجميع قديماً وحديثاً خدمة البشرية وابتغاء مرضاه الله في المقدمة، قلوب هؤلاء تفيض رحمة وحناناً ومودة لكل إنسان حتى وان اختلف معهم لأن هدفهم الأساسي خدمة البشرية، لا تهمهم الشهرة، أو أن يتحدث الناس عن أفضالهم .

ليت هذه النماذج تكون دافعاً لنا جميعاً على أن نتفانى في خدمة المجتمع، ونبتعد عن السلبيات الموجودة بيننا، وان يكون العمل والإنتاج الجيد هو رائدنا جميعاً، لأنه السبيل الوحيد للنهضة والتقدم، وليتنا نتدارك أمورنا وليكن هؤلاء الآباء والأجداد نصب أعيننا، ولنترحم عليهم لأنهم تركوا تصمات لن تمحوها الأيام مهما تقادم الزمن، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أم الأطباء المصريين .....

القارئ – أنس محمد الطيب – المنصورة

الأهرام المسائي: باب كشكول– من صفحات القراء 2 فبراير 2004

نشرت **مجلة آخر ساعة** في عددها الصادر في 1960/2/17 خبراً تحت عنوان (**تتطوع لعلاج روماتيزم القلب بالمجان**) وجاء فيه أن الدكتورة زهيرة عابدين الأخصائية في أمراض القلب بمستشفى قصر العيني قامت بتجربة إنسانية لمساعدة 500 طفل من المصابين بمرض روماتيزم القلب، وأنها نجحت في تنظيم حملة لجمع عدة ألاف من الجنيهات وأنشأت مستشفى لعلاج هؤلاء الأطفال بالهرم يتسع لخمسين سريراً ومازالت تواصل الحملة، وبجانب هذا الخبر، نشرت صورة للدكتورة زهيرة عابدين وهي ترتدي ملابس محتشمة راقية وغطاء وقور للرأس في وقت ندر فيه من ترتدين الحجاب سواء في الأوساط المتعلمة او غير المتعلمة، والدكتورة زهيرة عابدين **هي القلب الذي يحب** (الغلابة)، واخترع له علماً خاصاً اسمه الطب الاجتماعي، وهي التي كرمها الغرب ومنحها أرفع الأوسمة، ومنحتها نقابة أطباء مصر لقب (أم الأطباء المصريين) عن جدارة.

ولدت الدكتورة زهيرة عابدين بالقاهرة عام 1917 وكان والدها من الرعيل الأول الذين درسوا القانون في فرنسا، وأصبح عضواً بمجلس الشيوخ. وقد توفيت والدتها وهي صغيرة ولعل هذا دفعها إلى الإهتمام باليتامى والتقرب إلى الله والتعمق في دراسة الطب للتعرف على معجزات خلقه من خلال فسيولوجيا جسم الإنسان. ثم حصلت على البكالوريا عام 1936 وكانت الأولى على القطر المصري . ثم التحقت بكلية طب الجامعة المصرية وكانت الأولى طوال سنوات الدراسة حتى حصولها على البكالوريوس عام 1943 ثم سفرها لإنجلترا وحصولها على درجة العضوية الطبية الملكية كأول طبيبة عربية تحصل على هذه الدرجة، حيث عينت بعد عودتها بهيئة التدريس بكلية طب القصر العيني وتدرجت في المناصب حتى وصلت إلى أستاذة طب الأطفال وكانت أول سيدة ترأس قسم الأطفال بالجامعة. وتزوجت من الدكتور عبد المنعم ابو الفضل أستاذ التحاليل بالكلية، وواصلت رسالتها حتى نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة ادنبرا في انجلترا وكانت الطبيبة الوحيدة على مستوى العالم كله 1980 — ثم (كلفتها دولة الإمارات المتحدة) بتأسيس كلية دبي الطبية للبنات حيث أصبحت أول عميدة لها.

خلال هذه الرحلة الطويلة اهتمت بالعلاقة بين الطب والمجتمع، وتقوم فكرة الطب الاجتماعي على ضرورة نزول الأطباء إلى المجتمع والمشاركة بجهودهم للتعرف على مشاكله الصحية على الطبيعة، ومن ثم وضع الخطط للقضاء عليها بطريقة عملية بدلاً من التخطيط النظري في المكاتب المكيفة.

والدكتورة زهيرة هي أول من جعل للطب الاجتماعي مفهوماً حيث أشركت أجهزة الطب مع الأجهزة المختصة في محاربة أمراض البيئة والنـــزلات المعوية والدوسنتاريا والتيفود، وتؤكد ان العامل الأقوى في إصابة الأطفال بالروماتيزم هو العامل البيئي بسبب التكدس في المنازل والمدارس، وأن العامل الوراثي ضعيف.

وقامت بتأسيس جمعية أصدقاء الأطفال مرضى روماتيزم القلب للأطفال عام ...1957 ومن خلالها أنشأت مركز القلب لروماتيزم الأطفال بالهرم، ومعهد صحة الطفل بالدقي، وقام هذان المركزان بالعديد من الخدمات الطبية والاجتماعية المختلفة كإيواء المسنين وإيواء اليتامى وصرف إعانات للحالات الاجتماعية الصعبة، هذا بالإضافة لدار الطلبة المغتربين، كما قامت الدكتورة زهيرة عابدين بتاسيس (او بالأدق بإعادة تأسيس) جمعية الشابات المسلمات بتكليف من وزارة الشئون الاجتماعية في أواخر الستينات، وأنشأت دار الحسين أمام جامعة الأزهر لخدمة أهالي

الحي حيث شملت دار حضانة ومشغلا لتعليم البنات بالحي، بالإضافة لدار الطالبات المغتربات وعيادة طبية متنوعة، وخصصت الدكتورة زهيرة جزءاً من مالها الخاص كوقف خيري لإعانة الأرامل واليتامى وذوى الحاجات. ويذكر أيضاً أنها قامت بإغلاق عيادتها الخاصة حتى تتفرغ للعمل الاجتماعي.

قضايا المرأة .. من وطنية المنطلقات إلى عولمة الأجندات (5)

المرأة المسلمة مدخل مهم لأي تغيير مجتمعي

بقلم أ.د. نادية محمود - الوطن القطرية – الدليل — 12 أكتوبر 2003

في مايو 2002 فقد أطباء مصر أمهم الفخرية أ. د. زهيرة عابدين أم الأطباء والرائدة في مجال العمل الطبي الأهلي والخيري التطوعي في مصر والعالم العربي والإسلامي .

كانت العالمة المتخصصة البارزة "ذات الحجاب" منذ وقت مبكر لم يكن قد شاع فيه الحجاب بعد كما حدث منذ الثمانينات. كانت العالمة التي امتد علمها إلى نطاق عملها الأهلي التطوعي، فحققت الجمع بين قيمتين عظيمتين: العمل الأكاديمي والعمل الأهلي.

كانت المصرية الوطنية الصادقة دون أن تفقد الصلة مع الأمة، فلقد كان همُّ المسلمين في كل مكان شاغلها الأساس، بقدر ما كان يشغلها همُّ المصريين.

كانت المحافظة على تقاليد ثقافتها بقدر انفتاحها على أرجاء العالم، حيث ذهبت هنا وهناك مكرمة أحياناً، وخادمة للهدف الإنساني أحياناً كثيرة.

كانت الأم لأبنائها وبناتها .. وكانت الأم والمقصد لكل الساعين لتجميع الجهود في مجال العمل الإسلامي المتنوع.

كانت الإنسانة الداعمة لأعمال الخير التي تلبي الاحتياجات الأساسية للفقراء، وكانت المربية الواعية لأهمية العقل والفكر أيضاً، فكانت المدارس الإسلامية إلى جانب الملاجئ والمستشفيات والمشاغل ثمرة سعيها.

كانت الناشطة في تعبئة الموارد الوطنية والعربية والإسلامية اللازمة لأعمال الخير والفكر والعلم، وكانت الواقفة أموالها لهذه الأعمال داخل وخارج مصر.

كانت كل هذا ولم تكن تحت الأضواء التي سلطت على من هن أقل علماً وفكراً وحساً ووطنية وإخلاصاً.

إنها خبرة النموذج الذي نحتته "أم الأطباء" بجدارة وإخلاص في مجال العمل الأهلي.

ولا يحضرني فقط رمز المرأة بل أيضاً ما نشهده من نشاط جماعي، مثل جمعية دراسات المرأة والحضارة بالقاهرة برئاسة أ.د. مني أبو الفضل أستاذة كرسي زهيرة عابدين للدراسات النسوية في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن.

ولعلي أصل للقول بأن خبرة حياة د. زهيرة عابدين تقدم النموذج لأمرين أساسيين:

الأول: إن المرأة المسلمة مدخل أساسي للتغيير في مجتمعاتها، سواء أكانت فاعلاً أو مفعولاً او متفاعلاً، ولقد كانت زهير عابدين فاعلاً أساسياً سعى لتجديد طاقات النموذج الحضاري الذي نبت في ظل قيمه وتقاليده، فربطت بين العمل الخيري والعمل التربوي الفكري لتؤكد أهمية الربط بين القدرات المادية وغير المادية.

الثاني: إن هذا التجديد اعتمد على الجهود والموارد الوطنية المصرية والعربية والإسلامية. فأثبتت أن الزكاة والصدقة والوقف يجب ألا تقتصر على الأعمال الخيرية "التقليدية"، ولكن يجب أن يتسع نطاقها ومداها لتمتد للأعمال الإنتاجية، وللأنشطة الفكرية والبحثية، كما أن الجهود يجب الا تظل فردية، ولكن يجب أن تصبح جماعية، وتتخذ أطراً مؤسسية.

هذه خواطر اردت منها أن تذكرنا بأن الواقع النسائي الإسلامي ليس راكداً بل حي متفاعل، وما ضربت إلا نموذجاً، والأمثلة كثيرة ومشرقة، ولكننا نقصر في دراستها وتقديمها ودعمها بل والترويج والتسويق لها، كما يفعل الغرب ببضاعته وناسه، وليس ذلك عن عجز في الإمكانات أو الكفاءات، بل ربما — أساساً — عن عجز في الهمّـــة، ووهن في التدبير.

الدكتورة زهيرة عابدين في رحاب الله

بقلم المستشار د. شوقي الفنجري (الأهرام 11 مايو 2002)

يعز على النفس نعي الدكتورة زهيرة عابدين، فهي المسلمة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله بالعلم والعمل والمال، ويصدق عليها بحق قوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.

ولقد سعى إليها الغرب بتقديره وجوائزه المتعددة، حتى وصفوها في الخارج بأنها (أسطورة قلّما تتكرر إذ قلّما تستطيع إنسانة محاكاتها في سيرة حياتها المليئة بالأعمال الجليلة) والتي أذكر منها:

أنها بدأت حياتها بعد وفاة والدتها وهي في طفولتها بسن الثالثة وذلك بحب فطري لله تعالى.. هو الحقيقة الكبرى وهو الغاية والوسيلة.

حصلت فقيدتنا على البكالوريا (الثانوية العامة) سنة 1936، وكانت الأولى على مستوى مصر كلها، ثم كانت أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بجامعة القاهرة، وقد حصلت فيها على لقب (**أستاذ كرسي طب المجتمع**)، فلها أكثر من مائة بحث علمي جديد، واعتُبِرتْ من مؤسسي علم (الطب الاجتماعي) في العالم، ورائدته في العالم العربي، وهي التي أنشأت سنة 1986 "كلية دبي الطبية للبنات"، ووضعت مناهجها وعكفت على إدارتها عميدة لها سبع سنوات، نالت خلالها تقديرا عالميا وتمسكوا بها عميدة شرفية مدى الحياة.

أسست فقيدتنا عام 1957 جمعية " أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال "، ومن خلال هذه الجمعية وبالجهود الذاتية، أنشأت عدة مشروعات أذكر منها:

- مركز القلب والروماتيزم الهرم: ومن خلاله قامت بالتعامل مع وزارة الصحة بحلة واسعة النطاق لمكافحة مرض روماتيزم القلب، أسفرت خلال عشرين عاما عن انخفاض نسبة حالات القلب شديدة الوطأة في مصر من أكثر من 50% إلى أقل من 4% وهو إنجاز نال تقدير العالم أجمع.

- أنشأت معهد صحة الطفل: ذا العشرة طوابق بميدان المساحة بالدقي، وامتلأ هذا المعهد حاليا بخدمات صحية واجتماعية وثقافية متعددة فهو صرح ضخم صحي واجتماعي وثقافي.

- أنشأت منذ سنة 1962 دورا للطلبة الجامعيين المعوزين والمغتربين، وأخرى للطالبات الجامعيات المغتربات من خارج القاهرة، لتهيئة جيل يحمل رسالة الخير للمجتمع، وقد أتت هذه الدور كلها ثمارها بفضل الله فأخرجت أفواجا من الشباب الواعي المجد في كل مكان بمصر والخارج.

- أنشأت منذ عام 1975 مدارس الطلائع الإسلامية مما كان فاتحة للمدارس الإسلامية في مصر والخارج، التي أكدت في لائحتها الأساسية اهتمامها الخاص بالتربية والأخلاق المستمدة من إيمان صادق بالله قوامه الحب والعطاء.

- اهتمت منذ عشر سنوات بمشروع كبير للقطاء اليتامى فأنشأت في مدينة 6 أكتوبر صرحا لإيواء أكثر من مائة طفل، يقدم لهذه الفئات مختلف الخدمات الإنسانية والاجتماعية،

- منحتها نقابة الأطباء عام 1990 لقب (أم أطباء مصر)، وقامت السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس محمد حسني مبارك والسيدة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية بتسليمها براءة هذا اللقب في حفل تكريم (الأم المثالية)،

- وكانت المصرية الوحيدة بل المرأة الشرقية الوحيدة التي منحت عام 1992 جائزة من اتحاد النساء الدولي

- كما منحتها الدولة عام 1996 جائزتها التقديرية في العلوم الطبية التطبيقية.

ترجع معرفتي بفقيدتنا خلال العشر سنوات الأخيرة من حياتها، إلى استعانتها بي في تحرير **عدة وقفيات خيرية لصالح استمرارية مؤسساتها، وهذه كلمة وفاء لذكراها العطرة،** إذ كان يضايقها بل وترفض بشدة أي إشادة لشخصها أو تحية لجهودها، وذلك لأنها ما ابتغت في كافة أعمالها سوى وجه الله وحده... لولا أن إسلامنا يلزمنا ويحتم علينا إعلان العمل الصالح وتكريم أصحابه ليكونوا قدوة وأسوة طيبة للآخرين.

الملأ الأعلى يشتاق إليك

بقلم الأستاذ فاروق هاشم– الأهرام 9 مايو 2002

صوت يملأ الآفاق ونور من قبل السماء يناديها " الملأ الأعلى يشتاق إليك ولكن حاجة أهل الأرض إليك كبيرة.. مؤجلة أنت إلى حين " وترد " وأنا في شوق أكبر إلى رحاب الله" .. تكررت معها الرؤيا وقصتها لي في لحظة سلام وصفاء مع تأكيد بأنها سر.. ووعد مني بعدم البوح.. والرؤيا آخر ما تبقى من وحي السماء إلى الأرض كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما أكثر الرؤى والمشاهدة التي اصطفى الله بها د. زهيرة عابدين –رحمها الله– تكريما وتشريفا.. وحققتها الأيام في صحبة ثرية وسامية على مر السنين اعتبرتها شرفا وتقربا إلى الله..

ذاكرة تتحدى الزمن.. وعين لم يخب بريقها لآخر لحظة تنفذ إلى عقل من تحدثه بسهولة شديدة.. تعكس عزما وإرادة من حديد تخفي خلفها عملاقة رغم أنها تسير بعكاز يعتقد البعض أنه عون على الشيخوخة وهو معها منذ منتصف الأربعينات من عمرها عندما سقطت في بئر المصعد من الدور السادس وظلت في غيبوبة ولكنها عادت إلى الحياة بعاهة في ساقها ورغم بطء الحركة فإن سرعة التنفيذ للمشروعات التي أقامتها وتشرف عليها لآخر لحظة تصيب من يعرفها بذهول.. وأتحدى الذين حولها أن يحصوا من الذاكرة تلك المشروعات (مدارس ومستشفيات وملاجئ ودور مسنين وبيوتا للطلبة والطالبات وغيرها).. حاولت أنا شخصيا و لم أفلح.. هذا غير البيوت التي فتحتها! كلما لقيتها حتى وهي على فراش المرض تفاجئني بمشروع جديد أو باستكمال مشروع وتكون أول كلمة بإلحاح "ليس للنشر" حتى يكون لوجه الله، وأظل أحاول من أجل النشر دفعا للاقتداء في زمن أصبحنا نخاف فيه على الغنم من الراعي أكثر من خوفها على الذئب.. ولكن دون فائدة.. لذلك كان حرصها الشديد على مال الله من أجل عباد الله بمشروع يفيد الآلاف، وبرغم ما قدمت من مال وجهد وسهر ومعاناة فإنها كانت تدعو دائما مرتعشة والدمع في عينيها وتسأل هل يتقبل الله ؟! وزاد توترها في أحد اللقاءات وسقطت دموعها خشية من الله فأردت أن أخرجها من هذه الحالة وقلت بجدية –وأنا أقصد الممازحة الصادقة– سوف نذهب جميعا إلى النار بسببك فأصابها ذهول وصمتت لأستكمل.. قلت إن لم يقبل الله كل ما فعلتيه لوجهه الكريم فماذا سيفعل معنا.. وانفجر الجميع في الضحك.

كانت مواقفها تذكرني دائما بسيدنا أبي بكر -رضي الله عنه- عندما أخبره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن سيدنا جبريل نزل عليه وقال له قل لصاحبك الله يقرؤك السلام ويقول لك هو راض عنك.. فهل أنت راض عنه ؟! فكانت إجابة سيدنا أبي بكر التي لا ترد إلا إلى ذهن يرجح إيمانه إيمان أمة -كما قال عنه رسول الله- "والله لا آمن مكر ربي ولو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارجها" نادرة تلك النوعية من البشر التي لا تراها إلا مرة واحدة في حياتك.. غير قابلة للتكرار.. نموذج فريد ونجم هاد للضالين.. **كالغيث أينما وقع نفع المعذبين في الأرض حتى ولو كانوا في البوسنة كما فعلت الدكتورة زهيرة..**

كرمتها مصر بأعلى جائزة وهي التقديرية وكرمتها نقابة الأطباء بمنحها لقب " **أم الأطباء** " **فكان هذا اللقب أغلى عندها من جوائز الدنيا..** وكرمها العالم.. فكانت الوحيدة من دول العالم الثالث التي تحصل على عضوية كلية الطب الملكية ببريطانيا وكرمها اهل بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة بإنشاء قسم وكرسي أكاديمي باسمها في أكاديمية العلوم الاجتماعية وكرمها 400 عضو من 50 دولة من أجل منحها جائزة " نورجال " في ألمانيا وجاء في حيثيات المنح أنها " أسطورة قلما تتكرر " وقد كانت كذلك.

رحمها الله رحمة واسعة بما قدمت يدها وأنزلها مع الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

زهيرة عابدين.. عاشقة الضعفاء.. كارهة الأضواء

أحمد زين (محرر باب مشاهير/مجاهيل – اسلام اون لاين) 28 يونيو 2002

في صمت كما عاشت.. رحلت، وحين أردت أن ألج إلى عالمها وأتلمس جوانبه، فاجأني هذا الكم من الغموض "المتعمد"، فقد حرصت طيلة حياتها ألا يشيد بها أحد ولا يكتب عنها أحد، وكانت تنافح عن عملها الخيري والاجتماعي بسياج من الكتمان.

اقتربت ممن حولها أبحث عما كُتب عنها فما وجدت غير قصاصات صغيرة، يغلب عليها الطابع الاحتفائي، أو في أحسن الأحوال الحديث عن المشاريع الخيرية التي تبنتها، بل إن الحصول

على صورة لها كان حلمًا لم يتحقق إلا بصعوبة بالغة، **قد يوضحها ما جاء على لسان إحدى معاوناتها:** "طالما اتصلت بنا الدكتورة زهيرة للومنا على أننا أعطينا للصحفيين معلومات عنها وعن أعمالها الخيرية، فقد كانت ترى أن أصدق الأعمال هو ما يتم دون صخب".

الأولى.. هذا هو لقبها

مشوار حياة د. زهيرة حافل، **ويتجلى فيه السبق كما لا يتجلى في غيره،** فقد حصلت على شهادة البكالوريا -الثانوية العامة- عام 1936م، وكانت الأولى على مستوى مصر كلها، وهي أول طبيبة عربية تحصل على درجة عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن 1948م، كما كانت أول سيدة تعيَّن في هيئة التدريس بالجامعات المصرية.

وبالتالي لم يكن تفوقها منحصرًا داخل مصر أو في حدود الوطن العربي فحسب، لكنها كانت الطبيبة الوحيدة التي نالت الدكتوراة الفخرية في العلوم الطبية من جامعة أدنبرة بإنجلترا على مستوى العالم كله عام 1980م، كما أنها كانت العربية الوحيدة التي مُنحت جائزة إليزابيث نورجال E. Norgall العالمية من النادي النسائي الدولي.

البدايات.. تديُّن حقيقي ورغبة عارمة في الخير

وُلدت أم الأطباء في عائلة أرستقراطية من كبار العائلات المصرية، والدها حسين عابدين باشا عضو بمجلس الشيوخ يتمتع بحس إسلامي عميق، رغم أنه حصل على دراساته العليا بالحقوق في فرنسا، وهو ما غرس فيها حب التدين. (ملحوظة المحرر: بل انه استعداد فطري عميق، مصداقاً لقوله تعالى ان الهدى هدى الله، ربما شجعه الوالد .. ولكن لم يكن هو المنشئ له، وإلا لكان الحال عام بالنسبة لأخواتها جميعاً .. وهو ما لم يكن على ذات الشاكلة). .

وتقول عن تلك الفترة: "تعودت على صلاة الفجر يوميًّا وكان عمري خمس سنوات، وكنت أحفظ القرآن منذ طفولتي حتى إنني عندما التحقت بمدرسة تبشيرية اسمها (سان ماري) أدخلوني في إحدى الحصص مع الأطفال كنيسة المدرسة لتأدية طقوس الصلاة والاستماع للتراتيل التي تتلوها الراهبات، إلا أنني وجدت لساني قد انعقد عن النطق، وقلبي انقبض بشدة، وشعرت بكره شديد لهذه المدرسة، وطلبت من والدي أن يلحقني بمدرسة أخرى؛ لأنني لن أذهب لهذه

المدرسة مرة أخرى، واستجاب والدي لرغبتي وألحقني بمدرسة السنية رغم أنها بعيدة جدًّا عن منـــزلنا آنذاك".

كما تذكر أنها حين لم تجد مكانًا للصلاة في مدرستها الجديدة لم تمنعها شجاعتها من طلب توفير مكان للصلاة، واستجابت الناظرة وسمحت لزهيرة وزميلاتها بتنظيف إحدى الحجرات في جانب من فناء المدرسة واتضح أنه كان مسجدًا، ولكنه أُغلق وأُعيد افتتاحه، وأصبح المسجد شعلة نشاط من صلاة، ودروس تحفيظ، وتجويد قرآن كريم، وبدأت تدعو الضيوف من علماء الأزهر.

وتذكر عن مرحلتها الجامعية أنها كانت الطالبة المحجبة الوحيدة في الجامعة في وقت كان الحجاب قد أصبح غريبًا حتى صار مستهجنًا، خاصة بين طالبات الجامعة اللواتي كن رهانًا من دعاة التغريب، وقالوا بأن المرأة المسلمة ستتخلى عن كل شيء في سبيل التعليم ودعاوى المساواة بالرجل.

العلم في خدمة المجتمع

لم يكن علم د. زهيرة علمًا يقف عند حدود المعامل والمختبرات، لكنه كان العلم الذي يتفاعل مع المجتمع من حوله، يؤمن به، ويحدد مشاكله، ويسعى إلى حلها بكل ما آتاه الله تعالى؛ لذا فلم يكن غريبًا أن **تتبرع بالقيمة المادية** لجوائز عدة حصلت عليها لغير القادرين أو أوائل الخريجين أو بحوث الأطفال، ومن هذه الجوائز الجائزة التقديرية من مصر لعام 1996م في العلوم الطبية التطبيقية، ولم يكن غريبًا أيضًا أن تمنحها جامعة القاهرة لقب "أستاذ كرسي طب المجتمع"، وبهذا كان لمصر على يد د. زهيرة السبق في ميدان هذا الفرع من العلوم في العالم كله، وكذلك لم يكن غريبًا أن تمنحها نقابة الأطباء عام 1990م **لقب أم أطباء مصر**.

كانت د. زهيرة تستشعر مسئوليتها عن فئتين خصوصًا: الأطباء والمرضى، وتشعر بالأمومة نحوهم؛ لذا فمن مراحل حياتها التي لا تُنسى أن أسند إليها مهمة تأسيس أول كلية طب متطورة بدولة الإمارات العربية "كلية دبي الطبية للبنات" عام 1986م، فوضعت مناهجها، وعكفت على إدارتها عميدة لها زهاء سبعة أعوام نالت خلالها الكلية تقديرًا عالميًّا من الهيئات الطبية العالمية، ولا تزال المتخرجات من الكلية من الطبيبات المشهود لهن بالكفاءة، يشعرن بالفخر إذ تتلمذن على يد

د. زهيرة، ويتذكرن مواقفها الحانية وأمومتها الصادقة، وليس أدل على هذا الاعتزاز من تمسكهن بها عميدة شرفية مدى حياتها (اقرأ عن الكلية ونشأتها ومناهجها).

العمل الاجتماعي لم ينسها البحث العلمي ولا أسرتها الصغيرة

نقطة هامة في حياة هذه السيدة العظيمة أنها رغم أعمالها الاجتماعية الرائدة ومؤسساتها المتعددة وانغماسها في العمل الاجتماعي والثقافي فإنها في ذات الوقت حافظت على موقعها كباحثة لها مكانتها المرموقة في الوسط العلمي، فللدكتورة زهيرة مدرسة علمية مرموقة تعلّم على يديها الكثير ممن تبوَّءوا مراكز جامعية على مستوى الأستاذية، وكذلك ممن تبوَّءوا مراكز قيادية اجتماعية مرموقة، ولها من الأبحاث العلمية ما يربو على المائة وعشرين بحثًا منشورة في المجلات العلمية المتخصصة.

كما أنها حافظت على أسرتها ورعتها كما ينبغي أن تكون التربية والرعاية، فهي حسب موقع دراسات المرأة المسلمة "امرأة ورعة متدينة لم تفرط في شيء من واجباتها الدينية صغيرًا كان أو كبيرًا. وهي أم لأربعة، ثلاث من البنات وابن، كلهم قد حصل على الدكتوراة في تخصص هام برعايتها وتوجيهها، وهي سيدة مجتمع عُرف عنها الحرص على أداء الواجبات الاجتماعية، وربة بيت متميزة وكريمة في بيتها؛ ومن هنا تمثل د. زهيرة التي خرجت للحياة العامة من أوسع أبوابها مع حرصها على أولوياتها الأسرية، نموذجًا متوازنا نادر المثال نتمنى أن تتحول إلى ظاهرة مشعة بين نساء الأمة".

نشاط اجتماعي واسع

والمتتبع للنشاط الاجتماعي للدكتورة زهيرة يصعب عليه الحصر أو التفصيل فكما يبدو من قائمة الأنشطة الخيرية أنها كانت ترمي في كل ميدان بسهم من سهام الخير، **ومن هذه الأنشطة مشروعها الرائد**: "جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال"، التي تأسست عام 1957م، واستطاعت من خلال التركيز الشديد على مكافحة مرض روماتيزم القلب بين الأطفال أن

تتحسن نسبة حالات القلب الشديد الوطأة في مصر خلال عشرين سنة من 50% إلى أقل من 4% وهو إنجاز نال تقدير العالم.

كما أنشأت من خلال الجمعية مركزًا للقلب والروماتيزم بالهرم في أواخر خمسينيات القرن، وأسست فروعًا له ملحقة بالجامعات إقليمية بكل من أسيوط، وطنطا، والزقازيق، والمنصورة، والإسكندرية.

وأقامت معهد صحة الطفل وهو يحتل مبنى ضخمًا من عشرة طوابق بأحد أرقى أحياء القاهرة بهدف رعاية الطفولة ووقايتها من أمراض ما قبل سن الرابعة، وعلى رأسها: أمراض سوء التغذية، والنـــزلات المعوية، والجفاف الشائعة بين المعوزين من أبناء الوطن، وامتلأ هذا المعهد حاليًا بخدمات صحية واجتماعية، كما أقامت دارًا للطلبة الجامعيين المعوزين والمغتربين، ولا يزال يعمل منذ عام 1962م.

الثقافة الحقة بناء أمة

دعت إحدى الهيئات الثقافية د. أحمد كمال أبو المجد لإلقاء إحدى المحاضرات ولما اعتذر تمامًا لكثرة انشغاله، فاجأ الداعي بقوله: أطمع من سيادتك أن تعتبرنا من جمعية مرضى الروماتيزم.. فضحك الدكتور أبو المجد **قائلاً:** "مهما تقاعست عن تلبية الدعوات فلا يمكن أن أتقاعس عن الموسم الثقافي للجمعية؛ لأني أشعر أن المشاركة واجبة مع هذه الجمعية إسهامًا في الخير الوفير الذي تبذله"، ولم يكن هذا موقفًا خاصًّا للدكتور، ولكن يكفينا لمعرفة قدر هذه الجمعية أن نستعرض بعض أسماء قادة الأمة الذين حرصوا على الحضور والتواجد ومنهم: الشيخ محمد الغزالي، د. يوسف القرضاوي، ود. شوقي الفنجري، ود. زغلول النجار، ود. مصطفى الشكعة، ود. عبد الصبور مرزوق، وغيرهم كثيرون ممن أسهموا ولا يزالون في مجالات النهضة الإسلامية المعاصرة.

سهام في ميدان التعليم

وإيمانًا منها بأهمية التعليم والتربية كصمام أمان للمجتمع فقد أنشأت سلسلة مدارس الطلائع الإسلامية، وكان الهدف الأول منها هو تنشئة جيل صالح يعتمد على العلم والإيمان، وأكدت في

لائحتها التعليمية اهتمامها الخاص بالتربية والأخلاقيات المستمدة من إيمان صادق بالله تعالى، وعلى الحب والتضحية والعطاء، وفرعا المدرسة الرئيسيان يضمان 3500 طالب وطالبة في المراحل المختلفة، ولا تزالان تعملان منذ 25 عامًا، وتُعَدّ هذه السلسلة من أوائل المدارس الإسلامية بمصر، فكان أن سار على فكرتها الكثيرون ممن أسهموا في بث القيم الفاضلة في المجتمع المصري من خلال التعليم.

والفرعان الآخران -وهما الأحدث- هما مدرسة الطلائع ببور توفيق الإسلامية للغات (حوالي 600 تلميذ) وصلت الآن إلى المرحلة الثانوية العامة، وهي شامخة تعمل منذ منتصف الثمانينيات، وآخرها مدرسة 6 أكتوبر الإسلامية للغات.

بل امتد نشاطها الى بلاد وجاليات إسلامية أخرى، حيث أقامت مؤخرًا وقفًا لتعليم أطفال البوسنة والهرسك.

مع الشابات المسلمات رحلة أخرى

منذ زهاء عشرين عامًا اشتدت الأمور وتعقدت **بجمعية الشابات المسلمات** بالقاهرة، وتعثرت مسيرتها، وتكاثرت عليها الديون، ورفع أمرها إلى وزيرة الشؤون الاجتماعية التي اتخذت قرارًا بإسناد رئاستها إلى د. زهيرة عابدين، فما كان من الدكتورة زهيرة إلا أن صدعت للأمر غيرة منها على المرأة المسلمة، رغم انشغالها الشديد، **وكان أن أدت للجمعية جميلاً لا يُنسى**، حيث أنشأت من خلال هذه الجمعية مشروعات عديدة تركزت في حي الحسين تحديدًا، وهو أحد أفقر الأحياء الشعبية بمصر، **ومن هذه المشروعات:**

- حضانة للأطفال قبل السادسة من العمر (حوالي مائة طفل).
- مشغل لبنات الحي لتعليم التفصيل والخياطة والتطريز (حوالي مائة سنويًا).
- دار الطالبات الجامعيات المغتربات من خارج القاهرة.
- عيادة طبية.

ومن هذا العمل المتواصل الذي ظهرت آثاره في المجتمع، تجمع على د. زهيرة أهل الخير الذين وثقوا في نزاهتها وإخلاصها فتدفقت أموال الصدقة إليها فتبنت مشروعًا كبيرًا للقطاء واليتامى.

بدأت فيه بإنشاء دار إيواء تسع أكثر من مائة طفل، وتقدم هذه الدار حاليًا خدماتها الاجتماعية الإنسانية لهذه الفئات.

قرب النهايات تلوح البشريات

يذكر المقربون منها أنها رغم مصارعتها في السنوات العشر الأخيرة لمرض شديد، ورغم تغيبها في إنجلترا وأمريكا للعلاج، وملازمتها للفراش ملازمة كاملة، إلا أنها كانت تستثمر أوقات نقاهتها القصيرة في معاودة النشاط، فقد كانت عازمة على مواصلة الكفاح إلى أن يشاء الله تعالى.

ويشاء الله عز وجل أن تصعد روحها إلى بارئها في السادس من مايو 2002م وسط دعوات الآلاف ممن كان لها فضل عليهم من مرضى، وتلاميذ، وأطباء، ومعوزين، وباحثين، ومثقفين في خليط عجيب ينم عن حب بالغ للعمل الخيري.

زهيرة عابدين التي نعرفها

عزة جلال عن جمعية دراسات المرأة والحضارة – الأهرام 24 مايو 2002

تعد الدكتورة زهيرة عابدين التي رحلت عن عالمنا منذ عدة أيام من أولئك الذين يصعب أن يوجزوا في بضعة كلمات، أو أن يلخص إعجابنا وتقديرنا لهم في مجموعة سطور، و تكون محاولة الاقتراب من حياتهم محفوفة بالصعوبة، ذلك أن ماضي أمثال الدكتورة زهيرة ليس تاريخاً بالمعنى الكلاسيكي للتاريخ كحوادث توقفت عن الفعل و الانفعال، فهي أحداث حية تقفز على جبهة الأيام مجددة نفسها وتتشبك مع الحاضر مؤكدة على درجة فريدة من الاتساق في شخصية صانعها. لذا كانت شخصية أثيرة لدى كل من عرفها، زهيرة عابدين التي عرفناها تكره استعمال المرايا فلا تتحدث عن إنجازاتها، وتخجل من أي تعريف لها يشيد بها ويعدد ذكر أياديها على الفقراء و اليتامى، وتعتز بشدة بلقب أم الأطباء كنا نعرف أنها لن تتسامح معنا إن نحن كتبنا عنها تعريفا يوضح إسهاماتها في العمل الاجتماعي خشية بطلان الصدقات بالمن والآن حانت لحظة تعريف من يجهل زهيرة عابدين بها.

هي اسم تعرفه أوساط العمل الاجتماعي الخيري في مصر والمنطقة العربية منذ فترة طويلة

فهي أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بالجامعات المصرية وهي أول طبيبة عربية مسلمة تمنحها كلية الأطباء الملكية بلندن درجة الزمالة وتكاد تكون الوحيدة، وهي الطبيبة الوحيدة التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من انجلترا على مستوى العالم كله -1980- هي العربية المسلمة الوحيدة التي منحت جائزة "اليزابيث نورجال" العالمية من النادي النسائي الدولي عام 1992 بعد اختيار أربعمائة عضو ممثلين لخمسين دولة لها لتمنح الجائزة أول مرة لسيدة من خارج أمريكا وأوروبا الغربية ...وكان ارتباط التخصص العلمي الدقيق للدكتورة زهيرة عابدين "الطب الاجتماعي" التي تعد أبرز مؤسسيه في العالم ورائدته في العالم العربي بظروف البيئة وواقع المجتمع وراء توثيق الصلة بينها وبين العمل الاجتماعي فمنذ اكتشافها لنوع الميكروب السبحي المسبب لمرض روماتيزم القلب عند الأطفال أنشأت بالجهود الذاتية عام 1957 جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب التي أنشأت بدورها مستشفى لذلك فانخفضت بجهودها نسبة المرض الآن إلى 4%. وحيث إن هذا المرض الذي نذرت الدكتورة زهيرة نفسها لعلاجه ذو طبيعة ترتبط بمستوى معيشة الطفل ووعي الأم فقد بلورت زهيرة عابدين عبر مسيرتها السابقة رؤية متكاملة لمفهوم المرض و الصحة بحيث يمكن القول أن رؤيتها للمرض اتسمت بالتكامل بوضعه في سياقه الاجتماعي والتعليمي المحيط ومستوى الأسرة . كانت الدكتورة زهيرة تقابل الأمهات تشرح لهم المرض بأمانة وتطلعهم على أهمية المساعدة البيتية في علاجه ليتفق جهد بذلته هذه السيدة عبر سنوات متصلة مع ما يصك الآن كمحددات لمفهوم التنمية البشرية، وليتحقق بذلك التعبير التقليدي الشائع في الثقافة الإسلامية عن الطبيب "كحكيم " لا مجرد معالج على أساس من كون الطب رسالة لا مهنة فحسب . إذ رأت أن الصحة كل لا يتجزأ، فشملت رعايتها للمريض في فترة النقاهة الجوانب النفسية والتربوية والتعليمية والمهنيـــة وتنتقل بهذه الرعاية إلى شرائح مختلفة، من كفالة اليتيم واللقيط والعناية بتربيتهم وتعليمهم وتأهيلهم، إلى المرأة في مختلف مراحل ودورات الحياة، من الأم والرضيع، إلى الأرملة التي تربي أولادها، و لا ننسى إنشاءها مشروع دار الضيافة ورعاية المسنات، لكي تتيح للمرأة التي بلغت من العمر أو من الحال ما بلغت، أن تنعم بكرامة المعاش واستقلالها حين تضطرها إلى ذلك ظروف الحياة المعاصرة وقسوتها.

فشملت المؤسسات التي أقامتها المستشفى الخيري ومركز النقاهة والتأهيل والخدمات البيئية (الريفية والحضرية) والمدارس الخاصة، ودور الطلبة والأيتام والمسنات، و كانت هناك باستمرار برامج من المحاضرات العامة ودعوات فصلية لأعضاء وأصدقاء الجمعية الأم التي أسستها في نهاية

الخمسينات – أوائل الستينات يتحدث فيها و يدعى إليها كبار الشخصيات المرموقة في الوسط الثقافي الاجتماعي، فكانت بمثابة المنتدى الثقافي. أي إنها قد حملت مفهوماً شاملاً للتنمية لا يقتصر على البعد المادي للإنسان وإنما يتضمن أبعادا تثقيفية.

وضماناً لاستدامة هذا العمل الخيري وتأكيداً لشمول مفهومها له عنيت زهيرة عابدين بعنصر شديد الأهمية هو الأداة الموصلة التي تكفل حسن أداء وتطبيق هذه الرؤية، بشراً كانوا أو أنظمة أو إجراءات، و هو **البعد الإداري** للمشروع فاهتمت برفع الكفاءة الفنية و الإدارية لمن يتعاملون معها ونوعية و كفاءة الخدمات المقدمة في المجالات التي أقدمت عليها: فكانت العناية برفع مستوى الكفاءة في مجال العلاج والخدمة والمناهج التعليمية والمعامل محققة ذلك في مؤسساتها في مصر ومن خلال عملها في إنشاء كلية طب دبي في نهاية الثمانينات فأودعتها خلاصة خبراتها وقامت الكلية الفتية على أصول جمعت بين أحدث ما في الحقل و ضمنتها رؤيتها المتكاملة في إعداد الطبيبة المعاصرة الماهرة، التي تجمع بين الثقافة والوعي الديني والتاريخي والتربوي.

وكذا حاولت أن تحق رؤيتها المتكاملة لعلاقة الإنسان بالبيئة عندما اسند إليها رئاسة جمعية الشابات المسلمات فحرصت على أن تنشأ من خلالها في الحي الواحد العيادة والحضانة والمشغل ودار الطالبات لتحتل بذلك قيم الصحة والطفولة والتعليم والعمل اهتماما متساويا لديها، وهو ما حدا بها أن تشرع في إنشاء أول سلسلة مدارس لغات إسلامية في مصر مؤكدة بإنشائها ضرورة إعداد جيل على أساس من القيم الحضارية الإسلامية ومنفتح على ثقافات أخرى، ويتوج جهد زهيرة عابدين بوقفها مبلغا من المال لرعاية اليتيم والتي فعلّت من خلاله الشكل التقليدي للوقف وحدثته دكتورة زهيرة عزاؤنا أنك ممن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ..

أمـــّاه!! .. لمساتٌ من عطائها

د. عزة أبو الفضل

كانت الأم .. ونعم الأم .. لثلاث بنات وفتى ... كما كانت تتقي الله في عملها كطبيبة وأستاذة جامعية ورائدة في العمل الاجتماعي، فقد كانت الأم الحنون والمربية الفاضلة والزوجة الوفية داخل بيتها.

لم تكن هذه السيدة الحديدية التي يراها المجتمع الخارجي، بل كانت خادمة وراعية وحامية داخل بيتها.

وقد كانت أمومتها تعتمد عناصر تربوية يدعو إليها العلماء في عصرنا الحالي ويشيدون بها، فقد كانت دائماً حريصة على توجيه أبنائها، لا قيادتهم ولا إمرتهم، فكم كانت تصغى الينا وتسمع، ثم تعرض علينا البدائل والاقتراحات، ثم تتركنا لكي نختار ونختبر الحياة، ونتعلم ونصحح لأنفسنا.

أتذكر عندما كنت في السابعة من عمري، وقد بدأت اقرأ وأحفظ القرآن، فقد ارادت ان تقرب لي معاني القرآن و تجعله جزء من تطوري لسني، فبعد ان شرحت لي السورة طلبت مني ان ارسم بالألوان صورة للجنة والنار، ثم تابعت هذه الصورة ومدحتني عليها، و أبدت إعجابها بها، ثم بدأت النقاش حول كيف وصف الله الجنة او النار في السور المختلفة في القرآن، فلم تحببني في الجنة وتكرهني في النار، بالعنف او التخويف أو الأوامر، بل بالإدراك والفهم والاستيعاب ....

وأتذكر في يوم من الأيام عندما كنا نقضي عطلة الجمعة أو نهاية الأسبوع في حديقتنا بالهرم، وكانت هذه العطلة مقدسة لنا، فقد كنا نترك منـــزلنا بالمدينة ونتوجه الى استراحتنا في حدائق الأهرام بعيداً عن ضوضاء وزحام المدينة لنستمتع بالهواء الطلق الصحي والنقي، وننعم بالهدوء والمناظر الحلوة.

فكانت تجلس معنا وتتحدث معي ... وقد قالت لي في مرة من المرات، ما رأيك يا عزة ان ترسمي لي مشروع ضخم يخدم الإنسانية، فقلت لها: أريد ان اقيم ملجأ للأطفال الأيتام، وكنت حينذاك في حوالي العاشرة من عمري، فقالت لي: "ارسمي هذا الملجأ ... كيف سيكون، و كيف تحلمين به." وجلست بجواري وأنا ارسم هذا الملجأ، وهي تفكر بعمق وتتأمل ما ارسم، وكأنها

تخطط و ترسم هذا المشروع في ذهنها هي، و شعرت اني اشاركها في أحلامها وأساعدها ببراءة خيال طفولتي على تحقيق ما يدور في ذهنها .....

وكانت حريصة على أن نشاركها في أعمالها الخيرية، فأتذكر كيف كانت تأخذني معها الى المستشفى الصغيرة التي أقامتها في الهرم لعلاج ونقاهة الأطفال المصابة بمرض روماتزم القلب الذي كان حينئذ منتشراً انتشاراً جسيماً في تلك الفترة (1960-1970) ... وكانت تشجعنى على ان آخذ قصص الأطفال واجلس مع هؤلاء الأطفال في وسط العنابر الممتلئة وأقص عليهم هذه القصص، وأنا مازلت فتاة صغيرة، وهم يصغون الي، ووجوههم مشرقة ومليئة بالحب والأمل ... فلا أنسى هذه الوجوه وهي تحاول أن تلتهم أنفاسها، وكيف تهدأ صدورهم، وتشرق وجوههم باهتمامنا بهم بمجرد قراءة قصة صغيرة لهم ....

لم أكن مدركة حجم هذا العمل الذي اقوم به، والتي تساعدني و تشجعنى أمي على الإقدام عليه ومداومته، ولكنها كانت **تعلمني ان الطب الحقيقي ليس طب الدواء، ولكنه طب القلوب والصدور والنفوس، بالحب والعطاء ...**

وعندما اخترت بالفعل ان ادخل كلية الطب، ارادت ان تلقيني درساً آخر، فسافرت معي الى انجلترا وهناك ساعدتني على الالتحاق بالعمل في مستشفى أثناء إجازتي الصيفية وأنا ادرس الطب، وقد كان هدفها أن اعمل كمساعدة للتمريض، وليس مع الأطباء حتى ان الأطباء في المستشفى كانوا يحثوني على أن اجلس معهم في الاجتماعات العلمية ولكن كانت أمي تقول لي " **إن التعامل مع المريض وتفهم احتياجاته والتواصل معه وقدرة العمل على راحته أهم من تشخيص المرض والتعامل مع أدوات المستشفى والعلاج..**"

فكانت مؤمنة بالجانب الإنساني في الطب والاستشفاء، وبالطب الاجتماعي تحديداً، الذي ادركت الكثير من الدول النامية مؤخراً أهميته، والذي يتجه إليه الطب والتدريس الطبي حالياً ...

فكنت اجلس مع الأطفال، ألاعبهم وأتعرف علي طرق مساعدتهم على ادراك ومواجهة مرضهم، وأجالس الأم والأب، وأدرك أهمية التواصل مع الأهل لمساعدة هذه أو هذا الطفل على حالته، ولا انسى كيف قامت أخصائية الأطفال باللعب (- بلاي ثرابيست -) في تحضير طفل للعملية ليس بالأدوية والأشعات كما نتعلم في الطب، ولكن بتمثيل ما سيحدث له بدمية وكل أدوات الجراحة والشاش والمطهرات، فقام الطفل بعمل العملية للدمية وربطها بالشاش وإعطائها

الأدوية حتى تشفى ... ان الطب الآن يكتشف الأضرار الجسيمة على تطور الجهاز العصبي والنفسي والعاطفي والإدراكي على الطفل نتيجة لما يتعرض له بالمستشفى، وما يقومون به من حقن وعمليات، وان هذا يتسبب في عقد نفسية واضطرابات نفسية للطفل فيما بعد ...

كانت هذه الأم والمربية الفاضلة تلجأ الى الحوار والتوجيه وإعطاء الحرية الموجهة بالإرشادات، ودائما أبداً تترك لنا حرية الاختيار ما بين البدائل ...

فلا أنسى أنها لم تكن لتمنعنا من ان نذهب إلى حفلات عيد ميلاد أصدقائنا في المدرسة، وان نذهب إلى السينما، وكل الأماكن التي يذهب اليها الشباب في عمرنا، ولكن كانت توجهنا الى العيوب والمخاطر، وتعرفنا الصح والخطأ، وتشعرنا بثقتها فينا، ثم تترك لنا الاختيار، وكم كنا تعتز بتلك الثقة ..

كانت سيدة منـــزل، تعد الطعام بنفسها، وتشجعنا على المشاركة في أعمال المنـــزل، وتترك لنا حرية الإبداع داخل غرفتنا الخاصة، وداخل المطبخ، وتشجعنا على العادات الصحية والغذائية الصحيحة والسليمة بالشرح والإقناع، بعيداً عن الإرغام والقهر ...

وعندما دخل التلفزيون المنـــزل وأصبح يهدد صحة تطور ونمو وتشغيل عقولنا كأطفال، أدركت هذه السيدة خطورته، وتنبأت به، فكانت حريصة على تحديد أوقات التفرج عليه، ولكنها كانت تستعمل الطرق العصرية بالترغيب في بدائل ترفيهية مفيدة من رياضة أو قراءة كتب، أو كتابة قصص، أو رسم، أو أشغال يدوية وحرفية ....

وكانت تعشق الموسيقى وتوجهنا إلى حبها لأنها كانت تدرك أهميتها في تهذيب وتطوير نفسية الطفل ... وكثيراً ما كانت تحببنا في سلوك معين من خلال الأغاني والأناشيد أو طقاطيق وأنغام الأطفال الـــ nursery rhymes، وبالأخص لتحبيبنا في سلوكيات تتعلق باعتقادات لا يمكن الوصول إليها أو الاقتناع بها في هذا السن بمجرد الأدلة العينية أو العقلية، كحب النظافة، والنظام، وحب الله...

فكانت هذه الأم بالفعل مدرســـــة أعدها الله لتكون مُعلّمة لأجيال في علوم الإنسانية...

ثالثـــاً



بابٌ في لقاءات وحوارات

سجلت مع أم الأطباء في أثناء حياتها

عودٌ ذي بدء: ما بين عقود أربع ..
من خواتيم الأعمال بين مرحلة وأخرى ..

إنها رحلة طبية قديسة من جمهوريتنا قصدت انجلتـــرا، ثم أمريكا، ثم اليابان وهي تسجل خواطرها وانطباعاتها مستخلصة في كل خطوة الموعظة الحسنة..

يكتبها أحمد الصاوي محمد، جريدة الأخبار 5 ديسمبر 1965

من الخنافس إلى دار السلام!

عرفتها منذ سنوات، تلك المواطنة الصالحة، تلك الطبيبة البارعة تلك المتبتلة الطاهرة، الحاجة الدكتورة زهيرة عابدين، راعية مركز رعاية الأطفال المهددين بروماتيزم القلب، على الربوة العالية التي تجاوز فندق مينا هاوس..

وكان أخي الكريم الدكتور السيد أبو النجا قد تفضل والسيدة الفاضلة قرينته باصطحابي معهما لزيارته.. وحضرت حفلا عائليا سنويا يضم نخبة مختارة ما فضليات السيدات وخيرة الرجال.. وكتبت يومئذ عن هذه الزيارة.. وكان البناء الجديد لم يتم تشييده بعد..

ولم يكد يتم حتى قامت حوله زوبعة حركة رمال صحراء وثار غبارها بين هذا المركز العلاجي الإنساني الفريد عندنا، وبين الشركة التي تدير فندق مينا هاوس، إذ أرادت أن تستولي عليه لتحوله ملحقا بفندقها العتيق..!

وكنت من الذين ساءهم هذا الاعتداء الصارخ، ورأيت فيه عملا رذيلا خاسرا للطرفين.

فهو كان قد تكلف حتى ذلك الحين خمسين ألفا من الجنيهات، وصمم على أن يكون فاعلات لأسرة الأطفال، ليؤنس بعضهم البعض، وتحويل ذلك كله أو قلبه رأسا على عقب، كان سيكلف إدارة فنادق مصر الكبرى خمسين ألفا أخرى من الجنيهات، فقلت لهم أو كتبت لهم بالأحرى ان عملهم خاطئ من أساسه وفي روحه. فالاستيلاء على هذا المركز يضر الفندق ولا

ينفعه، وكان الأولى بهم أن يفكروا في بناء "نيو مينا هاوس" - فندق جديد مكيف الهواء مصمم على أحدث النظم الفندقية، وذلك في حديقتهم الغنية الواسعة التي تقدر بعشرات الأفدنة.

وكان أن وفقنا الله إلى تحقيق هذا الرجاء بفضل الدكتور عبد القادر حاتم، نائب رئيس الوزراء - وكان يومئذ وزير الإرشاد القومي والسياحة والإعلام. وهو رجل تقي، حصيف، ألمعي، قدر الظروف قدرها، وحكم بالعدل، ورفض أن يحقق هذه العملية الخاسرة، معنى ومبنى!..

ومنذ ذلك الحين وأنا ألقى الدكتورة زهيرة عابدين من حين إلى حين، وأزداد كل مرة تقديرا لزهدها وتقشفها وتفانيها في خدمة المجتمع، في صمت قدسي عجيب.

ولكن لنبدأ الآن بالبداية، وندعها تتحدث عن رحلتها، وكيف عنت لها فكرة هذا الحديث:

"..... أبعث بتحيتي من الطائرة في طريقي من سان فرانسيسكو إلى طوكيو.. وهو طريق طويل يتكون الجزء الأول منه إلى هونولولو (حوالي خمس ساعات) ـــ حيث استراحة ساعة ـــ ثم تعاني ساعات طيرن متواصلة إلى العاصمة اليابان رأيت أن أقطعها بالتحدث إليكم فقد أخبرتني الأخت الفاضلة السيدة أنيسة محمود فهمي بأنك ترحب ببعض الخواطر تعرضها علي قرائك الكرام عما يخالط نفس الغريب في البلاد المختلفة من خواطر قد تكون فيها عظة أو يتلقن منها درس من دروس الحياة.. نعم.. لقد تلقيت دروسا كثيرة خارج النطاق الفني.. ففي أول الرحلة من انجلترا إلى أمريكا، ركبت إلى جانبي سيدة أمريكية كانت تمضي أجازتها في ربوع أوروبا، وبدأت تتحدث إليّ فاستهلت كلامها بنقد الفرنسيين وأكبار الانجليز، فأدركت أن السبب في ذلك هو ما لقيته من فارق في التأدب وحسن معاملة السائح، وما لاحظته من نظام وصدق وعدم تلاعب، وقالت أن الإنجليز شعب متحضر، أما ما تناولته في باريس من أكلات شهية وما شاهدته من مناظر جميلة فلم يبهرها بقدر ما بهرها صدق المعاملة واستتباب النظام في انجلترا..

فقلت لنفسي وأنا أسمعها أنني لم أكن أتصور أن تعرف عامة الشعب ومعاملتهم للسائح تترك كل هذا الأثر من التقدير، وتمنيت لو أننا في مصر أخذنا هذا في الاعتبار، فكرسنا جهودا خاصة لتثقيف الفئة التي تتعامل مع السياح، من الشيال إلى سائق التاكسي، ومن الترجمان إلى المرافق، إلى الخدمة الفندقية ومحال البيع الرفائع السياحية، ففي هذا كله ما يغز من سمعة وطننا دون أن يكلفنا كثيرا..

ولكن.. هذه الخنافس!

ونحن إذ نذكر انجلترا عامة ولندن خاصة بما اشته به الشعب من حسن معاملة السائحين، ودقة النظام، والأمانة، لا يسعني إلا أن نسجل التناقض الذي راعني من الشاب المسمى بالخنافس، وهم جماعة من الصبية تكاد تراهم كلما سرت في أي مكان، وقد أرسلوا شعورهم تتدلى، وزججوا حواجبهم وتشبهوا بالإناث على نحو مزعج بغيض يجعلك تتراجع في حسن تقديرك لهذا الشعب، حقا أن الشباب المراهق في انجلترا يعتبر عقبة كأداء في سبيل السمعة الحسنة.. فلا مال ولا إنشاءات يمكن أن ترتفع بها شخصية الشعوب إذا تداعت أخلاقها وانحل شبابها.

إن الخلق أصبح الميزان الحقيقي لحضارة الشعوب وها هي مشكلة أخرى في انجلترا أعمق مما ذكرت وقد لمستها عن قرب في زيارة طويلة إلى انجلترا منذ أكثر من عامين: تلك المشكلة اللقطاء وما تؤدي إليه من جيل عليل نفسانيا ومراهقة فاسدة مفسدة وإن ما يبذل من المال في مشاكل هؤلاء، في أي مقاطعة، يربوا كثيرا على ميزانية الرعاية الصحية.. لقد تعددت بيوت إيواء اللقطاء ونشط الاجتماعيون والاجتماعيات وعلماء النفس والخطباء والمدرسون لمعالجة هذه الانحرافات بما في ذلك الأحاديث الدينية بالكنيسة والراديو والمدرسة.. تكاد لا تنقطع.. إنها مشكلة ضاقت بها الدولة والساسة وأصبحت تعالج على شتى المستويات، حتى في البرلمان..

همست مرة في أذن إحدى الاجتماعيات: ألا من علاج!!..

قالت: العلاج عسير، إننا ندفع اليوم ثمن الانطلاق في الحرية الآن أصبح عسيرا.. وهذه الحرية الطائشة هي السبب في كل هذا العناء..

فليتنا نعتبر ونحن في دور انتقال وتطور حتى لا نهوى في هوة لا حول لنا بها ولا قوة. واعتبروا يا أولي الألباب!..

..

ماذا في أمريكا

وكانت هذه أولى زياراتي للعالم الجديد.. هبطت أول ما هبطت على واشنطن في ساعة متأخرة من ا الليل فهي بلدة جميلة يقطنها مليونان من الأمريكان، نصهم من السود، شوارعها نظيفة، متسعة، محوطة بالخضرة النضرة، ومبانيها حديثة ضخمة، ومتاحفها متعددة جميلة ومن

معالمها الظاهرة مبنى الكابتول للبرلمان، ومبنى المونومنت وهو أشبه ببرج مال تكاد تراه من كل مكان..

كذلك من معالمها — في رأيي الخاص — المركز الإسلامي ومسجده العالمي، وهو تحفة تجذب المئات من الأمريكيين في أيام الآحاد والجمعة، وتقصده الوفود من طلبة الجامعات والمعاهد مع مدرسيهم، كذا الراهبات والرهبان وغيرهم.. للزيارة.. ويبذل القائمون عليه مجهودا مشكورا منظما في التحدث من تاريخ المبنى وهدفه وما حواه من معالم وفنون وكذا نبذة عن العقيدة الإسلامية وما تضمنته من ترثا فيه سعادة الشعوب وضمان السلام.. إنها رسالة ساعدت في كشف كثر من الظلمات التي كانت تسود عقلية الأمريكي في هذا الشأن..

حضرت أحد أيام الآحاد فراعني المجهود الذي يبذل في المركز الإسلامي وراعني أيضا ما لمسته من كثير من الشباب الأمريكي خاصة، من إقبال واستماع في إعجاب وإجلال.. إن الدعاية الصهيونية الواسعة بأمريكا لابد أن تقابلها جهود من جانبنا، والشعب الأمريكي عموما شعب فيه طيبة وحسن تقبل.. ليتنا نعمل!..

والآن.. فلننتقل إلى نيويورك، الميناء العالمي الضخم الذي يقطنه أكثر من عشرة ملايين نسمة، تعددت أصولهم وتغلبت عليهم الآلية.. فالكل يعمل كالآلة المسخرة لا تكاد ترى بسمة الآدمية أو الإنسانية بمعناها الأصيل.. وإنني إذ أقول ذلك لا أنتقد كثرة العمل والتفاني فيه، بل على العكس، فقد أكبرت في الأمريكي نشاطه وعمله الكثير البناء وأن ما تنعم به أمريكا من ثراء وافر ومال لا يحصى، على حد قول الأمريكي لا يعرف أين ينفقه!.. وأن التقدم السريع في كل الميادين والإنشاءات التي لا حصر لها في كل مجال هو لا شك إلى حد كبير ثمرة من ثمار هذا العمل وهذا النشاط فقط لا أحب العمل الذي ينسي الشخص معاني الإنسانية والمحبة والتعرف على الإخوة والتنعم بشيء من معاني الحياة والود. كذلك راعني ما انتشر في هذا البلد من حوادث السرقة والنشل، وفي الواقع أن الإنسان خصوصا الغريب وخصوصا السيدات والكبار لا يأمن السير في المساء بأي حال. تناقضات عجيبة ولكن هذا هو الواقع وهكذا ترى الإنسان يعلو في أفق حتى يدنو السحاب في حين ينخفض في أفق آخر إلى الحضيض، قصور الإنسان والطاقة البشرية من عجائب هذا البشر حتى في أقصى درجات المدنية. وإن المشكلة التي تعانيها الحضارة الغربية اليوم هي كما قلت مشكلة الخُلق. لقد استأصلت أمريكا أو كادت تستأصل أكثر أمراض الجسد. لقد انمحى أو كاد ينمحى الذباب فانمحت أو كادت تنمحى أمراض الذباب من نزلات معوية إلى

حميات إلى دوسنتاريا الخ.. لقد تلاشت أو كادت تتلاشي مشكلة الحمى الروماتيزمية وروماتيزم القلب بسبب العلاج المبكر بالبنسلين وتثقيف الشعب الخ.

كذلك كاد يتلاشى شلل الأطفال بسبب تعميم التطعيم الواقي. لقد تلاشى أو كاد مرض السل بسبب العلاج المبكر والتثقيف الصحي الخ.. ولكن لم تستأصل بعد أمراض الروح وهي لا تقل خطرا فلا أمن ولا استقرار للأفراد ما دامت هذه الأمراض تهدد الفرد وتعكر صفو حياته.

ليتنا نفطن لذلك ونحن نبني مجدنا الجديد وجيلنا الجديد.

مؤتمر طوكيو

نبذة صغيرة عن مؤتمر طوكيو. المؤتمر الدولي الحادي عشر لطب الأطفال جمع حوالي أربعة آلاف طبيب حوالي النصف من اليابان والنصف من الخارج من كافة أقطار الأرض من الغرب والشرق، امتاز بنظام دقيق رائع وبغزارة المادة يعتبر مفخرة لليابان وهو لا شك حافز على احترام شعب اليابان وإجلاله.

ولعل ظاهرة إقبال الياباني ورغبته الأكيدة في إرشاد الغريب ومساعدته في أبرز خصائص هذا الشعب سألت فتاة وهي تهرول مسرعة إلى عملها عن مكان ما فما كان منها إلا إن انحازت عن طريقها وسارت معي طريقا طويلا وعبثا حاولت أن أنبهها عن ذلك فما كان جوابها إلا أن تقول أود أن أرشد (guide) .. تكرر ذلك أكثر من مرة معي ومع زملائي .. فعلمنا أنه خلق أصيل في نفوس هذا الشعب العظيم.

حضر عن ج. م. ع معي الأساتذة: د. مصطفى الديواني و"د" شفيق عباس و"د" جميل والي ود. ممدوح جبر وألقى الجميع أبحاثا مشرقة ورأس د. الديواني جلسة الطفيليات وظهر صوت مصر بين الأمم وشعرنا براحة من أدى واجبا حتميا لوطننا ونهضتنا..

الآن أكتفي بهذا القدر واستعد لأن أتهيأ لزيارة الأراضي المقدسة الحبيبة ... أطرح حياة العلم والعمل الدنيوي لأستقر ولو أياما قليلة في جو قدسي يدخل على النفس راحة وسعادة لا يضارعها سعادة المدنية البراقة في أمريكا ولا حتى لذة العلم والبحث والاكتشاف إنما سعادة تفوق كل سعادة إنما سعادة بدأت أشعر ها قبل أن أغشاها وبت أعيش فيها منذ طرحت الدنيا وتأهبت لها.

واشتعل الرأس حباً وطباً

زهيرة عابدين في يوبيلها الماسي

75 عاما من الطب الجميل مارسته ولا تزال تمارسه أم الأطباء المصريين..

التي كرمها الغرب مؤخرا ومنحها وساما رفيعا لا يمنح إلا للاتي قدمن خدمات جليلة للمرأة..

الدكتورة زهيرة عابدين زارت مصر مؤخرا فالتقيناها وحاورناها فأجابت من القلب الذي يحب "الغلابة"

واخترع لهم علما خاصا اسمه الطب الاجتماعي

حاورتها منى عوض

مجلة نصف الدنيا 15 مارس 1992

المرأة في تاريخنا ظل، خيال، لا يتحدث عنها المؤرخون إلا من خلال رجل. وقد استطاعت امرأة مصرية كسر هذه القاعدة دون كلام عن رقتها ووداعتها وطيبتها وجمالها الرباني تحكي ملامح وجهها قصة الطبيبة التي أفنت نصف قرن من عمرها في مجال طب الأطفال، لأن الأطفال هم مستقبل الأمة وأملها في غد أفضل لذا فقد اختارت الدكتورة زهيرة هذا التخصص لتبدع فيه وتفوق غيرها قدرة في هذا المجال.

وعلى الرغم من سنوات عمرها الماسي فهي تمضي في العمل وحياتها ليست إلا هبة سخية وعطاء متصلا فهي تكرس للأطفال حياتها وتعطي نصائحها ومعرفتها وكل ساعة من وقتها لتلاميذها.

هي مؤسس علم الطب الاجتماعي في مصر والعالم العربي، إليها يرجع الفضل في إنشاء المراكز الصحية بالهرم والدقي والخاصة بعلاج روماتيزم القلب وصحة الطفل.. وهي التي أسست جمعية الطبيبات المصريات..

لم يقف نشاطها عند حد الصحة فقط بل تعداه إلى ميدان التربية والتعليم حيث ساهمت في إنشاء مدارس إسلامية للغات تضع الدين نصب عينها لتخريج جيل مسلم ملتزم بتعاليم دينه ويواكب روح العصر..

زهيرة عابدين.. في مجتمع الأطباء عندما تنطق بهذا الاسم تغشي المكان سحابة من السكينة وغمامة من هدوء ووقار ويكاد كل طبيب أن يقول: أمي .. فهي الملقبة بأم الأطباء وهي التي كرمتها الدولة فنالت درع الجمهورية والوسام الذهبي في ذكرى مرور 150 عاما على إنشاء كلية الطب.

في ألمانيا كرمها نادي النساء الدولي في فرانكفورت وأعطاها جائزة إليزابيث نورجال التي تمنح سنويا لإحدى النساء اللائي يقدمن خدمات جليلة للمرأة وهي المرة الأولى التي تمنح هذه الجائزة الكبرى لسيدة خارج أوروبا وأمريكا..

قالت عنها الصحيفة الغربية: أنها نموذج لامرأة قلما تستطيع امرأة أخرى محاكاتها في مسيرة حياتها المليئة بالأعمال الخيرية. فعندما تحصل امرأة في مجتمع شرقي يتميز بسيطرة الرجال على لقب " الأم المثلى لأطباء مصر " فإن هذا يقترب من مرتبة الأسطورة ويعبر عن تقدير عظيم ليس من قبل زملائها فسحب بل من بقية المواطنين. .. د. زهيرة كانت في مصر مؤخرا ثم سافرت إلى الإمارات حيث عملها.. وقبل السفر كان لنا هذا اللقاء الذي فتحت فيه دواليب القلب نفتش فيها عن مواطن الحب للناس **ونكتشف هذا المنجم المعطاء الذي لا ينضب ولا يتوقف عطاؤه.**

• حرمت من عطف الأم وأنت في سن الثالثة ولم يمت فيك الأمل ولا وهنت الإرادة.. فهل أكسبك اليتم أمومة مبكرة جعلت قلبك يخفق بحب الأطفال؟

– في صوت هادئ تكلمت د. زهيرة فقالت رب ضارة نافعة فما من شك أن عدم وجود أمي كان له أثر علي سلوكي وربما انعكس هذا على شخصيتي فقد كنت منذ صغري هادئة لا أحب "الشقاوة" فبالرغم من صغر سني وقت وفاة أمي إلا إنني مازلت أتذكرها رغم مرور كل هذه السنين، فالهدى هدى الله و رعاية الله فوق الجميع .. كما أني كنت متميزة في دارستي أريد

دائما أن أكون مثالية وقد كان أبي دارسا للحقوق في فرنسا عضوا بمجلس الشيوخ وشديد العطف عليّ لأنني كنت صغرى البنات ولم يكن قاسيا عليّ .. وبالتالي فاستقامتي كانت توفيقا من الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى أنني كنت في صغري شغوفة بسمع القصص الدينية والتي ربما تكون قد أثرت في حياتي وما من شك في أن شعوري بالحرمان من عطف الأم قد أثر عليّ من ناحيتين الأولى: هو أنه جعلني -لا أريد أن أقول رحيمة وعطوفة- ولكن أشعر بحرمان اليتيم من العطف وحاجته إليه وأعتقد أن هذا كان له دخل كبير فيما بعد في أن اتجه إلى حقل النشاط التطوعي.

والثانية: هو انه جعلني أشعر أنني في رعاية الله .. فاتصالي المبكر بالله كان شيئا تلقائيا وحبي له كان فطريا فقد كنت أصلي له وأنا أقل من خمس سنوات واستيقظ لصلاة الفجر والبيت كله نائم .. وهذا الاتصال بالله أفادني طيلة مسيرة حياتي .. وتعمق أكثر بعد التحاقي بالطب فبدأت أرى الله سبحانه وتعالى في مادة التشريح ومادة علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجي) وفي الكيمياء وكيف تحدث آلاف التفاعلات في أجسامنا .. فهذا كله لا يمكن أن يحدث تلقائيا أو بطريق الصدفة .. كما أن ذلك قوى من إيماني وجعلني أشعر برقابة الله المستمرة ومن ثم حرصت دائما على إرضائه.

البيت هو الأساس

• البيت والزوج والأولاد هم الدليل الأكيد على تفوق المرأة في منـــزلها قبل أن تحقق طموحاتها خارج بيتها فهل حققت أنت ذلك؟

- في البداية أؤكد أن بيتي هو محل اهتمامي الأول ورعاية زوجي وتربية أولادي هي المسئولية الأساسية فخير عمل تستطيع المرأة ان تقدمه لوطنها أولا هو تربية أولادها وإعداد جيل جديد صالح.

والحمد لله لقد استطعت أن أحقق نجاحا مشرفا في بيتي فلم أظلم أسرتي أبدا وخاصة وأن زوجي الدكتور عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التحاليل الطبية زوج مثالي ولولاه ما استطعت تحقيق هذا النجاح الكبير وعاونني في مسيرة حياتي كلها.

أما أبنائي فأنا لم أقصر في حقهم فقد كنت حريصة على خدمتهم بنفسي وهم في مرحلة الطفولة بالرغم من أعبائي ومشاغلي الكثيرة، ولم أكن يوما ديكتاتورية مع أولادي .. فقد كنت أخاف على مشاعرهم بمعنى أنني لم أفرض عليهم الأوامر وأواجههم بالشخط أو إلقاء الرعب في أنفسهم .. وإن كنت في نفس الوقت لا أدللهم، وأنا أعترف أن هذا خطأ فقد كان لابد من بعض الحزم والتوجيه وتبصيرهم بتجارب الحياة .. ولكنني أنا نفسي كنت أفتقر إلى هذه التجارب بسبب انشغالي بالعلم والدراسة وأشعر أنني لم أقدم لهم الرعاية الكاملة التي كانوا يستحقونها في سن المراهقة الحرج ولكن تفوقهم العلمي والخلقي عوضهم عن هذا التقصير من جانبي والدليل على ذلك أنهم جميعا حصلوا على درجة الدكتوراه ويعملون كأستاذة جامعات وهم الدكتورة منى أبو الفضل التي تعمل أستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وحاليا تعمل بإحدى الجامعات الأمريكية والدكتورة هدى بطب القاهرة والدكتور عمر الأستاذ بكلية الهندسة والصغرى الدكتورة عزة أستاذ طب الأطفال المساعد.

حكاية نجاحي

• حكايتك مع التفوق حكاية طويلة بدأت منذ الصغر.. تستحق أن نتابع خطواتها معك؟

– منذ صغري وأنا متميزة في دروسي فقد كنت الأولى على القطر المصري في البكالوريا سنة 1936، وقد كان من الممكن أن يحدث تحول في مسيرة حياتي في دراستي الثانوية فقد حاولت طالبات القسم الأدبي التأثير عليّ واجتذابي للالتحاق بالقسم الأدبي وبالفعل سجلت اسمي بهذا القسم فقد كنت أقوم بالمناظرات ومعرفة بطلاقة الحديث والخطاب وخلال الأجازة الصيفية أقنعتني أختي الدكتورة فاطمة بالتحويل للقسم العلمي وعندما بدأ العام الدراسي الجديد ذهبت إلى ناظرة المدرسة ــ وكانت سيدة حازمة جدا لا يستطيع أي طالب أن يناقشها ــ وتشجعت وطرقت بابها وطلبت منها أن تنقلني إلى القسم العلمي وكانت تعلم أني متفوقة، وبالفعل أخذتني من يدي وذهبت بي إلى فصول العلمي وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى لي تحويل مسيرة حياتي.

وبعد الحصول على البكالوريا التحقت بكلية الطب واستمر التفوق وظللت الأولى حتى حصلت على البكالوريوس سنة 1944 وسافرت بعد ذلك إلى انجلترا واجتزت امتحان درجة العضوية الطبية الملكية وهو امتحان صعب للغاية لا ينجح فيه سوى العشرة الأوائل فقط ..

وعندما عدت عينت بكلية الطب وتدرجت في المناصب حتى وصلت إلى أستاذة طب الأطفال وكنت أول سيدة ترأس قسم الأطفال في الجامعة.

المرأة وأمراض النساء

• بماذا تفسرين نجاح الرجل في مجال النساء وفشل المرأة في ارتياد هذا المجال الأقرب إليها؟

– بداية لا أريد أن نقول فشلها أو قصورها في هذا المجال، فالملاحظ أن الرجل يتميز في الأعمال التي تحتاج إلى شجاعة ومسئولية نظرا لطبيعة تكوينه فطب النساء والولادة لا تخلو من عمليات جراحية كبرى وهذا يجعل الرجل أكثر تميزا عن المرأة بالإضافة إلى ذلك هناك ظروف المرأة الاجتماعية وبيتها وأولادها فهي أم وربة منـــزل أولا وأخيرا.

وفي حالة اشتغالها بأمراض النساء والولادة فإن ذلك يقتضي استدعاءها بالليل والنهار في الأوقات المناسبة والغير مناسبة للكشف عن الحالات العاجلة والولادات المتعسرة وهذا يتنافى مع وظيفتها الأساسية وهي الاهتمام ببيتها وزوجها وأولادها ومن ثم تعتبر هذه المهنة ظلما للأسرة وفي رأيي فإن تخصص الأطفال هو أكثر التخصصات التي تناسب طبيعة المرأة، وإن كنت أتمنى أن تثبت الطبيبات جدارة في تخصص النساء والولادة.

فنحن في أشد الحاجة إلى أن تخصص الطبيبات في أمراض النساء فأي سيدة لديها شيء من الحياء لا تحب أن تتعامل مع الطبيب وتفضل أن تتعامل مع طبيبة.

• قلت: " أنا لا أبرر العمل للمرأة إلا اللاتي يضفن جديدا في مجالات التعليم والتربية والطب فهذه أعتبرها مجاهدة " فهل لا تشجعين عمل المرأة إلا في هذه المجالات فقط؟ ورأيك في الدعوة هذه الأيام لعودة المرأة المصرية للبيت؟

– هناك قاعدة عامة لا يختلف عليها أحد وهي أن المرأة واجبها الأساسي الذي خلقها الله له هو رعاية زوجها وأولادها، ومن ثم فإن قيامها بفعل ما بإخلاص وضمير مع قيامها في نفس الوقت برعاية أولادها يعتبر جهادا وأرى أن فتح مجال عمل للمرأة في جميع التخصصات خطأ، فلابد أن نختار في كل مجال الشخص الملائم له فهناك أعمال لابد أن تشغلها امرأة مثل طب

الأطفال، كذلك لا يمكن الاستغناء عن المدرسة خاصة للأطفال، قد شعرت بأهمية هذا المجال لذا تطرقنا إليه في نشاطاتنا وأنشأنا عدة مدارس إسلامية تخرج أجيالا صالحة.

وألاحظ أن هناك طبيبات لا يفضلن العمل بعد التخرج بحجة رعاية الزوج والأولاد وفي رأيي أنه ما دام المجتمع في حاجة لهؤلاء الطبيبات فإن خدمة المجتمع تعتبر نوعا من أنواع الجهاد.

أما دعوة المرأة للبيت فهي لم تحدث حتى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كانت المرأة تخرج في الغزوات لتساعد في تضميد الجروح وكان يطلق عليهن الآسيات وهو اسم جميل يأتي من المواساة والتسرية عن المريض، إذن غودة المرأة للبيت موضوع لا يجب أن نتطرق إليه!

• **لماذا أغلقت عيادتك الخاصة منذ 30 عاما.. لماذا؟**

- عندما لم يتحقق حلمي في إنشاء مستشفى للأطفال المصابين بمرض روماتيزم القلب في الجامعة اقترح عليّ زوج أختي إنشاء جمعية لتحقيق هذا الغرض فقد كان يلمس مدى انفطار قلبي على هؤلاء الأطفال، وقمنا بتأسيس الجمعية واتسع نشاطها وكثرت المشاغل والواجبات لذا لم أستطع التوفيق بين العمل في عيادتي الخاصة والعمل التطوعي في الجمعية فاضطررت لإغلاقها وكرست كل جهودي للطبقة الفقيرة.

• **روماتيزم القلب الذي يصيب الأطفال هل هو موض وراثي أم مرض بيئي ؟ وكيف يمكن الوقاية منه؟**

- روماتيزم القلب مرض خطير ونسبة الوفاة فيه عالية إذا أهمل علاجه وكان من أهم أسباب الوفيات في أطفالنا من سن 5-15 سنة، وحتى إذا لم يؤد إلى الوفاة فإنه يقعد الشخص عن العمل قعودا تاما وهذا يعتبر عجزا وخسارة لمصر أما الآن فقد تغيرت الصورة إلى حد كبير بفضل الجهود التي قمنا بها منذ عام 1956.

وعامل الوراثة في هذا المرض عامل طفيف ولكن البيئة هي الأساس في حدوث التهابات اللوز بالميكروب السبحي، وهذا يحدث عند تكدس في المدارس مثلا وعدم توفر الوعي الصحي، وهؤلاء الأطفال يكون لديهم في العادة حساسية واستعداد لهذا المرض حيث يصابون بالحمى الروماتيزمية وهكذا فإن البيئة لها علاقة كبيرة من حيث المساكن الصحية والوعي الصحي وثقافة الأم والأولاد.

إن الوقاية ذات أهمية سواء في روماتيزم القلب أو غيره من الأمراض وهناك ثورة قامت في مجال الطب على أن مفهوم الطب هو المداواة فقد كان يخيل للطبيب أن من واجبه أن يشخص المرض ويعالجه ولكن الأولى به والأرجح له والفائدة التي تعم الناس هي الاهتمام بالوقاية ومحاولة منع المرض .. والحمد لله أن ديننا الحنيف قد اهتم بمجال الوقاية اهتماما شديدا كما جاء ذلك في القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام. والآن اختلفت الصورة اختلافا كبيرا وهذا يرجع إلى ارتفاع المستوى الاجتماعي وزيادة الوعي والثقافة وأهم من ذلك كله زيادة وعي الأم .. فمنذ حدوث التهابات اللوز تسرع بالطفل إلى الطبيب فالتهاب اللوز به اتصال بالحمى الروماتيزمية والعلاج المبكر في هذه الحالات يمنع الحمى من الظهور حتى في الشخص الذي لديه استعداد للإصابة بالمرض.

ولقد بذلنا أقصى مجهود في القيام بحملة للكشف على تلاميذ المدارس من سن 5 ــ 15 سنة واستخراج حالات روماتيزم القلب وقد قام بذلك مركز روماتيزم القلب بالهرم بالتعاون مع وزارة الصحة وقد كنا نقوم بعملية تثقيف صحي للأمهات وهذا مستمر حتى الآن في المركز.

ونتيجة هذه الجهود المكثفة فإن الحالات المتأخرة التي كانت تصل إلى ما يزيد على الــ 50% من مجموع الحالات انخفضت إلى 14% ثم إلى 4% ثم إلى 2% .

أما أكثر الأمراض المنتشرة حاليا في مصر لدى الأطفال فهي أمراض سوء التغذية والنــزلات المعوية، وإن كانت نسبتها قد قلت عما كانت عليه منذ عشرين او ثلاثين سنة، وهي تحتاج لجهود مضاعفة لأنها أمراضا يمكن التغلب عليها.. ومن الأمراض المهمة أمراض الدم الخبيثة وهي ليست منتشرة ولكن هناك بصيص من الأمل في أننا سوف نتغلب عليها.

• **فكرة الطب الاجتماعي فكرة جديدة على مجتمعنا.. ماذا تعنى وما هو مجال تطبيقها؟**

– الطب الاجتماعي له أكثر من اسم فيطلق عليه طب المجتمع أو طب البيئة أو الطب الوقائي وكلها معاني متقاربة ومتكاملة. وتقوم فكرة الطب الاجتماعي على نزول أئمة العلوم الطبية للمجتمع للمشاركة بجهودهم وللتعرف على مشاكله الصحية على الطبيعة والتخطيط للقضاء عليها بطريقة عملية بدلا من التخطيط النظري والمساعدة في محاربة المرض والقضاء عليها.

ونحن لنا السبق في إدخال مفهوم الطب الاجتماعي في مصر فقد بدأنا الفكرة عندما أنشأنا مركز روماتيزم القلب بالهرم فقد لوحظ أن الطفل لا يحتاج فقط إلى حمايته من الأمراض المختلفة وإنما هو في أشد الحاجة إلى الوقاية من الظروف الاجتماعية الدافعة لهذه الأمراض.

واعتبر أنا أول أستاذ كرسي في طب المجتمع بجامعة القاهرة أول من جعلت مفهوم الطب الاجتماعي مفهوما حيا واشركنا أساتذة الطب مع الأجهزة المتخصصة في محاربة المرض في البيئة.

فطب المجتمع يقصد به إصلاح البيئة لمنع الأمراض، فالبيئة تساعد على حدوث الأمراض كالنـــزلات المعوية الدوسنتاريا والتيفود، فمثلا إذا كانت البيئة مليئة بالذباب فإن هذا سوف يساعد على حدوث الأمراض السابقة والتي لا يصح أن تكون موجودة في مجتمعنا واندثرت أو كانت تندثر في مجتمعات أخرى.

ومفهوم الطب الوقائي يمتد للريف والمدن خاصة الأحياء الشعبية المكتظة بالسكان.

• قلتي ذات مرة: يراودني حلم التغيير منذ كنت طالبة إلى أن وصلت إلى درجة أستاذ ورئيس قسم ولم أستطع تنفيذ فلسفتي الخاصة بها. ما هي الفلسفة التي تريدين تنفيذها؟

- منذ أن كنت طالبة وقبل أن أصبح دكتورة كنت أشعر بأن هناك حشوا في المناهج لا لزوم له وأن هناك أشياء كثيرة تدرس لنا وننساها أحيانا قبل التخرج.

ما من شك أن العلوم الطبية الأساسية ضرورة لتكوين خلفية للطالب يستند إليها وأساس يوسع مداركه هذا شيء ضروري ولكن أن تعرف مثلا اسم كل عظمة دقيقة في الجمجمة وفيها مئات وأسماء غريبة وكلها تنسى فهذا تضييع للوقت والجهد.

بدأ تعليم الطب في غرب أوروبا وانجلترا واعتقدوا أن المناهج التي وضعوها أشبه بالإنجيل والتوراة لا تمس فعوقوا أي تطور أو محاولة للتحسين فلم يكن أحد يستطيع أن يمس هذه المناهج، وفي الستينات بدأت ثورة طبية من جانب الأطباء مطالبين بضرورة التغيير والتحسين، وأنا مؤمنة بهذا فأنا تخرجت في الأربعينات وظللت أحلم 15 سنة بالتغيير، وعموما فالتغيير دائما صعب، ولكن أتيحت لي فرصة ذهبية في دبي فأعطيت حرية اختيار المناهج فاخترت الأفضل والأحدث وحققت ما كنت أتمناه، كما أنني أشرفت على التنفيذ خوفا من أن يأتي أحد لا ينفذها أولا يفهم ما كنت أقصده أو ليس لديه الحماس الكافي، كذلك كنت أحلم أن يُعطي الطب الوقائي أهمية

أكبر في مصر وأن يتعلم طالب الطب أن الدكتور لا يعني " السماعة " ولكن لابد أن يكون دوره الأول الوقاية ومحاربة المرض ثم تشخيص المرض وعلاجه إذا حدث.

• يتعرض الأطباء الشبان للبطالة هذه الأيام.. فكيف يمكن حل هذه المشكلة ؟

– هذا سؤال مهم وحرج فالبطالة موجودة في النطاق الطبي بشكل واضح ففرص العمل في مشكلة في جميع الدول وقد يظهر بشكل أوضح في مناطق عنها في مناطق أخرى نتيجة سوء التوزيع، فقد يكون هناك تكدس للأطباء في مناطق وحرمان مناطق أخرى من الرعاية الصحية وربما لو أحسنا توزيع الأطباء فإن هذه المشكلة تكون أقل حدة مما هي عليه الآن، إننا في إفريقيا وآسيا والعالم العربي والإسلامي نعاني من نقص الأطباء ولو تم توزيع الأطباء بشكل معقول لما ظهرت مشكلة البطالة بنفس هذا الوضوح، وفي يوم من الأيام كانت كلية طب القاهرة تقبل الف طالب في الدفعة الواحدة لكن إحساسا بخطورة هذه السياسة انخفض العدد إلى 500 ولكن بالرغم من هذا فإن الأطباء لا يجدون فرصا للعمل.

لقد ارتفعت بعض الأصوات في الجرائد الحزبية تحتج على إنشاء الجامعة الأهلية بحجة أنها سوف تؤدي إلى مزيد من البطالة وفي رأيهم أن الجامعات التي لدينا كافية وتحتاج فقط إلى التطوير بدلا من إنشاء كليات لسنا في حاجة إليها.

ورأيي الشخصي هو أنني حينما أنشىء كلية طب خاصة تكون على درجة عالية من الكفاءة ولا تقبل فيها إلا أعداد صغيرة ربما تكون هذه الكلية إضافة جديدة للكليات الأخرى يتخرج فيها قيادات طبية رفيعة المستوى وهذا قد يؤدي إلى منافسة جادة نحو التطوير.

فالتنافس في الخير مطلوب ونتائجه طيبة.

• ونحن في شهر رمضان كيف تقضي الدكتورة زهيرة يومها ؟

– منذ أن كنت طالبة لم أشعر بأي مشقة في شهر رمضان على العكس كنت أشعر أنني نشيطة و لم يكن هذا الشهر الكريم يغير أبدا من نظام حياتي، وأنا أعتقد أن رمضان لا يغير من نظام الحياة ولا يقلل من عطاء الفرد، حتى وأنا في هذه السن أشعر بأن الصيام يزيد من نشاطي وحيويتي، فحجب الطعام ساعات طويلة لا يعوق قوة التركيز ولكن قد يؤثر هذا على البعض ومن ثم يحتاجون إلى تحوير خفيف في نمط الحياة اليومية. لكن الصيام من الناحية الطبية والعلمية لا

يمكن أن يتدخل في قلب نظام الحياة، وأنا في رمضان أحب أن أعطي وقتا أكبر للاتصال بالله فأحافظ على صلواتي خاصة صلاة الفجر والتي أحرص على أن أؤديها في الجامع وأظل أقرأ القرآن حتى الشروق وأختمه في هذا الشهر وحريصة أيضا على صلاة التراويح، فهذا الشهر الكريم هو فرصة للعودة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وأحرص كل عام على أداء العمرة في العشر الأواخر في رمضان.

العالمة التقية التي كرمها العالم ووصفها الغرب بأنها أسطورة قلما تتكرر

مايسة عبد الرحمن 6 سبتمبر 1991 "الأهرام"

الدكتورة زهيرة عابدين: بقدر الصدق مع الله.. تتفجر الطاقات وتجني الثمار

أبرزت صحف العالم هذه الأيام مسيرة حياة الطبيبة المصرية الكبيرة زهيرة عابدين بعد فوزها بجائزة نورجال العالمية وقد اختارها أربعمائة عضو ممثلين لخمسين دولة وهذه الجائزة التي تمنح لأول مرة منذ إنشائها قبل 45 عاما -لسيدة من خارج أمريكا وأوروبا الغربية- قالت عنها الصحف الغربية بالنص " إنها نموذج لامرأة قلما تستطيع امرأة أخرى محاكاتها في سيرة حياتها المليئة بأعمال الخير وأنها تحظى بإعجاب كبير في ألمانيا بشكل خاص لأن ما قامت به هذه السيدة في حياتها يقترب من مرتبة الأسطورة!" ولهم الحق في ذلك فما أنجزته هذه المرأة الجليلة خلال أعوامها الـ 75 ولا تزال تخطط لتنفيذه يفوق الخيال.

والدكتورة زهيرة أول امرأة عربية تحصل على عضوية الجمعية الطبية الملكية البريطانية (عام 48) وفي عام 1976 منحتها الجمعية درجة الزمالة الفخرية -وهي درجة عالية لا تمنح إلا لقلة منتقاه في العالم- ولم يحصل عليها أحد في الشرق العربي غيرها.. وفي عام 1980 منحتها جامعة أدنبره ببريطانيا وهي أعرق كلية طب في العالم -أنشئت منذ اكثر من 250 عاما- درجة الدكتوراه الفخرية من بين مرشحي العالم أجمع.

وهي من مؤسسي علم الطب الاجتماعي في العالم ورائدته في العالم العربي وصاحبة أكثر من مائة بحث علمي جديد ساهمت في انحسار العديد من الأمراض وهي التي اكتشفت نوع الميكروب السبحي المسبب لروماتيزم القلب مما خفض نسبة الإصابة به في مصر وكان لمركز روماتيزم القلب

الذي أنشأته في الهرم بالجهود الذاتية الفضل الكبير في خفض مضاعفات مرض روماتيزم القلب حيث أن 90% من الحالات تشفى من المرض إذا عولج في مراحله الأولى فكانت تذهب بنفسها إلى المدارس لاكتشاف الحالات المبكرة وعلاجها بمركزها الطبي مما أدى إلى انخفاض الحالات الخطيرة من 60% إلى 1% وتأهيلهم.

كما أنشأت دار صحة الطفل بالدقي وبه دار للمسنات وحضانة للأطفال وجمعية التربية الإسلامية.. وهي صاحبة فكرة مدارس اللغات الإسلامية وأول من بدأ تنفيذها عام 78، وهي مدارس تحرص على الدين السمح وعدم التشدد.. هذا إلى جانب أنشطتها المختلفة في جمعية الشابات المسلمات والهلال الأحمر والقرآن الكريم كما أنها أول من أسس جمعية الطبيبات المصريات.. وربما اكتشفت بعد حين أن هناك أنشطة أخرى للدكتورة لا نعرفها فكما تحدثت مع أحد بشأنها يذكر لي اسم عمل جديد.

وتاريخ التفوق في حياة الدكتورة زهيرة تاريخ بعيد فلقد كانت متفوقة في جميع مراحل دراستها وكانت الأولى على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) بنين وبنات (عام 1936) وكذلك تفوقت في كلية الطب حتى كانت أول طبيبة مصرية تنضم في كلية الطب حتى كانت أول طبيبة مصرية تنضم إلى هيئة تدريس جامعة القاهرة.

التوفيق على قدر الصدق والحماس

الناس تردد "لا كرامة لنبي في وطنه" وهي تقول "على العكس لقد أعطتني بلدي الكثير، بل أعطتني أكثر مما استحق، ويا ليتني أستطيع أن أوفيها حقها"... بهذا التواضع الشديد والسماحة بدأت كلامها معي في محادثة هاتفية طويلة من دبي حيث تعمل الآن كعميدة لكلية طب البنات الإسلامية.

وتكمل الدكتورة زهيرة حديثها التليفوني.. "لقد كرمني ربي كثيرا. هزني تكريم العالم لي ليس بسبب شخصي الضعيف بقدر ما فيه من تكريم للمرأة المسلمة والمرأة العربية المصرية.. وخاصة أنني لم أرشح نفسي لتلك الجوائز بل إنني فوجئت باختيارهم.. أما بالنسبة لتكريم بلدي لي. فهو الكثير والحمد لله، فلقد تم اختياري العام قبل الماضي أم للأطباء المصريين (80 ألف طبيب)... كما نلت درع الجمهورية للتفوق في العمل الاجتماعي ووسام ذهبي في ذكرى مرور مائة

وخمسون عام على إنشاء كلية طب القاهرة كما نلت وسام رواد الطب من نقابة الأطباء الآن. أنا لا أنتظر نيشانا ولا تكريما لقد أخذت من الدنيا كفايتي وكل ما أرجوه أن يقبل الله تعالى أعمالي ويرحمني".

تقول عنها تلميذتها في كلية الطب الدكتورة منى أبو السعود والتي أصبحت ناظرة لحضانة الطلائع الإسلامية... لا أستطيع أن أنسى حالها الذي طالما رأيناها عليه وهي بين يدي الله في الكعبة المشرفة -حيث تحرص على أداء الحج كل عام والعمرة مرتين سنويا- وقد وقفت خائفة تبكي متبتلة إلى الله تعالى أن يقبلها ويحفظها من الخطأ حتى تلقاه!

.. كيف استطعت التوفيق بين كل أعمالك وإنجازاتك الاجتماعية وبين أسرتك (المكونة من زوج وأربعة أبناء!)... جاء الرد سريعا " بالصدق مع الله وإخلاص النية له سبحانه وفقني.. وعلى قدر الحماس يقل التعب وأنا لم أظلم أسرتي أبدا خاصة في مرحلة الطفولة أما في مرحلة المراهقة فأعترف أنهم كانوا يحتاجونني بقدر أكبر! لكن زوجي الفاضل أعانني في هذه المرحلة كما عاونني في مسيرة حياتي كلها.

والدكتورة زهيرة أم لأربعة أبناء الدكتورة منى وهي أستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ود. هدى الأستاذة المساعدة بكلية طب القاهرة، ود. عزة وهي أستاذ مساعد بطب بنها والدكتور عمر الأستاذ المساعد بالهندسة.

- **هل حققت الدكتورة زهيرة آمالها وطموحاتها بالنسبة لبلدها وبالنسبة لربها؟**

.. يا ليت لي عندي الوقت والطاقة، و يعلم الأعمار إلا الله وحده.. وأنا فعلا بصدد تنفيذ أحد آمالي..

كعادتها رفضت الحديث عن أفكارها إلا بعد أن تثمر!

.. وتكمل " بدأت قصة حبي لربي منذ نعومة أظافري فكان حبا فطريا وكنت أصلي له سبحانه وتدمع عيناي والبيت كله نائم وأنا عمري خمس سنوات.. أما حبي وإيماني اليوم لله تعالى أصبح حبا قويا راسخا مبنيا على تفكير وعلم ويقين بأن الله تعالى حق وأن لا شيء يستحق العمل من أجله إلا ما يرضي الله تعالى.

قلت للدكتورة.. لاحظت تكرار قول مشهور بين العاملين معك في كل مجال على حده..

• مضمونة " الدكتورة زهيرة جاية وح تحل كل المشاكل ..."؟!

... أنا لا أتخذ قرارا أو موقفا في بداية المشكلة.. لكني انتظر حتى أكظم غيظي وانتظر حتى أهدأ ولا أيأس.

وتقول الدكتورة فوزية حسب الله الطبيبة المشرفة على مركز روماتيزم القلب.. لقد تعلمت منها أنه ليس هناك مستحيل ولا توجد مشكلة ليس لها حل!

تقول الأستاذة سوسن أيوب ناظرة مدراس طلائع الكمال الإسلامية بالدقي عما عرف عن حزمها الشديد ومشقة العمل معها.. لقد اختلفت معها في بداية العمل معها.. لقد اختلفت معها في بداية عملي وتركت العمل لمدة أربع سنوات ولكن بعد فترة من النضج اتضح لي سلامة منهجها وبعد نظرها فعدت إلى التعاون معها والتعلم منها، تقول.. " لا أنسى يوم ذهبت معها لحضور إحدى اجتماعات الجمعية العمومية لمرضى روماتيزم القلب " وفي طريقنا للاجتماع وقع نظرها على طفله ممددة على طاولة الكشف فإذا بها تغير اتجاهها تلقائيا وتدخل غرفة الكشف وبصورة لا إرادية تخلع معطفها وتضع السماعة على أذنيها وتبدأ في الكشف على الطفلة بدقة واهتمام بالغين وسط دهشة الحاضرين ثم تقرأ نتائج التحاليل بعناية شديدة وكان هذا هو أهم شيء في حياتها الآن...!

– إنها إنسانة رأت ربها فلم تر سواه .. تقول عنها الأستاذة زكية عيسوي ناظرة مدرسة القومية للغات. أنها مع ما تميزت به من قوة بالغة في الشخصية وحزم شديد، تتمتع بخفة ظل عالية، وبقلب تملأه الرحمة والحنان.. لا أنسى عندما علمت بيتم أحد الأطفال الذين لم يقبلوا في مدرستها فأصرت على البحث عن أوراقه بين مئات الملفات وهي لا تستطيع مقاومة دموعها الغزيرة!

.. لعقلت: ربما لأني فقدت والدتي وعمري ثلاث سنوات وربما بدافع الرحمة المتولد من حبي لله عز وجل، فالأطفال بريئة وضعيفة، وهي الفطرة وهي الأمل وهي أول درجة لأول سلم في بناء الإسلام الخير المتسامح الصادق مع به.

– لم تهتم الدكتورة زهيرة بمرحلة الطفولة فقط بل بكل المراحل الإنسانية فلها نشاط كبير بجمعية الشابات المسلمات كما أنشأت دارا للمسنات بجمعية صحة الطفل بالدقي..

يقول د. حسين شحاته.. فراستها نادرة صائبة فيمن يتعاملون معها رغم مظهرهم الذي قد يبدو مغايرا، وكم أثبتت الأيام صدق إحساسها كما يقول عنها، أنها بقدر ما هي اقتصادية جدا في شأن الأموال التي تهب للأعمال الخيرية إلا أنها كريمة جدا في ولائمها الخاصة ـــ وهي من أسرة ثرية وتنفق على أعمالها من مالها الخاص ـــ لها صبر كبير على العبادة ففي سنها هذه تصر على صلاة الفجر جماعة في المسجد وتظل تقرأ القرآن حتى تطلع الشمس، تختم القرآن كل شهر وتحتفل بذلك مع من يختمونه معها.

- بلغت شدة رقة الدكتورة زهيرة أنه بمجرد أن نشرت الجرائد خبر فوزها بجائزة نورجال لجهودها في الدفاع عن حقوق المرأة سارعت بإرسال التلكسات تطالب بالتصحيح قائلة " أنا لم أنلها لدفاعي عن حقوق المرأة فهناك من المصريات الفضليات من هن خير مني في ذلك ولكنه كان بسبب ما أعانني الله على القيام به في ميدان الطفولة والأمومة وفي الحقل الاجتماعي".

- **سؤال أخير.. ما أسعد لحظات حياتك؟**

- .. أقسم بالله .. أن أسعد لحظات حياتي هي التي ألقى الله تعالى فيها وأعرف أنه سبحانه قد قبلني ورضي عني.

قلت: صدق الله العظيم " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين".

أم الأطباء المصريين اسمها زهيرة عابدين

(سلسلة حوارات)

- كانت الأولى في شهادة البكالوريا على مستوى مصر كلها 1936.
- والأولى على في شتى الدراسة دفعتها بكلية طيب القصر العيني.
- وأول فتاة تعتلي كرسي التدريس بكلية الطب في جامعة القاهرة (تصويب المعلومة المدرجة سابقاً).
- أول طبيبة في مصر تحصل على شهادة M.R.C.P من بريطانيا.. 1948.
- أول عربية تحصل على العضوية الفخرية من الجمعية الطبية الملكية 1978.
- أول طبيبة تحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة أدنبره في العالم..H.D.M.. 1980.

- أول طبيبة من خارج أوروبا تحصل على جائزة إليزابيث نورجال التي تمنح من قبل نادى نسائي دولي في المانيا لمرأة انجزت خدمات عامة مميزة في مجال المرأة والطفولة 1991.
- رائدة الطب الإجتماعي في مصر والعالم العربي، ومن اولى الأساتذة الجامعيين في العالم المعنيين بهذا المجال..
- قامت بتأسيس كلية طب دبي واعداد مناهج تعليمية مبتكرة لها وتم اعتماد شهادتها على مستوى دولي من كبرى جامعات العالم – وقد تخرجت منها اول دفعة من الطبيبات في عام 1991.
- منحت مؤخراً اكثر من جائزة في مجال تكريم العلماء والناشطين في الحقل العلمي ... ومنها تكريمها من قبل نقابة الأطباء وتحت رعاية السيدة الأولى لقب "أم الأطباء المصريين" ... وكذلك منحها الوسام الذهبي بمناسبة احتفالات مرور مائة وخمسون عاما على تأسيس كلية طب القصر العيني ...

حاورتها: حورية عبيدة – مجلة نصف الدنيا

القاهرة، يونيو 1917 المولد – والدها درس المحاماة بفرنسا.. وتتفرع عائلتها لتمتد إلى سوريا وفلسطين والأردن والمغرب.. أما والدتها فكانت تركية الأصل، ورثت عنها زرقة العيون وبياض البشرة.

– في البداية قالت د. زهيرة عابدين "فقدت أمي وأنا ابنة العامين ولم اتم بعد الثالثة .. فعانيت من اليتم مبكرا واعتبرت كل سيدة أقابلها بمثابة أم لي. فأتيح لي أن أرشف من حنان وحب أمهات كثيرات..وعندما كبرت كان شاغلي الأول هم الأطفال، والأيتام منهم على وجه الخصوص.

حرص والدي ــ وكان محاميا ــ على تربيتي تربية سليمة دينيا وثقافيا وأدبيا.. فكان يذهب بي إلى السينما والسيرك وحفلات أم كلثوم، وأنا لم أبلغ بعد السادسة من عمري، وأذكر أن أم كلثوم كانت لم تزل تغني وهي ترتدي "العقال" وكانت تصر على أن تحملني على رجليها في الاستراحة بين كل وصلة غنائية وأخرى.

وعندما لاحظ والدي ميلي للقراءة والاطلاع وبعدي عن اللعب مع قريناتي وكيف أنني أمضي ساعات طوال في التأمل، عمل على تعليمي الصلاة وحفظ القرآن، وأذكر أنني وأخوتي كنا

نصلي خلفه دائما صلاة الجماعة، وحرص على تعليمي اللغة الفرنسية فكانت أول لغة أجنبية أُلم بها. وعندما وصل عمري 12 عاما أحضر لي " نهج البلاغة " للإمام علي بن أبي طالب، ومقامات الحريري، وكتابات الشيخ محمد عبده، فزادت حصيلتي اللغوية والأدبية.

وفي عام 1936 حصلت على البكالوريا، وكنت الأولى على القطر المصري، وأول فتاة تحصل على هذا المركز.. وقد أحدث هذا الخبر وقتها هزة في الأوساط العلمية.

كنت في مدرسة الأميرة فوزية للبنات (ثانوية) ولا أنسى السيدة الفاضلة إنصاف سري ناظرة المدرسة وزوجة منصور باشا فهمي أحد رجال العلم في مصر، حيث أقامت لي حفلا وقدمت لي شهادة تقدير وجائزة مالية نظرا لتفوقي الدائم بالمدرسة. وكان هذا التفوق يتيح لي الفرصة لأتحدث معها وأطلب منها أي شيء، خاصة وأنها كانت تتسم بالجدية والحزم فكان البنات يخفن أن يتكلمن معها.. وفي مرة ذهبت أقول لها " كيف أن مدرسة كبيرة كمدرستنا لا يوجد بها مكان نستطيع أن نصلي فيه " فتبسمت وطلبت مني أن أتجول بالمدرسة وأختار مكانا، فوجدت حجرة مهملة بها مخلفات قديمة وأتربة، ووقع عليها اختياري، وعندما جاء العمال لتنظيفها فوجئنا بأن بها منبرا وقبلة لم تكن إدارة المدرسة تعلم عنها شيئا.. فرحت الناظرة واستبشرت، وتشجعت الفتيات وأقبلن على الصلاة.

وبعد البكالوريا التحقت بطب القصر العيني، وكنا حوالي 15 فتاة وعددا كبيرا من الأولاد، وأذكر د. نظيم فخوري أستاذ الكيمياء الذي خصص المحاضرة الأولى كلها ليروي لزملائي قصة نجاحي وتفوقي وراهن على أنني سوف أتفوق في الكلية أيضا.. فاغتاظ الأولاد وحددوا طالبا بعينه ليكون الأول.. ولكن خاب أملهم عندما حصلت على المركز الأول ــ في إعدادي طب ــ وجاء عالم الذرة الدكتور مصطفى مشرفة وكان عميدا لكلية العلوم وقتها فأرسل خطابا لوالدي ــ لإعجابه بتفوقي ــ يطلب منه أن يقنعني بالتحويل إلى كلية العلوم لما ينتظرني من مستقبل باهر.. ولكنني رفضت وأصررت على مواصلة دراسة الطب وأنهيت دراستي بالكلية وكنت الأولى على الدفعة، وعينت معيدة بقسم الأشعة ولم يسمح لي بالتدريس للطلبة لأن القانون يسمح للرجال فقط. وبناءا عليه لم يكن لي الحق في أن أكون عضوا بهيئة التدريس، فحصلت على دبلوم في طب الأطفال، وقد حببني في هذا التخصص أستاذي د. أحمد خليل عبد الخالق ولا أنسى كيف كان يرفض توقيع الكشف الطبي على أي مريض إذا علم منه أني سبقت وكشفت عليه، لثقته بي.

وبالرغم من حصولي على دبلوم الأطفال فإن الجامعة رفضت تعييني بالتدريس، فطلبت أجازة للسفر إلى انجلترا لأحصل على درجة MRCP أن أصبح بها عضوا بجمعية الأطباء الملكية، وتعني أن أكون استشارية في كل فروع الطب، وعدت إلى مصر عام 1948، ووقف إلى جواري د. محمد إبراهيم (الملقب بأبو القلب) ود. إبراهيم باشا شوقي رئيس الجامعة. ود. خليل عبد الخالق رئيس قسم الأطفال، وأصبحت أول أستاذة بكلية الطب في مصر، وفُتح الباب بعد ذلك للمرأة كي تصبح عضوا بهيئة التدريس بالجامعات المصرية.

عام 1953- 1954 كنت أمر على مستشفى أبو الريش فهالني كم الأطفال الذين يعانون من مرض روماتيزم القلب مع ما يعانونه من فقر يبدو عليهم وعلى ذويهم.. فأصررت على دراسة طب القلب خصوصا في الأطفال. فسافرت إلى انجلترا لمدة عامين ودرست هذا التخصص في أكبر مستشفياتها، وعدت إلى مصر أفكر ماذا أفعل لهؤلاء الأطفال؟ خاصة وقد وجدت انجلترا قد قضت على هذا المرض لأنه مرض الفقر والجهل بالدرجة الأولى.

واتفقت مع د. خليل على فتح عيادة خاصة بالمستشفى للأطفال لعمل الجراحات اللازمة، وإعطاء دروس للأهالي في التثقيف الصحي والوقائي من هذا المرض، ففوجئت بالأعداد الهائلة من المرضى والأطفال يموتون من هذا المرض.

ولكي أتفرغ تماما لهؤلاء الأطفال أغلقت عيادتي الخاصة وهداني الله لإنشاء جمعية خيرية في فيلا بالهرم لتصبح مركزا لأمراض روماتيزم القلب، وبدأت في جمع التبرعات وكانت حصيلتها – وقتذاك– 700 جنيه، وأصبح (فيما بعد) بالمركز 400 سرير للأطفال، تناقصوا الآن ووصلوا إلى 80 سريرا–وأحمد الله الذي أعانني على القضاء على هذا المرض بصورة كبيرة.. وتم استغلال بقية الأسِرة في فتح تخصصات أخرى بالمركز، وأضفنا دارا للطفل اليتيم، واشترينا مؤخرا جهاز بمليون جنه لوحدة فحوص وتشخيص أمراض القلب للكبار والصغار والتي ستفتتح قريبا.. وكلها من التبرعات.

وقد زار هذا المركز عميد كلية القلب بنيويورك بعد أن سمع عن المجهود المبذول فيه، وعندما رأى الأطفال بكى من شدة التأثر وقال لو ان في العالم عشرين طبيبا مثل د. زهيرة يعملون بهذه الروح لأصبح العالم سعيدا.

وجذبني العمل الاجتماعي لما فيه من خدمة للناس، فأنشأت -من التبرعات أيضا- معهدا لصحة الطفل بالدقي وهو مكون من عشرة طوابق به حضانة ودار للمسنين ومعامل وحجرات جراحة وقسم للأطفال مرضى سوء التغذية. وأعدادهم للأسف في مصر كبيرة، وستفتتح قريبا وحدة "جراحة اليوم الواحد" لكننا نحتاج لبعض التبرعات.

ثم أنشأت بمدينة ستة أكتوبر دارا للأطفال اللقطاء برأسمال قدره نصف مليون جنيه، وأتمنى أن أواصل تعليمهم وأوفر لهم فرص العمل والمسكن (الكريم) حينما يكبرون ويتزوجون.

وفي حي الحسين أقمت دار حضانة ومشغلا وبيتا للطالبات المغتربات يتبع جمعية الشابات المسلمات التي أتولى رئاستها، ثم مدرسة ثانوية ببورتوفيق، وأخرى مثلها بمدينة ستة أكتوبر ولأنني اؤمن بأن الطب والتربية والأخلاق لا ينفصل أحدها عن الآخر أنشأت مدارس الطلائع للغات من 1978 وشجعني عليها العديد من وزراء التعليم الذين تولوا الوزارة في مصر، وكلها مدارس تتبع جمعية روماتيزم القلب بالهرم، ثم أقمت دارا للطلاب المغتربين بالمهندسين بها مائة وثمانون طالبا من خارج القاهرة. وهكذا كلما ازدادت التبرعات زدنا نشاطا جديدا.

بعد ذلك اختارتني الجمعية الطبية الملكية في انجلترا لنيل درجة الزمالة F.R.C.P وهي بمثابة درجة الدكتوراه الفخرية.. وكنت بذلك أول طبيبة من العالم الثالث تحصل عليها.. ولم يحصل عليها من الرجال إلا أساتذة يعدون على أصابع اليد الواحدة.

وفي عام 1980 رشحتني كلية طب أدنبرة وهي أقدم كلية طب أنشئت في (أوروبا) - منذ أكثر من مائتي عام من بين كل أطباء العالم. أنا وجراح أعصاب أمريكي لنيل درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية.. وبالرغم من ترشيحنا معا.. فإنني حصلت على أصوات مؤيدة أكثر من الجراح، وأعلن الحاضرون أن قاعة الاحتفال لم تشهد هذا التصفيق الحاد لأحد من قبل، فسالت دموعي وقتها لأن هذا شرف لي بصفتي عربية مسلمة شرقية، وقد نشرت العديد من الصحف الغربية نبأ عن هذا التكريم.

كما حصلت على جائزة " إليزابيث نورجال" من نادي النساء الدولي بفرانكفورت بألمانيا وكنت بذلك أول سيدة من خارج أوروبا تنالها وهي تمنح لمن تقدم خدمات جليلة للمرأة.

ورشحت العام الماضي لجائزتين عالميتين أحدهما جائزة البحر المتوسط " كاتالدينا " كما استضافتني الحكومة الأمريكية لمدة ثلاثة شهور زرت خلالها اربعة عشر ولاية أمريكية والعديد من دول العالم كاليابان والهند وتايلاند وانجلترا.. وكنت أقابل كأنني ملكة متوجة.

أما أطرف الجوائز التي حصلت عليها كانت نتيجة كثرة سفري لدول العالم.. فأهدتني شركة الطيران الألمانية -اللوفت هانزا- جائزتها وهي تعطى لمن يعبر خط الاستواء أكثر من سبعة مرات.

• وأسأل الدكتورة زهيرة عابدين.. ألم تكرمك بلدك مصر؟

- تضحك وتقول: "كرمني الرئيس أنور السادات بمناسبة مرور مائة وخمسون عاما على إنشاء كلية الطب فأهداني درعا ووساما ذهبيا، كما كرمتني نقابة الأطباء وكذلك منحتني السيدة جيهان السادات درعا " للجمعية الخيرية المثالية في القطر المصري " ومنحتني السيدة سوزان مبارك لقب " أم الأطباء المصريين".

• توليت عمادة كلية الطب للبنات بدبي بدولة الإمارات.. فما قصة هذه الكلية؟

- في عام 1986 دعاني الشيخ سعيد لوتاه صاحب بنك دبي الإسلامي، وطلب مني أن أتولى الإشراف على إنشاء كلية طب للبنات بدبي، فلمست الفكرة قلبي وصادفت حلما قديما فكم تمنيت أن أنشئ كلية للطب بمناهج متطورة وأجهزة متقدمة وأن انتقي الأساتذة والطلاب بمعايير معينة، وأن أضع فيها خبرتي في الطب التي زادت عن 48 عاما.. فقمت مع زوجي بزيارة العديد من كليات طب العالم حديثها وقديمها واخترت المناهج والأجهزة بنفسي، وأنشأت الكلية وتوليت عمادتها لمدة ســتة سنوات وتخرج على يدي ثلاث دفعات.

• سألتها عن زواجها كيف استطاعت أن تقوم بكل هذه المجهودات وتأثير العمل على بيتها وأسرتها؟

- قالت: زوجي هو الدكتور عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التحاليل، كان زميلي في إعدادي طب بتفوقي وتديني لفت انتباهه فأصر على أن يرتبط بي، ورغم أنه بعد سنة الإعدادي تحول إلى دراسة الصيدلة إلا أن بعثات الطلاب للحج كانت تجمعنا، وأذكر أنه حاول أن يفاتحني في موضوع الزواج ونحن بالكعبة، لكنني لم أكن وقتها أتحدث مع الشباب إطلاقا.. وعندما عدنا إلى

مصر حضر هو ووالده وخالي ليخطبني، وكان مشهور عني وقتها أنني أرفض العرسان لأتفرغ للتدريس بالكلية والعيادة، ثم شجعني زوج أختي بعد مدح أخلاقه وتدينه.. وتم الزواج.

وتلمع عيناها وهي تقول " وإلى زوجي أدين بالفضل في تشجيعه لي، و لم يكن يوما عائقا، بل كان يشجعني ويسافر معي أينما أريد، لأنه كان يلمس منذ كنا طلابا حبي للعمل الاجتماعي.

كما أكرمني الله بأربعة أبناء (وسبعة أحفاد) وأبنائي هم د. مني أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة وتحاضر حاليا في أمريكا.. ود. عزت أستاذ طب الأطفال بجامعة بنها، ود. هدى أستاذ الطب بقصر العيني، ود. عمر أستاذ الهندسة بجامعة الأزهر وحاليا يعمل بساحل العاج.. كنت باعتراف زوجي وأبنائي أما وزوجة مثالية.

• في بداية الحديث ذكرت أنك تعلمت العمل الاجتماعي من السيدة صفية زغلول.. فلماذا لم تتعلمي منها العمل السياسي؟

- العمل السياسي تدخل فيه أساليب غير أخلاقية فلم يجذبني.. ومع ذلك فقد كنت أشارك في المظاهرات التي تندد بالاحتلال الإنجليزي.

• وكيف تقضين يومك؟

- قالت: "منذ طفولتي وإلى الآن، أستيقظ قبل الفجر فأظل أتهجد وأقرأ القرآن حتى يوذن للفجر، ثم أنزل إلى المسجد مع زوجي لنصلي ثم نقرأ جزءا من القرآن حتى شروق الشمس، فأصعد لشقتي لأنام ساعة واحدة، ثم أذهب لنادي الجزيرة لأخطط لبرنامج اليوم، ثم أصل مكتبي بمعهد صحة الطفل بجمعية روماتيزم القلب، وأتابع المدارس أو بيوت الطلبة أو أذهب للوزارة أو اجتماعات مجالس الإدارة.. وهكذا طوال النهار حتى أفاجأ بالليل وقد أسدل ستائره.

وأكتشف أنني لم أتناول سوى طعام الإفطار فأندم على أنني لم أصم هذا اليوم.

من رموزنا النسائية الباهرة

زهيرة عابدين: طبيبة ومربية فاضلة استطاعت أن تقهر مرض روماتيزم القلب

الشعب 12 نوفمبر 1993

الأثاث قديم تفوح منه رائحة الأصالة والجدران عالية وشامخة تركت آثار الزمن بصماتها عليها، والمكان لا يلفه الهدوء صور الأبناء والأحفاد تزين الحوائط ودقات ساعة قديمة تقطع بعض الصمت وتبدد بعض السكون، هكذا يبدو منــزل د. زهيرة عابدين التي جاوزت الخامسة والسبعين من عمر مديد حافل بالعمل والجدية والعطاء.

بخطوات هادئة ووجه باسم يشع منه النور وتلفه السكينة تدخل علينا د. زهيرة التي أفسحت من وقتها لحظات لتحادثنا حديث الأم والمربية.

- **د. زهيرة عابدين كيف بدأت مسيرتها؟**

– ولدت في أسرة مكونة من أخوات أكبر مني ووالد عطوف درس الحقوق في فرنسا وكان أديبا مثقفا رعاني في طفولتي التي فقدت فيها أمي مبكرا، فكان ميلي للهدوء وارتباطي منذ الصغر بالعبادة بشكل فطري ولكون والدي وفديا، ولقرب مسكننا من مسكن سعد زغلول فقد رعتني أيضا زوجته أم المصريين وكنت أحضر جلساتها ولقاءاتها المنتظمة فتفتحت عيني على رموز وطنية وشخصيات بارزة كان لها أفضل الأثر في نفسي وفي الدراسة كنت بفضل الله من المتفوقات إلى أن جاء ترتيبي الأول على البكالوريا (الثانوية العامة) عام 1936 للقسم العلمي، ودخلت كلية الطب ليوفقني الله فيها إلى أن تخرجت أيضا بترتيب الأول على دفعتي.

- **وطب الأطفال ما الذي جذبك إليه كتخصص؟**

– لم يكن عندي أي تردد بشأن تخصصي، فقد كنت مولعة بطب الأطفال محبة لهم مشفقة عليهم وقد عملت في مستشفى أبو الريش ولاحظت حالات روماتيزم القلب فتوجهت لهذا التخصص وعاونني أستاذي الدكتور خليل عبد الخالق في هذا الصدد وهو الذي أذكر له بالعرفان وقوفه في صفي إلى أن تم تعيين أول عضو هيئة تدريس بكلية الطب من النساء واستمرت أبحاثي العلمية في هذا المجال وحصلت على الدكتوراه وواصلت المسيرة للأستاذية ثم رئاسة كرسي

ورئاسة قسم طب الأطفال بكلية طب قصر العيني ورزقني الله تكريم هيئات وطنية ودولية عديدة أعزها على نفسي الدكتوراه الفخرية من دامعة أدنبره بانجلترا.

وقد شعرت خلال مسيرتي مع مرض روماتيزم قلب الأطفال بالحاجة لإنشاء هيئة أو مستشفى خاصة لهذا المرض فأنشأت جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب عام 1957 التي أسست لها مستشفى لهذا الغرض مازال عاملا بمكانه المميز بالهرم وأعاننا الله فانخفضت نسبة المرض خلال عشر سنوات إلى 48 في المائة، وبعد عشر سنوات أخرى إلى 5 بالمئة.

كذلك لمست الحاجة إلى رعاية الأطفال لتلافي أمراض يصاب بها الأطفال لظروف الفقر أو جهل الأم، فأسست معهد صحة الطفل الكائن بالدقي لرعاية الطفل وعلاجه والتي تضم إلى جانب الأقسام الطبية حضانة ودارا للمسنين وبعدها لمست الحاجة لرعاية صحة الطفل بمعناها الواسع النفسي والثقافي أيضا لإعداد جيل سليم النفس والفهم فأسست مدارس الطلائع الإسلامية، وتشغل هذه المشاريع متابعتها منذ سنوات معظم وقتي مما اضطرني لإغلاق عيادتي منذ ما يزيد على الثلاثين سنة تفرغا للناس ومشغلاتهم ورعايتها.

- **وماذا عن ريادتك في فكرة طب المجتمع ؟**

- طب المجتمع منتشر الآن في الغرب نشأ لدينا في الخمسينات وهذه حقيقة يعترفون بها فقد بدأنا دراسة حالات الأطفال انطلاقا من واقعهم الاجتماعي وإدراك تشابك العوامل البيولوجية ودرجة التطور الثقافي والتعليمي المحيط ومستوى أسرة الطفل، وانطلقنا من مراعاة هذه الظروف في علاج الطفل ومحاولة تحسين ظروفه المحيطة ما أمكن، وهو ما يعني بالمعنى التقليدي أن يصبح الطبيب "حكيما" وليس مجرد معالج، فالطب رسالة وليس مهنة فحسب.

وقد كنت من أوائل من دعموا هذا الاتجاه إلى أن أصبحت أستاذ كرسي طب المجتمع بكلية الطب وهذا الفهم هو الذي دفعني حين جاءت الفرصة لتأسيس أول كلية بنات لطب المجتمع في دبي بمساعدة من الشيخ سعيد لوتاه في دبي إلى أن تخرجت أول دفعة عام 1991 وهي كلية تنافس الكليات المناظرة في الخارج بشهادة دامعة ليستر في انجلترا التي تربطنا بها تعاون علمي وكذلك كلية طب القصر العيني.

• وأين عالم د. زهيرة عابدين الصغير في وسط هذه المشاغل وتلك المسيرة الغنية؟ ماذا عن دورك كزوجة وأم ؟

– هذا العالم الذي تتحدثن عنه ليس عالما صغيرا بل هو الأصل والمنطلق، فالأولوية له وحقوقه لابد أن تستوفي قبل الخروج لخدمة المجتمع وقد حرصت على إعطاء زوجي وأولادي حقوقهم وبذلت جهدي ما وسعني وكلهم الآن أساتذة في الجامعة في الطب والعلوم السياسية والهندسة، ولولا عون زوجي الدكتور عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التخاليل لما استطعت التوفيق بين الأمرين، وهو ما أعترف بله به وأسأل الله أن يجزيه فيه عني خير الجزاء.

• وماذا عن العمل السياسي؟ لماذا أعرضت ا لدكتورة زهيرة عنه وتفرغت للعمل الاجتماعي؟

– العمل السياسي هام ومجال السياسة مجال مؤثر لا شك، لكنني شعرت أن بذل الجهد فيه لا يرتبط بالنتيجة وأنني لن استطيع التأثير والإصلاح من خلاله بقدر ما أستطيع ذلك في العمل الإجتماعي، وكل ميسر لما خلق له.

• ما الذي تودين قوله للأجيال الجديدة في العمل الاجتماعي والدعوة بشكل عام؟

– الصبر والحلم هما مفتاح التعامل مع الناس وخدمتهم ورعايتهم فلا شك أن هناك الجاهل والماكر والمستغل وكلها نماذج سيقابلها كل عامل وعاملة في مجال العمل وأفضل سلاح للأستمرار هما الصبر والحلم وعدم استعجال النتائج، لقد أثمرت بعض جهودى بعد عشرات السنين ولو تعجلت النتائج لما حققت أية إنجازات، والحمد لله رب العالمين.

تجربتي في الغربة قوت علاقتي بالله

مجلة المسلمون - (موضوع الغلاف عدد يناير ١٩٨٢)

مكتب القاهرة – كريمان حمزة

الدكتورة زهيرة عابدين، الأستاذ وأخصائية طب الأطفال بجامعة القاهرة والحاصلة على أعلى الدرجات العلمية في تخصصها، والتي حازت –بسبب ذلك– على درجة الزمالة من جامعة لندن، والتي سبق لها أن أسست جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب، ومعهد صحة الطفل، كما أنها أسست مدارس الطلائع الإسلامية للغات، ثم قبل ذلك هي واحدة من الطلائع المثقفة التي ساهمت

بجهودها في تكوين جمعية الشابات المسلمات حتى تولت رئاستها عام 1970 .. ومازالت هذه الطبيبة المسلمة العظيمة لديها الكثير من الأفكار السامية النابعة من طبيعة الإنسان المسلم الواعي وهي الأفكار التي تتوج بها أعمالها ومناصبها ذات الموقع الإنساني.. وكان لمجلة المسلمون معها هذا اللقاء الذي بدأته بالحديث عن الإيمان..

سعد زغلول

توفيت والدتي وأنا في الثالثة من عمري، فإذا بي وبدون أن أدري ارفع عيني وانظر إلى السماء كنت أحس أن المعين الدائم هو من .. سيخفف دموعي، وقد زكى هذا الشعور لدي ان والدي المحامي وعضو مجلس الشيوخ، (كان) متدينا رقيقا حريصا على اداء العبادات خاصة في شهر رمضان، وكان يجمعنا للصلاة معه .. وكنت أصغر أخوتي.. أقف معهم لنصلي التراويح فيتعبون هم وينصرفون.. (واستمر انا لأكمل معه) ..

كان والدي رغم ثقافته الفرنسية متمسكا بدينه محبا لوطنه ولاسيما وأنه كان صديق الزعيم المصري سعد زغلول وجارا له.. وكثيرا ما حدثني عن جهاده ووطنيته، وفي أحد الأيام تعرض الزعيم لإطلاق الرصاص عليه، فجزعت للخبر وبكيت كثيرا وأخذت أدعوا الله أن ينجيه، وفي اليوم التالي زرناه ... وأثنى على سعد باشا وفرح بي والدي ... ومنذ ذلك اليوم أدرك والدي أن لي دورا ما فازداد اهتمام والدي بتثقيفي ورعايتي وكان يضطحبني إلى المكتبات لنختار سويا الكتب الإسلامية والتاريخية وحين بلغت الثانية عشرة كنت أستيقظ مع والدي للتهجد وقراءة القرآن الكريم حتى مطلع الفجر.

فترة القلق وفترة المراهقة

نعم، مررت بفترة المراهقة حتى الرابعة عشرة، لكنني وجدت القرآن يجيب على كل فرد يقلد اباءه دون أن يعي ويختار وبدأت أتساءل هل ديني على حق أم الأديان الأخرى؟ وبالفعل بدأت في هذه السن المبكرة أقرأ الإنجيل والتوراة.. وهالني التناقض في هذه الكتب وأيقنت أن الحكمة لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم حيث لا تناقض ولا خرافات بل إن كل آية معجزة في حد ذاتها واخترت الإسلامي بوعي وتعقل، وقد صانني ذلك الاختيار من قلق فترة المراهقة.

إنصاف سري

• ألا توجد قصة طريفة وقعت لكم في هذه المرحلة ؟

– نعم كانت ناظرتي في تلك المدرسة الابتدائية سيدة قوية يخشاها الجميع تدعي (إنصاف سري) وهي زوجة منصور باشا فهمي.. وقد دفعني إيماني أن طلبت منها أن تحدد لنا مكانا للصلاة حيث لا يوجد مكان بالمدرسة.. وانشرحت الناظرة لهذا الرأي وقالت لي: تجولي في المدرسة واختاري المكان اللائق فاتخذيه مسجدا وبالفعل تجولت في المدرسة وعثرت على حجرة مهجورة في أطراف الفناء وعندما حضر العمال لتنظيف الحجرة فوجئوا بأن هذه الحجرة بها قبلة ومنبر فقد كانت زاوية صلاة مهجورة من قبل وانشرح صدر الطالبات وأقبلن على الصلاة وخصصت السيدة الناظرة أحد المشايخ لأداء المهام الدينية من خطابة ووعظ وتفسير وحديث.

الأولى دائما

• كيف سارت الدكتورة زهيرة عابدين في المرحلة الجامعية ؟

– كنت دائما وبفضل الله متفوقة على الزملاء والزميلات حينما دخلت كلية الطب، وكان ترتيبي في المقدمة دائما فازداد تعلقي بالله وضاعفت مدة تهجدي والزمت نفسي بالصيام وأداء ما يطلبه الإسلام من المؤمن من سلوك طيب.

في الغربة

• الدكتورة زهيرة عابدين أدت فريضة الحج ثم تزوجت من الدكتور أبو الفضل أستاذ التحاليل الطبية وقد سافرا إلى لندن للحصول على الدكتوراه معا فهل عطلت فترة الغربة والبعد عن الوطن الاتصال الدائم بالله؟

– على العكس تماما.. فإن تجربتي في الغربة قوت علاقتي بالله وعمقها.. فهناك حيث لا قريب ولا جار.. ولا أهل.. كان التفرغ التام للعلم والعبادة في الغربة لذة لا تعلو عليها لذة فقد كنت حريصة على صلاة التراويح والجمعة في المسجد مع زوجي ونحرص على تلاوة ورد قرآني

يومي.. كما أن دراسة الطب علمتني الفرق بين علم الإنسان وعلم الله.. وقدرة الإنسان المحدودة وقدرة الله التي لا تحد، فعرفت حقيقتي وألزمت نفسي بالتعبد وازددت خشية فتحول إيماني بالله من حب فطري إلى نوع من الوعي بدأت معه أشعر بعظم مسئولية الخلافة عن الله في أرضه وبواجبي تجاه الأهل والوطن بل الإنسانية جمعاء فكان التخطيط لكل هذه المشاريع التي وفقني الله إليها عند العودة.

النقاب

• وكان لابد أن نسأل عن رأيها بالنسبة لحجاب الطالبة الجامعية؟

– فقالت الدكتورة زهيرة: إن الحجاب الذي يخفي الجسم كله ولا يظهر إلا الوجه والكفين دون تبرج أنسب للمرأة العاملة أو طالبة العلم لأنه أيسر في الحركة، وأتمنى أن تركز كل فتاة مسلمة على سمو أخلاقها واستقامة سلوكها حتى تصبح قدوة تحتذي في مظهرها وفي تفوقها العلمي وإتقانها للعمل.

وأقول لو كان إخفاء الوجه والكفين من دواعي الإيمان فأبلغ الإيمان دليل على عكس ذلك أن المرأة في الحرمين الشريفين وهما أطهر بقاع الأرض تكشف عن وجهها وكفيها دون أن تتهم بالخروج، ربما لأن الحرمين الشريفين هما كما ذكرت أشرف بقاع الأرض وبالتالي فالمرأة لا تشكل خطورة على الرجل أو أي فتنة لأن الرجل مشغول بالعابدة وكذلك المرأة فميزة الإسلام أنه دين وسطي لا رهبانية فيه.

ضرورة عملية

• لم تترك المرأة النقاب إلا منذ حوالي أربعين سنة فقط، فلقد كانت المرأة المصرية تضع "الياشمك" وكان منظرها غاية في القبول والحشمة، وكانت ابنة البلد تضع البرقع حتى عهد قريب فلماذا نتخلى الآن عن النقاب؟

– رخص الإسلام للمرأة أن تكشف عن الوجه والكفين ونحن في حاجة لبناء أمتنا وفي حاجة لعمل المرأة كطبيبة للنساء والأطفال وكمدرسة في المدارس وكمربية أيضا.. كشف الوجه والكفين للمرأة العاملة مباح يقول به كثير من فقهاء الإسلام الأجلاء، وفي كل الأحوال لابد من التركيز على المخبر أي الجوهر والمضمون، لابد من مراجعة النفس في كل صغيرة وكبيرة

نزوح الشباب

• هناك ظاهرة تنتشر بين شباب اليوم فالغالبية تنشد السفر إلى الخارج للعلم أو العمل، ما رأيكم؟ ثم ألا يؤثر ذلك على الشباب من الناحية الدينية؟

– قالت الطبيبة زهيرة عابدين: من تجربتي الشخصية ارى ان الغربة تقوي الصلة بالله ولكن ربما أني سافرت إلى انجلترا وانا زوجة. وهناك ظاهرة طيبة بدأت في الظهور منذ الستينات، فمنذ عام تقريباً كنت في لندن في شهر رمضان، وذهبت لصلاة التراويخ وفوجئت بالمسجد يزدحم بالشباب المسلم يؤمهم شاب سعودي متحمس .. قلت لا شك ان هذا نتيجة لروح شهر رمضان .. ولكنى عدت في الشتاء فقوجئت بنفس العدد يصلي العشاء .. وكان الثلج يتساقط بشدة .. ولكن حرارة الإيمان في قلب هؤلاء الطلبة كانت مبشرة بالخير .. ولاحظت ايضاً مدى الوعي الإسلامي والحماسة والغيرة وهو ما يجعلنا نحس بأن الشباب المسلم بخير..

الحنان وسحره

• د. زهيرة زوجة للدكتور عبد المنعم ابو الفضل استاذ التحاليل الطبية بكلية طب القاهرة وأم لثلاث فتيات وفتى .. ما هي فلسفتك في تربية الأبناء؟

– أؤمن بأن الحنان والعطف يصنعان الكثير .. لا افرض على اولادي شيئا مطلقاً .. ولم اتبع اسلوب الشدة قط .. واعتمد على القدوة الطيبة .. وادعو الله التوفيق.

الإخلاص

• قلنا لها كيف نجحت كزوجة وأم وسيدة عاملة في آن واحد وهذا النجاح العظيم؟

– قالت في تواضع جم .. التوفيق من الله والحمد لله، وسر التوفيق هو الإخلاص والعمل لوجه الله الواحد ... وشعاري (إعمل لوجه واحد .... **يكفيك كل الأوجه**) وافضل ما يصعد من الأرض إلى السماء الإخلاص، وافضل ما يهبط من السماء إلى الأرض .. التوفيق.

د. زهيرة عابدين أم الأطباء في حوار صريح لـ "الأطباء"

مجلة الأطباء العدد 126 (1993)

حبي للطب والعمل الاجتماعي لم يكن على حساب زوجي وأسرتي

لا تشغلوا أنفسكم بالمقارنة بين تكريم الأطباء والفنانين واتجهوا إلى العمل

إيجاد المواطن الصالح لن يتم بالقانون الصارم، وإنما بالتربية وغرس القيم الدينية

إذا ذكرت الريادة في الطب والعمل الاجتماعي، فلابد وأن تذكر الدكتورة زهيرة عابدين – أم الأطباء– رائدة العمل الطبي والاجتماعي، فعلى مدى أكثر من نصف قرن من النشاط النافع للمجتمع، والذي لا يزال قائما حتى قراءة هذه السطور، تشهد ساحات العمل الطبي والاجتماعي في مصر ببصمات أم الأطباء. فهذه قصة كفاح ونجاح في سبيل الخير للمجتمع ابتغاء فضل الله، تجربة حية، وخدمة هادفة، نجحت لما لازمها من الوفاء والتجرد والإخلاص. وقد لاقت أم الأطباء من التقدير العالمي والمحلي الشيء الكثير، وكان منه، وليس آخره، حصولها على درع نقابة الأطباء خلال ندوة "تكريم رائدات الطب". وبهذه المناسبة كان لـ "الأطباء" هذا الحور مع أم الأطباء.

أجرى الحوار خالد محمد الأصور

• .... ؟

– أنا أحمد الله تعالى أن يسر لي أسباب العلم منذ المراحل الأولى، في وقت كان فيه تعليم الإناث غير ميسور، فقد كان والدي محبا للعلم كثيرا، وكان من القلائل الذين أتموا دراستهم في "سان مارك" بالإسكندرية، ثم سافر للتخصص في دراسة القانون بفرنسا، فكان يشجعنا ويفرح لتفوقي في الدراسة، وكذلك كانت توفر لي الأجواء المريحة.

البيت والأسرة أولا

• .... ؟

– أنا كطالبة كنت أركز كل قواي على الدراسة، والحمد لله كنت الأولى على الثانوية العامة سنة 1936 على مستوى مصر كلها، وعندما تزوجت لم تتوقف مسيرتي العلمية، بل إنني

حصلت على زمالة الأطفال من الكلية الملكية البريطانية M.R.C.P (1948) رغم الظروف الصعبة التي صاحبت ذلك، حيث كان لي ابنة صغيرة، فضلا عن ظروف حرب فلسطين، وكنت قادرة بحمد الله على تنظيم وقتي وشئون حياتي بين البيت ومسئوليتي كزوجة وأم، وبين العمل والدراسات العليا ومسئوليتي كعضو هيئة تدريس، ولكن رغم حبي للعلم والعمل، لم يكن ذلك على حساب أسرتي وبيتي.

• .... ؟

– راودني العمل الاجتماعي كفكرة في البداية منذ سنة 1948 وأنا عضو في هيئة التدريس، وكان أكثر ما يؤرقني ويؤثر في نفسي المرضى المصابين بروماتيزم القلب في الحالات التي كانت تعالج في الجامعة، ومنها حالات لأطفال كان يهتز لهم قلبي وكياني كله، وبداية من عام 1956 / 1957 ركزت كل جهودي لخدمة مرضى روماتيزم القلب، حيث بدأت بتكوين جمعية لرعاية هؤلاء المرضى، تطورت إلى أن أصبحت الآن **مركزا صحيا ضخما يوجد حاليا في الدقي والهرم وضمت إليه تخصصات أخرى وخدمات اجتماعية.**

التعليم والأخلاق

• .... ؟

– **ربط العملية التعليمية بالتوجيه الأخلاقي ضرورة** هامة، لذلك فقد حرصت في " مدارس اللغات الإسلامية " التي أنشأتها على تحقيق ذلك من خلال التوجيه الذي تدعمه **القدوة** في المدرسين والحمد لله أساتذة طب قصر العيني يشهدون لأبنائنا الذين تخرجوا من مدارسنا بالخلق المتميز.

الحكيم وليس الطبيب

• .... ؟

– مهنة الطب مهنة إنسانية من أسمى المهن، لذلك يجب أن يكون الطبيب قدوة في عمله ومثالا يحتذى في كل خلق قويم، لأن الطبيب من أكثر الناس تأثيرا فيمن حوله، فقد كان حتى عهد قريب يسمى " الحكيم " ولكن هذا التأثير لن يكون بالكلام والفصاحة والبلاغة، ولكن

يكون فحسب بالقدوة والإخلاص والعمل الدءوب، والترفع عن المصلحة الشخصية والحديث عن النفس، بحيث تترك أعمالنا تتحدث عنا.

• ....؟

– الصحة في العالم الآن أصبح لها مفهوم مختلف، فهي ليست صحة بدنية فقط، بل يدخل في إطارها المتكامل الصحة العقلية، والصحة النفسية، والتمسك بالأخلاق أساس ذلك، وعلى هذا – فإن الصحة– بمفهومها الواسع هذا ليست مسئولية وزارة الصحة والأطباء فحسب، بل هي مسئولية كل الجهات والأفرد المعنيين بدعم صحة الإنسان بمعناها الشامل.

• ....؟

– الكلمة التي يمكن أوجهها إلى جموع الأطباء، هي أن الطب "رحمة" فالطبيب يجب أن يكون رحيما بالمريض، ولن يكون كذلك إلا إذا كان راسخ العقيدة والإيمان بالله تعالى، وإذا كانت الرحمة بالمريض مطلوبة بصفة عامة، فهي أكثر طلبا وإلحاحا بالنسبة للطفل المريض، والفقير على نحو خاص.

فمتى جمع الطبيب بين العقيدة والرحمة في ممارسته للمهنة فسوف يؤدي عمله بإخلاص وتفان، وفي غير جشع بحيث لا يحصل على قرش واحد من حرام، بل يعمل بكل جهده على التخفيف من آلام الناس.

إنه إن فعل ذلك يكون أشبه بالملائكة.

لنكن إيجابيين

• ....؟

– أرجو ألا نشغل أنفسنا ونضيع أوقاتنا في عقد مقارنات –لن يكون من ورائها جدوى– بين الاهتمام الإعلامي والرسمي بتكريم الفنانات، مقارنة بأرباب الطب والعلم، لأن العيوب في المجتمع كثيرة، ولو تفرغنا للحديث عن هذه العيوب فلن نتجه إلى العمل، فدعونا نكون إيجابيين ونتجه إلى الأعمال التي تحقق لنا أهدافنا، فأنا مثلا، المدارس لم تكن ميداني، لكن آمنت بفكرة

اتخاذها وسيلة لإيجاد مواطن صالح، وهذا لا يتم أبدا بالقانون الصارم فقط، بل قبل ذلك بالتربية وغرس القيم الدينية.

• .... ؟

- الحقيقة أن هناك ودا قائما بيني وبين نقابة الأطباء، وأنا أجد منها كل احترام وتقدير، وكان آخر مظاهر ذلك حصولي على درع النقابة، والنقابة دورها لا ينكر طبيا واجتماعيا في الداخل والخارج، وكان للجنة الإغاثة، وأعمالها الإنسانية خاصة في البوسنة صدى كبير، وهذه الأنشطة تعد من الأعمال الإيجابية التي لم أستطع متابعتها بنفسي، حيث كنت في أثناء أزمة البوسنة أعالج من مرض خطير في لندن، ولكن علمت بهذه الجهود الإنسانية المحمودة من الشاعرة عليه الجعار، والحاجة ياسمين الخيام.

د. زهيرة عابدين في سطور:

- أولى بكالوريا (ثانوية عامة) عام 1936 على مستوى مصر.
- الطبيبة الوحيدة في مصر الحاصلة على عضوية الكلية الملكية بلندن عام 1948.
- أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بالجماعات المصرية.
- الطبيبة الوحيدة التي مُنحت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة إدنبرة بانجلترا على مستوى العالم كله عام 1980 (لم يمنح هذه الدرجة معها سوى لجراح أعصاب أمريكي وفي نفس العام).
- المرأة التي مُنحت جائزة إليزابيث نورجال العالمية من النادي النسائي الدولي عام 1991 في الشرق كله،
- وفي الحفل الاجتماعي كانت أول أستاذة جامعية تحمل راية خدمة المجتمع وتحقق خدمات لمصر وأبنائها، نالت تقدير الجميع في مصر وخارج مصر فمنحتها جامعة القاهرة لقب أستاذ كرسي طب المجتمع، وبهذا كان لمصر السبق في ميدان هذا الفرع من العلوم الطبية في العالم كله.

- منحتها الدولة في عيد الكلية المائة والخمسين وسام الدولة الذهبي وقدمه لها الرئيس أنور السادات كذا كانت أول رائدة في الطب تكرمها نقابة الأطباء، كما سلمتها الدولة درع الجمعية المثالية.
- منحتها الدولة ونقابة الأطباء لقب أم الأطباء في حفل عيد الأم (الأم المثالية) عام 1990.
- أسست أول كلية بدولة الإمارات العربية (كلية دبي الطبية للبنات) عام 1986 ووضعت مناهجها وعكفت على إدارتها واستمرت عميدة للكلية زهاء سبعة أعوام نالت خلالها الكلية تقديرا عالميا مشهودا به، وتخرجت من الكلية دفعتان من الطبيبات المثاليات المشهود لهن بالكفاءة والتفاني في الخدمة.

بعض مشروعات أم الأطباء لخدمة المجتمع:

أنشأت المشروعات التالية:

- جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال عام 1957.
- مركز القلب والروماتيزم بالهرم، وله فروع ملحقة بالجامعات الإقليمية.
- معهد صحة الطفل (عشرة طوابق) بالدقي، ويحفل بخدمات صحية واجتماعية.
- دار الطلبة الجامعيين المغتربين والمعوزين، وتسع 200 طالب.
- مدارس الطلائع الإسلامية منذ عشرين عاما لتنشئة جيل للأمة على العلم والإيمان.
- ترأست جمعية الشابات المسلمات منذ عشرين عاما، وكانت من مشروعاتها:
  - بناء دار الحسين من أربعة طوابق أمام جامعة الأزهر، وبها مقر الجمعية تشتمل على حضانة ومشغل وعيادة طبية ودار للطالبات الجامعيات المغتربات.. وذلك كله بأجور رمزية.
  - مدرسة بور توفيق الإسلامية للغات (600 تلميذ في المراحل الثلاثة) وكذلك مدرسة 6 أكتوبر للغات.
  - تقوم حاليا بالإعداد لمشروع كبير لليتامى واللقطاء، بدأت فيه بإنشاء دار إيواء يتسع لمائة طفل.

أم الأطباء ... لكل أم
هكذا تحافظين على صحة طفلك
الأهرام المسائي 4 فبراير 1992

منذ أيام قليلة احتفلت بمرور 35 عاما على تأسيسها لجمعية " أصدقاء مرضى روماتيزم القلب " التي تضم مركز القلب الهرم ومعهد صحة الطفل وهو مجمع خدمات متكاملة يقدم للأم وأطفالها الرعاية الشاملة بأسعار رمزية من خلال العيادات التخصصية وقسم الجراحات وقسم الأطفال المبتسرين ومرضى سوء التغذية ودور الحضانة ودار المسنات..

إنها الدكتورة زهيرة عابدين أو "أم الأطباء" كما أطلقت عليها نقابة الأطباء تقديرا لجهودها الهائلة في إدخال الطب الاجتماعي إلى مصر ومحاربتها مرض روماتيزم القلب، كما تعتبر أول طبيبة مصرية يتم تعيينها في هيئة التدريس بجامعة القاهرة. وأول سيدة تتولى رئاسة قسم الأطفال الذي استمرت فيه سنوات طويلة أعدت خلالها أكثر من 150 بحثا علميا كما كانت أول امرأة عربية تحصل على عضوية الجمعية الطبية الملكية البريطانية ثم درجة الزمالة الفخرية وهي درجة عالية لا تمنح إلا لقلة في العالم.

• **سألتها.. ما هو "الطب الاجتماعي" الذي كان لك السبق في إدخاله مصر؟**

- باختصار شديد يعني أن الطبيب ليس هو فقط السماعة والفحص والروشيتة أنما هو بالإضافة إلى ذلك أو قبل ذلك إنسان شديد الحرص على التعرف على المشاكل الصعبة الموجودة في بيئته التخطيط للقضاء عليها بطريقة عملية بدلا من التخطيط النظري، وبذلك فإن دور الطبيب لا يقتصر فقط على علاج الأمراض المختلفة إنما أيضا الوقاية من الظروف الدافعة لهذه الأمراض ولذلك يطلق على الطب الاجتماعي أسماء أخرى عديدة مثل "طب المجتمع" أو طب البيئة أو "الطب الوقائي، وهي كلها معان متكاملة ومتقاربة".

• **وكيف جاءت لك فكرة الجمع بين الطب الاجتماعي والعمل الاجتماعي ؟**

- كانت البداية في الخمسينات حين لاحظت ارتفاع نسبة الأطفال المرضى بروماتيزم القلب من المترددين على مستشفى أبو الريش الذي كنت أعمل به حيث كانت مصر تعاني حينئذ من انتشار هذا المرض بين أطفاله، وبعد فشلي في إنشاء مستشفى جامعي خاص به، قررت إغلاق

عيادتي وإنشاء جمعية طبية خيرية لرعاية مرضى روماتيزم القلب وكانت تكلفة إنشاء الجمعية 700 جنيه حيث قامت الجمعية بعد ذلك بجهود كبيرة للقضاء على هذا المرض من خلال إجراء مسح شامل لتلاميذ المدارس الابتدائية بحيث كان يتم إحالة أي تلميذ مصاب بلغط روماتيزمي إلى الطب الوقائي، كما قامت بتنظيم دورات تدريبية للأطباء الشبان حول سبل الوقاية والعلاج، وكان من نتيجة هذه الجهود انخفاض حالات روماتيزم القلب بشدة خلال عشرسنوات من 47% إلى 14% وتشير آخر إحصائية إلى أن نسبة الأطفال المصابين به لا تتعدى 2%.

• وكيف يمكن للأم أن تحمي طفلها من الإصابة بروماتيزم القلب ؟

– هذا المرض يحدث نتيجة الالتهابات في اللوز بعد انتقال ميكروب معين إليها، وخطورة هذه الالتهابات أنها تتسبب في حدوث الحمى الروماتيزمية التي تؤدي بدورها إلى الإصابة بروماتيزم القلب وللوقاية ينبغي أن تحرص الأم على تهوية غرفة أطفالها جيدا، وتجنب كل الوسائل التي يمكن من خلالها انتقال الميكروب إليهم كالإفراط في التقبيل.

وفي حالة إصابة الطفل بالحمى الروماتيزمية فإنه ينبغي، حتى لو لم تؤد إلى لغط في القلب – وضعه على طريق الطب الوقائي أي إعطائه حقنة معينة كل شهر لمنع التهابا للوز وبالتالي ضمان عدم إصابته بنكسة روماتيزمية أخرى، وللأسف كثير من الأمهات يهملن ذلك.

وتعتبر سوء التغذية من أهم المشكلات الطبية التي تشغلني حاليا لأنه من غير المعقول أن يعاني أطفالنا ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين من هذا المرض الخطير والذي يحدث نتيجة للفقر وافتقاد الأم الوعي الصحي والغذائي ومن أهم أسباب الإصابة بالنـــزلات المعوية كنتيجة لتناول الطفل أغذية أو – سوائل ملوثة لذلك ننصح الأمهات دائما بالاهتمام بالنظافة ومحاربة الذباب وتغطية الطعام، كما يحدث "سوء التغذية" نتيجة لعدم وجود البروتين في غذاء الطفل بالقدر الكافي في حين أنه يمكن توفيره من خلال أغذية رخيصة الثمن كالفول العدس وليس اللحوم والدجاج فقط كما يعتقد الكثيرون.

الأسطورة التي استحقت تقدير العالم

أم الأطباء المصريين وعزف منفرد على آلة العطاء

حوار اجراه محمد يونس لمجلة "زهرة الخليج" 1993

****عندما وصفت الصحافة الغربية "أم الأطباء المصريين" بأن حياتها تقترب من الأسطورة التي يصعب على اي أمرأة اخرى محاكاتها .. لم تكن تبالغ .. فالدكتورة زهيرة عابدين عزف منفرد على آلة العطاء في العالم العربي، فقد افنت نصف قرن من عمرها لخجمة المجتمع والطفل، واغلقت عيادتها الخاصة 30 عاماً للتفرغ للعمل الخيري، فأسست اول جمعية لمرضى روماتزم القلب، ومعهداً لصحة الطفل، و مدارس الكمال الإسلامية .. واشرفت على تأسيس كلية طب البنات بدبي .. والكثير الذي فعلته علمياً واجتماعياً على مدى 75 عاما، فامتحقت تقدير العالم، حيث منحت الدكتوراه الفخرية من جامعة "أدنبره"، وحصلت على جائزة "نورجال" كأول سيدة من خارج أوربا وأمريكا تحصل على هذا الوسام ..****

ورغم انها في العقد الثامن من عمرها.. فلا تزال تصلي الفجر في المسجد يومياً، وتختم القرآن شهرياً، وتجد في اعماقها حيوية للعمل الخيري تنير لها الطريق بشموع من آمال المرضى وأحلام الأطفال..

** الإيمان بالله والصبر والتنظيم والعمل الجاد هي اسلحة الدكتورة زهيرة عابدين التي جعلتها دائما الأولى بين اقرانها، فقد كانت الأولى في البكالوريا " الثانوية العامة، علمي" على مستوى القطر المصري عام 1936، وكانت الأولى ايضاً على دفعتها بكلية الطب عام (1943) .. وهي أول عضو هيئة تدريس من النساء في كلية الطب، واول من رأست قسم الأطفال بها من النساء، وأول سيدة مصرية تحصل على درجة الزمالة من الجمعية الطبية الملكية بلندن، واول سيدة في العالم العربي والعالم الثالث كله تحصل على جائزة "نورجال" العالمية من المانيا.

أم الطفولة .. وطفولة الأم

وقد عرفت الدكتورة زهيرة عابدين — التي تعد أم الطفولة في مصر، في وقت مبكر معاناة الطفل المحروم من الحنان — حنان الأم- فمنذ نعومة اظافرها ذاقت طعم الحرمان، عندما توفيت

امها فأصبحت أما لنفسها و ينبوع حنان لكل الأطفال، فكانت تتصرف في طفولتها و كأنها أم .. ولذلك تعلقت عيناها بالعمل الخيري منذ وقت مبكر، وعندما تخرجت عملت في التخصص ذاته بمستشفى "ابو الريش" بالقاهرة، ففزعت من شيوع مرض روماتيزم القلب لدى الأطفال، فراحت تعطى كل طاقتها وجهدها على المستويين العلمي والإجتماعي لمواجهة هذا المرض .. فعلى المستوى العلمي اعدت الكثير من الأبحاث حول هذا الداء، وبها ارتقت في سلك التدريس لتصبح اول رئيسة لقسم الأطفال بطب القاهرة.

وعلى المستوى الإجتماعي انشأت عام 1957 جمعية اصدقاء الأطفال مرضى روماتزم القلب لمواجهة هذا المرض لدى الأطفال، ثم لدى الكبار، ومن خلال الجمعية انشأت مستشفى كبيراً بالهرم لا يزال يعمل بعد ان حققت انجازاً هائلاً في هذا المجال، حيث انخفضت نسبة الإصابة بمرض روماتزم القلب خلال عشر سنوات إلى 48% ثم انخفضت بعد عشر سنوات اخرى إلى 15% حتى وصلت إلى اقل من 2% .. ولا تزال الجمعية تحاصر هذا المرض حيث احتفل في العام الماضي بمرور 35 عاما على إنشائها.

وعندما اصبحت الإصابة بهذا المرض منخفضة جداً تحولت رعاية الدكتورة زهيرة للأطفال إلى مجال اوسع، حيث انشأت معهدا لصحة الطفل بحي الدقي بالقاهرة لرعاية الأطفال صحياً، وعلاجهم من مختلف الأمراض، كما لم تنس الأم اعتبارها وحدة الرعاية الأولى للطفل، كما تضمن المعهد دار للمسنين.

عمل البيت أولاً

• وسألتها ... ازاء كل هذه الأعمال الجليلة .. كيف توفقين تين العمل الإجتماعي العالم خارج المنـــزل، (فضلا عن جهدك في المستشفى الجامعي والتدريس بها، ورعاية مرضى العيادة الخارجية، الخ ..) .. وعملك الأساسي داخل البيت .. وهو رعايتك لأسرتك؟

- **بابتسامة حانية قالت:** انني دائماً اجعل عمل البيت اولاً قبل كل شيء، ثم يأتي بعد ذلك عملي الخاص والعام ... فالحمد لله فقد قمت بتربية اولادي على اكمل وجه .. وقد وفقني الله سبحانه وتعالى في زرع القيم الإسلامية في نفوسهم والتي كانت خير معين لهم في حياتهم العملية والعلمية والإجتماعية، وبجانب ذلك، ومع تنظيم الوقت، استطعت ان استمر في العمل العام،

وعملي الخاص في عيادتي الطبية .. ولكنني عندما شعرت بأنه من الصعب ان اسير في الإتجاهات الثلاثة .. آثرت ان اضحى بعملي الخاص واغلقت عيادتي الطبية منذ ثلاثين عاماً!

وللدكتورة زهيرة ثلاث بنات وولد وهم: د. منى الإستاذة بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ود. هدى الإستاذة بطب القاهرة، ود. عزة الإستاذة المساعد بطب بنها، ود. عمر الإستاذ المساعد بهندسة القاهرة.

• **بعد نصف قرن من النجاح في ميدان العمل الإجتماعي .. ما تصورك لأفضل عمل تستطيع ان تقوم به المرأة العربية لخدمة وطنها؟**

– **بدون تردد قالت:** تربية الأولاد .. فهم صناع المستقبل، وأمل الأمة في النهضة.. فلا شك ان رعاية الأبناء هي افضل ما يمكن ان تقوم به المرأة في كل عصر .. واقصد بالتربية هنا معناها الواسع .. وذلك من خلال غرس القيم النبيلة في نفوسهم صغاراً .. ونساعدهم على التفوق في التعليم، واحاطتهم بالرعاية النفسية والاجتماعية .. فهل هناك افضل من هذا العمل تقدمه المرأة لوطنها؟ انما تقدم له المواطن الصالح على احسن وجه.

– قلت لها .. وعلى الوجه الآخر .. ما السلبية التي يمكن ان تأخذيها على المرأة العربية المعاصرة؟

– **بادرتني قائلة:** الحرية الفوضوية .. فالإفراط في الحرية قد يأتي بنتائج عكسية على المرأة، بل قد يصيب الأسرة كلها .. ولكن هذا ليس خطأ المرأة، وانما خطأ المجتمع .. وتضيف "ام المصريين الأطباء" اننا ينبغي ان نعرف خصوصيتنا الذاتية التي تعبر عن تقاليدنا وتراثنا الثقافي، عندما نتعامل مع الفكر والمفاهيم التي تنقل الينا، فيجب ان نختار ما يتفق وتقاليدنا، لا ان نقلد الغرب في كل شئ بما يهدم هويتنا الثقافية وخصوصيتنا الحضارية.

نموذج الأسرة السعيدة

• **وما النصيحة التي تهدينها لكل امرأة اليوم؟**

– **بهدوء وصراحة قالت:** ان تتقي الله في اولادها .. وان تعرف تعاليم دينها حتى تستطيع ان ترعى بيتها على خير وجه .. ففي تعاليم الأسلام منظومة متكاملة لنموذج الأسرة السعيدة التي يعرف بها كل فرد ما له وما عليه، والتي يربطها المودة والرحمة .. فالبيت هو المملكة الأولى للمرأة

.. وهو المجال الحقيقي لرسالتها، وهذا لا يعني انها لا تعمل، وانما يعني ان يكون البيت مقدماً على كل شيء، فلا يمكن ان يوصف للمرأة اي عمل بأنه ناجح اذا كان على حساب عمل المنــزل، وبالأخص تربية الأبناء.

المرأة الخليجية

• **وماذا عن المرأة الخليجية؟**

– قالت دعني اتحدث عن الإمارات التي عشت فيها .. فالمرأة الإماراتية ذكية وواعية، ومحافظة على بيتها، وقادرة على استيعاب ادوات العصر .. ورغم ان نسبة كبيرة من سيدات الإمارات لم تنل حظها من التعليم، الا انها في الوقت نفسه تتمتع بسعة الأفق .. ولكن السلبية الرئيسية لديهن هي الإعتماد على الشغالات، وبخاصة من غير المسلمات في المنــزل.. فهذه السلبية تترك اثرها السيئ على جميع افراد الأسرة، فاذا كان ولا بد من الإعتماد على الشغالات الأسيويات .. فعلى الأقل ينبغي الا يعتمد عليهن في تربية الأبناء .. لأن ذلك سوف يخلق بلبلة لدى الطفل، ولا شك ان الأم –حتى لو كانت غير متعلمة– فسوف تلقنه الفضائل والقيم الإسلامية، وهو ما لا يحدث من جانب الأسيويات .. كما انصح الأم الخليجية بألا تدلل طفلها اكثر من اللازم حتى يشب قادرا على تحمل المسؤولية.

• **أشرفت على تأسيس كلية طب البنات في دبي .. فما الذي تتميز به هذه الكلية؟**

– قالت: أنها اول كلية للطب الإجتماعي في منطقة الخليج (بل في المنطقة العربية كلها!) .. حيث راعيت عند اعدادها ألا تقتصر مناهجها الدراسية على المواد الطبية فقط،، وانما ان تهتم بالبيئة والمجتمع، بحيث تدرس الطالبة بجانب علوم الطب، اخلاقيات المهنة، والأسلوب الأفضل للتعامل مع المرضى من خلال منظور طبي اجتماعي انساني .. وقد اخترنا لها منهجاً طبياً على مستوى عالمي بشهادة اساتذة الطب العالميين الذين زاروا الكلية، حيث تمت الإستعانة بخبراء عالميين في وضع هذه المناهج بما يخدم المجتمع، ويحقق ما يمكن أن نطلق عليه العلم النافع.

رسالة إلى الأطباء والطبيبات

الصيد: أوردت صحيفة "الوطن" بتاريخ 4 من يناير 1999م تحت عنوان

"د. زهيرة عابدين.. أم الأطباء ورائدة العمل الإسلامي والاجتماعي"

" د. زهيرة عابدين.. علامة بارزة في العمل الطبي والعمل التطوعي الخيري الإسلامي في مصر. وهي أول طبيبة مصرية يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بمصر، وحصلت على جائزتين دوليتين كبيرتين.. الأولى هي الدكتوراه الفخرية من جامعة أدنبرة عام 1980م، ثم جائزة إليزابيث لونتش من نادي النساء الدولي عام 1991م، ومنحتها جامعة القاهرة لقب أستاذ كرسي طب المجتمع.. وقد أسست كلية طب للبنات في دبي 1986م، وهي الكلية الأولى من نوعها في الوطن العربي، وحصلت على لقب الأم المثالية لمصر عام 1990م، وفي المقابلة طرح عليها هذه الأسئلة:

- **ما أهم الأمور التي تأثرت بها في مرحلة النشأة والطفولة ؟**

– منذ صغري وأنا متعلقة بالله من خلال حب فطري يربطني بالخالق سبحانه وتعالى.. وأذكر أنني كنت أواظب على أداء الصلوات وصلاة الفجر، وأنا في السادسة من عمري.

- **ما أهم عوامل تفوقك العلمي ؟**

– التدين وعدم الاختلاط دفعاني لحب العلم والتفوق فقد كنت في صباي وشبابي أقوم الليل وأتهجد وأحب قراءة الكتب الدينية و لم أقلد بعض فتيات جيلي اللواتي انسقن وراء الموضة والتبرج والاختلاط والذهاب إلى السينما.

- **لكن ماذا عن تجربتك الأولى في مجال العمل التطوعي الخيري ؟**

– كان ذلك حينما عينت مدرسة في مستشفى طب الأطفال الجامعي وهي مستشفى حكومي بدون أجر للفقراء.. وبدأت أخصص وقتا غير وقت عملي لرعاية أطفال روماتيزم القلب.. وأسسنا "جمعية أصدقاء مرضى القلب".

- **مدارس الطلائع الإسلامية ذات السمعة الطيبة.. تجربة تربوية وتعليمية ودعوية رائدة.. ما ظروف إنشائها؟ ولماذا فكرت في ذلك؟**

– شرح الله صدري لأن أدعو الناس للإسلام بطريقة عملية بعد أن لاحظت أن كثيرا من المسلمين حولي لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وفكرت أن أبدأ بالطفل واختاره من أسرة جيدة وأزوده بأكفأ المدرسات وأكفأ طرق التنشئة الإسلامية الصحيحة، وتعرضنا لصعوبات ورفضت الفكرة ولكن بالعزيمة والإصرار ومساعدة نخبة من الخبراء والتربويين وأهل الفضل تم إنشاء المدرسة.

• **كيف استطعت أن توفقي بين هذه المهام الصعبة وبين مهام الأسرة؟**

– وقت المسلم فيه بركة إذا تم توجيهه وجهة صحيحة لخدمة المجتمع المسلم.. وطاقة الإنسان في رأيي بلا حدود.. والعطاء الإسلامي في نظر يتعدى الكلمات والأقوال إلى الفعل والحركة الإيجابية." (انتهى)

ويأتي التعليق التالي على لسان حال كاتبه الأستاذ سليمان عبد الله العتيقي، وهو يعلق على ما أقتبسه ليتقدم برسالة إلى الأطباء والطبيبات في منطقة الخليج، من خلال قراءة تعكس رأيه الكريم أكثر مما تقدم لشخصية أوسيرة أم الأطباء... خاصة في مجال استنتاجاته الخاصة بصورة "المراة المسلمة" ...وفيما يحصرها فيه من حركة ضمن "أطر الدعوى الإسلامية"– والمعروف عن تلك الأطر ما هو معروف من حرج التعامل مع المرأة المسلمة أصلاً، كما ان طبيعة وشخصية وتدين د. زهيرة لم يكن ليسمح لها الإلتزام بما يحجبها عن منبع تقواها وهداها، ومحط رجاها وعطاها، بين ربها وامتها، دون وساطة وصى ولا سلطة وسيط، لا غرابة ان الدكتورة زهيرة رحمها الله لم يكن لها القبول المعهود في الدوائر الإسلامية/ السلفية او الحزبية ... إلا ما ندر، والله أعلم.

(المحرر)

التعليق ..

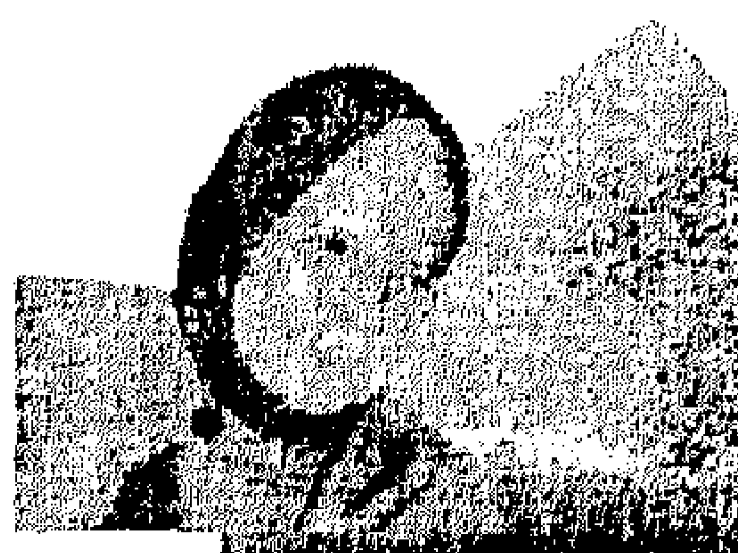
1- "هذه الطبيبة المسلمة أحسن مثال للأخت الداعية في مجال عملها الملتزمة بدينها الإسلامي دون أن تؤثر بها مبادئ الغرب أو الشرق، شقت طريقها بقوة وعزيمة، رائدها الجد والاجتهاد والإخلاص والاعتماد على الله تعالى، فقد استطاعت تأسيس المؤسسات المذكورة بهمتها العالية في الدعوة إلى الله جل وعلا.

2- لم ينتشر أي مبدأ إلا وكان وراءه رجال ونساء يؤمنون به ويضحون من أجله بالمال والنفس والوقت والجهد، وقد أمرنا الله تعالى بالجهد للدعوة إليه مقابل جنة عرضها السماوات والأرض. وليس هناك أحسن دينا ومبدأ من ألإسلام ولا أقرب مهنة للدعوة الإسلامية من الطب، فهلا رفع أطباؤنا المسلمون راية الدعوة ونشر الإسلام في أوساط مرضاهم.

3- إن مئات المسلمين يتعرضون لخطر الخروج عن الإسلام لمرضهم وفقرهم وتشكيك الأطباء غير المسلمين لهم، وعلاج مشكلاتهم وإيجاد أعمال لهم وإنقاذهم من الفاقة ومساعدتهم أثناء الكوارث، ونحن هنا نادي أطبائنا أن هلموا إلى إنشاء المنظمات الطبية الخيرية التطوعية ـــ وليلتحق بها أطباؤنا من الدعاة ممن يستطيع ذلك، على أن تدار بشكل حضاري ومتطور، وستجدون إن شاء الله من يدعمها حتى تقوم على ساقيها وتينع ثمارها.

التزام المرأة المسلمة بواجباتها الإسلامية لا يعطلها عن التفوق والدعوة، فهذه زهيرة عابدين قد تجنبت الاختلاط ... وتخرجت في أحسن الجامعات ونالت أحسن الشهادات وبذلت وقتها داعية ومؤسسة وعاملة ضمن مؤسسات دعوية إسلامية، فحظيت بعلمها وتواضعها باحترام الناس، فكانت حقا أما مثالية وأما للأطباء."

رابعــــاً



محطات في مسيرة أم الأطباء عبر السنوات

بـــاقـــة من المقـــالات

أولاً: من ملف الثمانينات والتسعينات

رائدة الطب الاجتماعي في مصر

د. زهيرة عابدين: العمل الاجتماعي واجب المرأة المسلمة

مجلة "كل الناس" ... (نهاية الثمانينات؟)

البعض من الناس عندهم فكرة خاطئة عن السيدة المسلمة المتدينة المتمسكة بتعاليم ربها، يرون مهمتها داخل المنزل فقط، تخدم رجلها وأولادها وتطبخ وتكنس!! وهذه الفكرة التي سادت لفترة طويلة للأسف، بعيدة جدا عن تعاليم الدين. فالمرأة كائن إنساني متكامل، مهمتها الأولى فعلا بيتها، ولكنها ليست خادمة أبدا لرجلها، بل شريكة حياة لزوجها.

محمد عبد القدوس

المرأة المسلمة المتدينة إذن ليست "سجينة" في البيت لا تخرج منه بل إن المجتمع في أشد الاحتياج إليها، إلى نشاطها الذي يتفق مع طبيعتها، مساهمة المرأة في الأنشطة المختلفة أمر مطلوب، بشرط ألا "تسترجل" أو تتخذ من عملها وسيلة لمحاربة زوجها!! أو الاستقلال عنه. فتصبح في بيتها وكأنها ضيفة تعيش في فندق "تستريح فيه فقط".

إن منــزلها هو مملكتها. ولا مانع من أن يكون لها ممالك أخرى. وتكون "إمبراطورة" في النهاية بشرط ألا تطيح بيدها بمملكتها الأصلية.

وبعيدا عن الكلام النظري. تعالوا أقدم إليكم نموذجا للمرأة المسلمة الصحيحة الفهم لتعاليم دينها إمبراطورة نجحت في تدعيم عرشها في مملكتها المنــزلية أولا. وانطلقت لبناء ممالك أخرى في المجتمع.

الدكتورة زهيرة عابدين. مثال يحتذى للسيدة المسلمة المتدينة. لها نشاط اجتماعي بارز خاصة في المجالات التربوية المختلفة. التي تتعلق بالأطفال والنشء. فهي في الأصل طبيبة أطفال ورغم عملها الدءوب ونشاطها الواسع فهي لم تنس أنها قبل كل شيء زوجة وأم. وتقول دائما بيتي

أولا. وقد نجحت بفضل الله في تكوين أسرة كل أفرادها من البارزين في مجال عملهم. تفوقت في منـــزلها كما تفوقت خارجه.

لؤلؤة دبي

والدكتورة زهيرة عابدين. هي أول من أنشأت المدارس الإسلامية في مصر ولعبت الدور الرئيسي لتأسيسها والإشراف عليها وتسمى مدارس الطلائع وعليها إقبال هائل من الناس وهي من أنجح المدارس ذات الطابع الإسلامي في أرض الكنانة.

ورغم أن هذه السيدة الفاضلة تجاوزت الستين من عمرها واقتربت من السبعين إلا أنها لم تتوقف لحظة عن مشروعاتها التي تجاوزت حدود مصر وكانت آخر ما أقامته كلية طب للبنات في دبي بدولة الإمارات العربية ومناهج الكلية تضارع أحدث مناهج كليات الطب في العالم وقد ساهمت الدكتورة زهيرة في إقامة هذا الصرح الشامخ طوبة طوبة يعني منذ

البداية حتى صارت إحدى مفاخر الخليج كله فحاجة المجتمع الإسلامي إلى الطبيبات المسلمات أمر مؤكد ووجودهن ضرورة مطلوبة جدا ولكن من هي هذه السيدة التي ترى آثار بصماتها ممثلة في مدارس وكليات ومشروعات تربوية مختلفة. تعالوا نقترب منها.

الأولى دائما

وأول ما نلحظه في شخصيتها أنها تنتمي إلى عائلة شديدة التمسك بتعاليم الدين وفي نفس الوقت شغوفة بالعلم متفوقة فيه متفتحة على العالم وكل هذه الطبائع التي تمثل الشخصية الإسلامية الصحيحة فوالدها حافظ حسين عابدين درس الحقوق في فرنسا وكان عضوا بمجلس الشيوخ وحقق نجاحا كبيرا في المحاماة.

والدكتورة زهيرة عابدين هي الأولى دائما رغم أنها نشأت يتيمة الأم من سن الثالثة من عمرها ومع ذلك كانت الأولى على القطر المصري كله في البكالوريا عام 1936م وكانت تمنح عند انتهاء الدراسة الثانوية وكان تفوقها بهذه الطريقة المذهلة حدثا كبيرا في هذا الوقت البعيد منذ أكثر من خمسين سنة.

والدكتورة الفاضلة هي أول طبيبة مصرية تعين في هيئة التدريس بجامعة القاهرة بعد أن كان الباب مغلقا تماما في وجه الطبيبات وبسرعة تدرجت في عملها حتى كانت أول من تولى رئاسة

قسم الأطفال من النساء وقد استمرت في رئاسة القسم سنوات طويلة جابت خلالها العالم شرقا وغربا لحضور المؤتمرات واجتماعات عالمية وكأستاذ زائر ولها أكثر من مائة وخمسين بحثا علميا.

والدكتورة زهيرة عابدين هي العربية الوحيدة التي اجتازت امتحان درجة العضوية الملكية بلندن ثم نالت الزمالة الفخرية من نفس الجامعة وحصلت عام 1980 على الدرجة العالمية الفخرية دكتوراه من جامعة أدنبرة بانجلترا رشح لها أطباء عالميون من شتى أقطار العالم كله فنالتها وهي طبي أمريكي في جراحة الأعصاب الانتخابات الحرة.

الطب الاجتماعي

وسيدتنا النشيطة أول من فتحت الباب لفرع جديد في العلوم الطبية وهو الطب الاجتماعي وله مكانته الخاصة في الطب الحديث وفكرته تقوم على أن يترك الدكتور صومعته وينـــزل إلى المجتمع ليتعرف على مشاكله الصحية على الطبيعة. ويخطط ل لقضاء عليها بطريقة عملية وواقعية بديلا عن التخطيط النظري وكانت صاحبتنا رائدة في هذا المجال فأنشأت جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب، وقامت بنشاط جبار في مقاومة هذا المرض ونتيجة للجهود المكثفة انخفضت نسبة الإصابات حتى وصلت إلى 2% فقط.

ومن جهودها البارزة في هذا المجال إنشاء معهد صحة الطفل وهو صرح من عشرة طوابق لشتى الخدمات الطبية والاجتماعية ويشتمل على عيادات تخصصية بأسعار رمزية، كما يضم هذا المعهد مستشفى داخليا وقسما لمعالجة سوء التغذية ودار للمسنات دور حضانة.

الطلائع نقطة تحول

ومن أبرز جهود الدكتورة زهيرة عابدين إنشاء مدارس إسلامية للغات في مصر قامت حتى الآن بتأسيس ثلاث مدارس كانت بحق نقطة تحول جديدة للتعليم في مصر، فمثل هذا النوع من المدارس لم يكن موجودا من قبل.

وهذه المدارس تتبع في مقرراتها التعليم المدني وليس الأزهري مع تركيز الاهتمام على اللغات الأجنبية وكذلك على إعطاء تعاليم الدين اهتماما خاصا بطريقة عملية أكثر منها نظرية، فالمدرسات كلهن ملتزمات بالزي الإسلامي ويراعى دقة اختيارهن والطلبة يصلون الظهر جماعة

دائما، والمدرسة تراعي وتتابع أخلاقهم الشخصية ومن الصعب جدا أن تجد طالبا بالمدرسة يتلفظ بألفاظ نابية فغرس الدين في النفوس يتشربه الطالب يوميا، وليس بمجرد حفظ النصوص فقط .

والدكتورة زهيرة عابدين تؤمن بأن القدوة والمثل الأعلى للطالب من المشرفين على المدرسة هو أساس النجاح والغرض في النهاية تخريج جيل مسلم صحيح الإسلام ملتزم به ويعيش عصره.

البيت أولاً

وترجع السيدة الفاضلة نجاحها الكبير في عملها وفي مجال الخدمة الاجتماعية إلى توفيق الله سبحانه وتعالى أولا وحبها للأطفال وخدمة الناس وحسن التخطيط والحزم في الإدارة، ولكنها تؤكد أن بيتها هو محل اهتمامها الأول، رعايتها لزوجها، وتربيتها الأبناء مسئوليتها الأساسية، رغم أعبائها ومشاغلها التي تنوء بها أكتاف الرجال أنفسهم.

وهل ترى أن العمل الاجتماعي هو واجب على المرأة المسلمة.

وزوجها هو الدكتور محمد عبد المنعم أبو الفضل، كان أستاذا للتحاليل الطبية في طب القاهرة لسنوات طويلة وهو في نظرها زوج وأب مثالي، لولاه لما استطاعت أن تحقق هذا النجاح الكبير.

أبناؤها هم الدليل الأكيد على تفوقها في منـــزلها قبل نشاطها خارجه.. الدكتورة منى الابنة الكبرى أستاذة للعلوم السياسية ومتزوجة من الدكتور طه مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والثانية الدكتورة هدى أستاذ مساعد بطب القاهرة، أما الثالث فهو الدكتور عمر حاصل على الدكتوراه من جامعة ليدز بانجلترا في هندسة الكومبيوتر أما آخر العنقود فهي عزة أستاذ مساعد لطب الأطفال.

والدكتورة زهيرة لم تكن في يوما ما ديكتاتورة على أبنائها تفرض عليهم الأوامر وتوجههم بالشخط أو إلقاء الرعب في نفوسهم بل كانت دائما صديقة لهم.

وقد حصلت سيدتنا الفاضلة على أوسمة عديدة. ولكن وسام أبنائها وهم يقولون لها شكرا يا أمنا أغلى وسام عندها، الحمد لله لقد أرضت في مشوار حياتها ربها وضميرها وخدمت كل الناس.

اكتملت العبقرية.. عندما اجتمع الإيمان والعلم في شخصية.. أم الطب المصري

كريمان حمزة – مجلة "الحرفيون" تحت باب "رسالة المرأة"

(في نهاية السبعينات/ مطلع الثمانينات)

إن مهمة الصحفي عندما يعد تحقيقا صحفيا يلزمه طرف آخر هو من يكتب عنهم.. وهناك نوع من البشر يرفضون الحديث عن أنفسهم إنكارا للذات وإيمانا منهم بأن الكمال والفضل لله وحده.. وأن الجزاء منه سبحانه وتعالى أفضل من كل جزاء.. وإذا كان الصحفي يعاني هذا الأمر فإنه يكون في قرارة نفسه سعيدا بهذه النماذج التي تريد بعملها وجه الله وخدمة الإنسانية بغير دعاية ولا ضجة.. ولكن متى كان صمت اللسان عقبة أمام صوت العمل فأعمال هؤلاء أكبر من كل حديث عن النفس من هذه الشخصيات سيدة من أهل الإيمان ومن أهل العلم الحبيبة من مصر.. صورة مشرقة ومشرفة يعرفها العالم كله فقد منحتها جامعة أدنبرة ومنحت مصر معها لذلك.. درجة الدكتوراه الفخرية في الطب عام 1980 وهي بذلك إحدى اثنتين حصلت على هذه الدرجة في العالم كله.

وهي شهادة تحتاج منحها إلى إجراءات كثيرة ويتم الاختيار ــ بعد مشاورات علمية مستفيضة تقوم بها أرقى الجهات العلمية.

وقبل أن نمضي في رحلتنا مع إنجازات الدكتورة زهيرة حافظ عابدين.. يجدر بنا أن نقف عند السر وراء هذا التفوق الكبير الذي شهد به العالم في بلد من أكثر بلاد العالم حفاظا على تقاليد العلم في غير مجاملة بل وفي موضوعية كاملة.. إن السر وراء هذا التفوق هو تلك الروح العظيمة التي تمنح الإنسانة قدرة فائقة على الفهم والعمل والإصرار.. إنها روح الإيمان التي صنعت عبقرية بل عبقريات الإسلام وقصة الدكتورة زهيرة مع الإيمان قصة أصيلة.. لأنها رحلة بدأت معها منذ طفولتها الباكرة.. وبدأت بظروف لا ينجح في تخطيها إلا قليل من الناس ففي سن الثالثة فقدت والدتها. وفقدت بفقدها السكينة والطمأنينة.. ولجأت بفطرتها السليمة إلى السماء تطيل إليها النظر.. ويقشعر بدن الطفلة حنينا إلى عالم السمو الذي انتقلت إليه الأم جوار ربها.. ويغلبها بكاء يطهر النفس.. بمعنى أصح يحافظ على طهارة نفس طفلتنا الصغيرة اليتيمة.. وقد أتاح الله لها

والدها.. تقيا ورعا رقيق القلب.. لقد كان والدها المحامي وعضو مجلس الشيوخ حريصا على دعوة الفقهاء وقراء القرآن إلى بيته وكان شهر رمضان يحول البيت إلى ساحة من ساحات التقوى، وكانت تعتبر الصلاة أمرا قرره الله لصالح الإنسان ولا تسامح في تركها ولو لمرة واحدة.. وقد منح الله الطفلة قوة فاقت قوة إخوتها فكانت تقف معهم لصلاة التراويح خلف والدها ويتعبون ويتصرفون واحدا تلو الآخر بعد أن يؤدوا ما يتيسر لهم وتظل هي تصلي حتى يختم الوالد صلاة التراويح..

وحين يحل الإيمان ببيت تحل معه قيم البطولة والتضحية.

ألقت كلمة وهي طفلة.. في دار سعد زغلول.. فأبكت جموع الحاضرين

وقد كان والدها صديقا للزعيم المصري سعد زغلول وكان جارا له في السكنى.. وكان حريصا على أن يحدث ابنته عن جهاد الزعيم ووطنيته.. وحين أطلق الرصاص على سعد زغلول بكت بكاء مرا وراحت تدعو الله له.. واصطحبها والدها إلى منـــزل الزعيم حيث ألقت كلمة أبكت جميع الحاضرين.. ففرح بها الأب واستبشر خيرا ورأى في صدق نبراتها مؤشرا إلى مستقبل جهادها فازداد تعلقه بها ورعايته وتثقيفه لها ثقافة دين وعلم ووطنية.

وفي هذا الحوار الروحي الوطني تشكلت شخصية قوية أخذت تنمو عبر مراحل الحياة المختلفة.. فقد عبر بها عقلها المتفتح فترة المراهقة.. فترة تقلب القيم واضطراب الفكر.. وكان القرآن ملاذها فأخذ بيدها إلى يقين راسخ ازداد قوة وزادها في نفس الوقت شجاعة.. شجاعة تجلت عندما كانت طالبة في المدرسة الابتدائية وكانت ناظرتها إنصاف سري حرم منصور باشا فهمي وكانت قوية الشخصية شديدة البأس لا تجرؤ تلميذة على مواجهتها.. ووقفت الدكتورة زهيرة (تلميذة الابتدائي في ذلك الوقت) تطلب منها أن تخصص لهذه مكانا للصلاة.. وابتهجت الناظرة وطلبت منها أن تختار هي المكان المناسب وعثرت على حجرة مهجورة في فناء المدرسة.. وعندما حضر العمال لتنظيفها كانت المفاجأة فقد وجدوا في الحجرة بقايا مسجد مهجور.. أعمدة وقبلة.. الخ. وأصبح للمدرسة مسجد.. وصلاة تقام.. وشيخ يصلي بالتلميذات اللاتي أقبلن على الصلاة بصدر منشرح..

وواصلت رحلتها مع التفوق الذي يقف وراء الإيمان والتقوى.. فكانت الأولى على مصر في البكالوريا وكانت الأولى على دفعتها في كلية الطب.. ومع التخرج كانت زيارة الأراضي المقدسة

وأداء فريضة الحج.. ثم جاء الزواج والسفر إلى لندن للحصول على الدكتوراه في الطب.. إنها الغربة واختلاف البيئة.. وكان الإيمان بالله والتمسك بالدين ملاذا جديدا وكان التفرغ للعلم والعبادة.. وعلى حد قولها فإن " للعبادة في الغربة لذة أخرى تفوق كل لذة " فكانت حريصة على أداء الجمعة والتراويح مع زوجها في المسجد.. وكان التهجد ليلا قاعدة لا تنكسر حتى بعد إنجاب أربعة من الأطفال.. وعلمتها دراسة الطب الفرق بين علمها وعلم خالق العلماء وهكذا تقول أساتذة الطب المؤمنة..

أول عربية تحصل على الزمالة الفخرية من جامعة لندن وثانية اثنين في العالم يحصلان على الدكتوراه الفخرية في الطب

وكما أن مسيرة الإيمان ماضية في طريقها فإن مسيرة التفوق لم تتوقف فقد حصلت على درجة العضوية من الجمعية الطبية الملكية بإنجلترا عام 1948 وهي أول مصرية تحصل على هذه الدرجة، كما أنها المصرية والعربية الوحيدة الحاصلة على درجة الزمالة الفخرية من جامعة لندن (عام 1978).

والمكانة العلمية التي احتلتها الدكتورة زهيرة عابدين والجهود العلمية التي قامت بها .. كثيرة كان آخرها الوصول لرئيس قسم الأطفال بطب القاهرة ولا شك أن وراء ذلك جهود مضنية من العلم والعمل والسفر في مهمات علمية وتدريبية إلى مختلف دول العالم وبعضها على نفقتها الخاصة.. وقد دعتها الولايات المتحدة الأمريكية لزيارة معظم مستشفياتها.

تقديرا لمكانتها وجهودها الطبية كما حضرت العديد من المؤتمرات العلمية بحيث لا يمر عام دون أن تشارك في مؤتمر علمي أو أكثر وتسهم بعلمها في خدمة البشرية وفي تطوير طب الأطفال فضلا عن العديد من مقالاتها العلمية في المجلات الطبية المحلية والدولية المتخصصة. والتي بلغت أكثر من مائة بحث علمي..

كل هذا النشاط العلمي البارز كان كافيا لكي تحصل الدكتورة زهيرة عابدين على أوسمة رسمية بعد وسام راحة الضمير والرضا النفسي، فقد حصلت على وسام كلية الطب بمناسبة مرور مائة وخمسون عام على إنشاء الكلية وعلى وسام الجمهورية في العلوم والفنون في أول تكريم للطبيب المصري عام 1970.

ولكن العالم المؤمن المتوجه إلى الله بعقله وفكره وطاقاته لا يقنع بهذا.. فكان للأستاذة الدكتورة إنجازاتها الرائدة في مجال العمل الاجتماعي والإنساني. فهي مؤسسة جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال وأمينتها العامة (عام 1957/56) وهي كذلك رئيسة جمعية الشابات المسلمات بالقاهرة منذ عام 1970 وهي تشغل أمانة أو رياسة أو عضوية العديد من الجمعيات منها جمعية طب المناطق الحارة، جمعية أمراض القلب، الجمعية الطبية النسائية، جمعية الهلال الأحمر وغيرها كثير.. وهذه الجمعيات لا تقتصر على النشاط العلمي فهي تولي اهتماما خاصا بالجوانب الإنسانية والاجتماعية، فترعى المريض الفقير وتقدم التبرعات العينية والمالية وعلى سبيل المثال فإن اللجنة الاجتماعية بمستشفى الأطفال تتعهد الأنشطة الترفيهية والتثقيفية للأطفال المرضى وتقدم لهم المعونة..

أقامت أكبر معهد لروماتيزم القلب في الشرق الأوسط

وقد لعبت الأستاذة الدكتورة دورا كبيرا في إنشاء مستشفى روماتيزم القلب قريبا من أهرام الجيزة دليلا على تواصل الحضارة المصرية وشموخ الإنسان المصري صانع الحضارة.. وبفضل هذه الجهود التي تمتد من الإسكندرية حتى أقصى صعيد مصر ونتيجة للخدمات العلاجية والوقائية واسعة الانتشار انخفضت نسبة حالات مرضى روماتيزم القلب إلى 6% بعد أن كانت 47% كما كان لها دورها البارز في إنشاء دار الطلبة الجامعيين بالعجوزة والذي كان يعمل منذ اثنا عشر عاما ويرعى أكثر من مائة طالب جامعي من أبناء العائلات محدودة الدخل من خارج القاهرة وحيث توفر لهم دار الإقامة الطبية والغذاء والثقافة الدينية وفرصة للتحصيل العلمي..

أما معهد صحة الأطفال الذي يقع على مساحة ألف متر مربع فيتكون من عشرة طوابق ويتضمن عيادات خارجية متنوعة تؤدي خدمات طبية واجتماعية وثقافية للأطفال وكذلك للفتيات العاملات في الحقل الصحي والاجتماعي عموما..

كما يضم كذلك دارا نموذجية للأطفال الصغار قبل السن المدرسي تقدم رعاية متميزة وتحرص على النواحي التربوية السلمية وتلقين العادات الطيبة ويقدم مبادئ التعليم التي تهيئ الطفل للتحصيل الدراسي بعد ذلك ويقوم بالخدمة والأنشطة تربويون متخصصون على مستوى عال من الثقافة والتدريب.

وبالمعهد أيضا عيادة ووحدة للتروية لإنقاذ حالات الجفاف الشديد المتسبب عادة من حالات النــزلات المعوية الحادة الكثيرة الحدوث في الأطفال الرضع في الطبقة الفقيرة والذي هو السبب الأول في وفيات الأطفال الرضع ويتسبب في رفع نسبة الوفيات فيهم إلى مستوى لا يليق بكرامة بلادنا وفيه من المثقفين من القيادات الواعية.

هذا إلى جانب حوالي مائتي سرير لأطفال الطبقة الفقيرة. وهناك أيضا دور الحضانة والمدارس الإسلامية.. وهو نشاط حديث لجمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب يؤدي على مستوى عال وللطبقة المقتدرة من البيوتات المتدينة المثقفة بغرض إعداد جيل قيادي يعيد أمجاد أمتنا.

أما جمعية الشابات المسلمات بالقاهرة والتي تولت الأستاذة الدكتورة تأسيسها منذ عشر سنوات كانت وقتها مدينة بعدة مئات من الجنيهات ثم اتسع نشاطها وتمت بناء دارها الجديدة بحي الحسين المكون من أربعة طوابق والذي يؤدي خدمات متنوعة منها دار حضانة بدأت بخمسين طفل بأجر رمزي شهريا ويقوم بالنشاط التربوي والثقافي فيها متخصصات جامعيات طبقة أبناء العاملات من أهل الحي وسوف تضاف تجهيزات لتسع الحضانة مائة طفل قريبا وكذلك مشغل لفتيات الحي.. باشتراك رمزي 60 قرشا شهريا. وعيادة طبية لأهل الحي بأجور رمزية ودار الطالبات الجامعيات من خارج القاهرة وكلهن من طالبات جامعة الأزهر حيث توفر إقامة طيبة وخدمة وغذاء ورعاية وتدفع الطالبة أجرا شهريا (خمسة جنيهات) وتخدم الدار من 75/50 طالبة فضلا عن دروس دينية وتقوية لأبناء الحي.. وندوات دينية وتثقيفية للأعضاء ولسيدات وأبناء الحي.

وأصبح رصيد الجمعية المالي يقدر بأكثر من 70 ألف جنيه.

إنها لمجرد إشارات سريعة لجهود وإنجازات سيدة مصرية فاضلة وواحدة من أكبر عالماتنا وكان طبيعيا أن تحتل الدكتورة لجمعية القلب والروماتيزم على درع العمل الاجتماعي.

في حفل تكريم عالمي رفضت تناول الطعام
..... تمسكت وهي على سفر بصيام رمضان

وأمام امتناعها عن الحديث عن نفسها كان لابد أن نسأل المحيطين بها.. وقد روى لنا بعضهم واقعة تذكر مدى إيمانها ويقينها فقد أُعِدَّ لها حفل عشاء وفق لتأكيد منح الدكتوراه الفخرية وحضرته وسائل الإعلام العالمية وتصادف أن مَوعد هذا الحفل كان الساعة السابعة مساء أحد أيام

شهر رمضان.. وعلى الرغم من أنها على سفر يبيح لها الإفطار شرعا.. إلا أنها ظلت صائمة ولما كان موعد الإفطار الساعة التاسعة أي بعد موعد الحفل بساعتين فقد أعلنت للحاضرين اعتذارها عن تناول الطعام حيث أنها صائمة طبقا للشريعة الإسلامية وقد أثار هذا الموقف إعجاب الأوروبيين وازدادا احترامهم لها. وأرسلوا لها طعام العشاء (الإفطار) في الفندق الذي تقيم فيه.

ولم يكن للأستاذة الدكتوراه الفخرية من تعليق على هذه الإنجازات سوى عبارة واحدة " إنه فضل من الله.. ندعوه أن يتمه علينا وعلى بلدنا"

الحائزة على جائزة "نورجال" رائدة متواضعة
أول فتاة دخلت هيئة التدريس بكلية الطب
و" أم الأطباء"

دبي – الحياة:1991

حين تلقت الدكتورة زهيرة عابدين جائزة " إليزابيث نورجال " الدولية التي يمنحها " نادي النساء الدولي " في فرانكفورت سنويا منذ تأسيسه منذ خمسة عشر عاما تقديرا لجهود سيدة معينة في حقل ما، قالت "أخيرا تذكر النادي المرأة العربية التي عرف تاريخها رائدات في مختلف الميادين".

والدكتورة عابدين البالغة من العمر اليوم 74 عاما سيدة مصرية متواضعة تعيش في دولة الإمارات العربية المتحدة وتحديدا في إمارة دبي منذ أربعة أعوام، أي منذ الاستعانة بها لتأسيس كلية دبي الطبية للبنات، وشغلت طوال الأعوام المنصرمة دور عميدة الكلية التي تحتفل هذه السنة بتخريج الدفعة الأولى من الطالبات.

تعتزم العودة إلى بلادها حيث بنت تاريخا من العمل الدءوب: "سأذهب لأراقب عن كثب ما أسسته من جمعيات استمرت صلتي بها وإشرافي عليها طوال إقامتي في دبي، كما سأتابع من مصر أحوال الكلية هنا، فهي بمثابة ابنة رابعة لي كرست لها سنينا من حياتي واستطعنا جميعا أن نفعل شيئا ما في خدمة المجتمع والمرأة والعلم.

والدكتورة زهيرة عابدين لقبت "أم الأطباء" خلال حفل أقيم العام المنصرم في القاهرة ترأسته عقيلة المصري الرئيس المصري سوزان مبارك ونظمته نقابة الأطباء ووزارة الشئون الاجتماعية، وكانت عقيلة الرئيس السابق جيهان السادات قلدتها درع الجمهورية تكريما لجهودها، وفي العام 1980 رشحت مع طبيب أمريكي آخر مختص في جراحة الأعصاب لنيل درجة الدكتوراه الفخرية لجامعة إدنبرة، ولها أكثر من مائة وخمسين بحثا خاصا ,مشتركا مع أطباء عالميين عن روماتيزم قلب الأطفال.

تخرجت من كلية الطب في القاهرة العام 1944 وكانت من بين حفنة قليلة من الطالبات ممن التحقن بهذه الكلية في حينها، ثم أصبحت أول أستاذة أكاديمية يتم تعيينها لتعليم طب الأطفال في جامعة القاهرة وذلك في العام 1948، بعد أن أثبتت جدارة في الحقل العيادي وتابعت دراساتها العليا في مضمار مرض روماتيزم قلب الأطفال، الذي لم يكن معروفا وكان يصاب به عدد كبير من الأطفال يموت بعضهم من دون معرفة الأسباب.

ركزت اهتمامها على هذا الشأن، فانخفضت نسبة الحالات الشديدة خلال عشر سنوات إلى 48 في المئة وبعد عشر سنوات أخرى إلى 15 في المئة فإلى 5 في المئة في الفترة الزمنية نفسها.

تقول " حاربت بكل قوتي هذا المرض الذي كان يفتك بمئات الأطفال وكونت (جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب عند الأطفال) العام 1957 وأصبحت الجمعية اليوم مستشفى بأربعمائة سرير في منطقة الهرم ويتلقي المريض العلاج ويجد كل وسائل النقاهة والتسلية إلى جانب مدرسة للأطفال.

وأنشأت الجمعية "معهد صحة الطفل" في منطقة الدقي قرب جامعة القاهرة وهو يقدم خدمات متنوعة للطفل وللمرأة المسنة المحتاجة، ورئست الجمعية في الماضي، وأتابع نشاطها دوما، كما رئست "جمعية الشابات المسلمات" و "الجمعية الطبية النسائية" التي أنشأتها أيضا.

وعابدين رائدة أيضا في ما يسمى "طب المجتمع" إذ درست الحالات المصرية منذ العام 1956 انطلاقا من الواقع الاجتماعي.

تكريم جليل لطبيبة مصر الأولى

مقالة مترجمة عن الألمانية – بجريدة فرانكفورتر ألجيماين تسايتونج (سبتمبر 1991)

منح نادي النساء الدولي في فرانكفورت العالمة المصرية البروفيسورة الدكتورة زهيرة عابدين "جائزة إليزابيث نورجال" التقليدية لعام 1991 تكريما لامرأة ما تستطيع امرأة أخرى محاكاتها في مسيرة حياتها الحافلة بالأعمال الخيرة، فعندما تحصل امرأة في مجتمع شرقي يتميز بسيطرة الرجال على لقب " الأم المثلى لكافة الأطباء المصريين " يقترب هذا من مرتبة الأسطورة، ويعبر عن تقدير عظيم ليس من قبل زملائها جميعهم وحسب، بل ومن بقية المواطنين، إذ أن احترام زهيرة عابدين في بلدها يصل إلى حد التقديس.

وتعتبر طبيبة الأطفال واختصاصية أمراض القلب البالغة من العمر 75 عاما رائدة الطب الاجتماعي ي المنطقة العربية بأسرها، وهكذا قام نادي النساء الدولي في فرانكفورت بمنحها جائزة نورجال –المسماة باسم المؤسسة– اعترافا بخدماتها الجليلة في الدفاع عن حقوق المرأة ومساواتها في كافة أرجاء العالم.

إن الأعضاء الأربعمائة من خمسين بلدا ما كانوا ليتمكنوا من اختيار مرشحة أكثر استحقاقا من هذه الطبيبة المصرية التي تحظى سيرة حياتها بإعجاب كبير في ألمانيا بشكل خاص، والتي تشبه حقا رواية مثيرة.

لقد اختارت زهيرة عابدين طريقها بنفسها وحددته مسبقا بقرار مستقل فعندما سجلت نفسها آنئذ في جامعة القاهرة المرموقة كأول طالبة طب، نظر الناس إلى هذا القرار "كفكرة عنيدة" لامرأة متحررة خارجة عن العرف ولاحقها الكثيرون بالسخرية، ولكن بالإعجاب أيضا في سرهم، وخلال دراستها كانت قد اتخذت قرارا ثابتا: لقد أرادت كطبيبة أطفال مكافحة الشقاء المنتشر في الأحياء الفقيرة في مدينة القاهرة المكتظة بالملايين.

وكطبيبة مساعدة في مستشفى أبو الريش صدمها العدد الغفير من المرضى الصغار المصابين بمرض رثية القلب (روماتيزم القلب) الذين ليس لديهم سوى فرصة ضئيلة للبقاء على قيد الحياة نتيجة الظروف البيتية الرديئة وجهل الأمهات، وكانت هذه العلة –التي قضي عليها في ألمانيا قضاء

مبرما تقريبا- لا تزال وقتئذ تعتبر وباء شعبيا في مصر، كانت فئات عريضة من السكان، وخاصة في الأرياف تنظر إليه كمصير محتوم.

إلا أن الطبيبة الشابة الدكتورة زهيرة عابدين واجهت التحدي وأقامت في أبو الريش وبقليل من الوسائل مشفى خاصا للأطفال المصابين بمرض رثية القلب.

وبما أنها كانت تعرف الأسباب الحقيقة الاجتماعية للمرض، أقدمت في أول الأمر على إجراء فحوصات دورية في صفوف المدارس لكشفه في وقت مبكر إذ أن الرثية لها أسباب وأنواع كثيرة وأخطر هذه الأنواع هو الرثية المفصلية الحادة، التي تصيب الأطفال والأحداث بصورة خاصة، أما مراحلها المبكرة فتبدو بسيطة لا خطر فيها ولا تدل عليها بأي حال: فهي تبدأ مثلا بالتهاب اللوزتين أو بانتفاخ الغدد الليمفاوية في الرقبة.

إلا أن الناس في ضواحي القاهرة وفي القرى المنتشرة على طول وادي النيل كانوا لا يبالون بهذه الأعراض الخفية عند بدئها، وكانوا لا يحضرون أطفالهم إلى الطبيب إلا بعد ظهور التورم المؤلم المتزامن بحمى شديدة على مفاصل الصغار الغضة، وبعد قطع طريق وعرة وطويلة على الأغلب، إلا أن الخطر الكبير لا يكمن في التهاب المفاصل بقدر ما يكمن في الالتهاب الذي يصيب في الوقت نفسه الأعضاء الداخلية وخاصة القلب.

لهذا انصب اهتمام الطبيبة الشابة التلقائية في العمل إلى جانب العلاج المبكر على العناية اللاحقة لزيارة المرضى في بيوتهم، وعلى توعية الأهل وتنويرهم، ونظرا لآلامهم وعدم قدرتهم على الحركة، كان أكثر الأطفال الذين يدخلون المشفى للعلاج أميين لم يدخلوا مدرسة في حياتهم، وهكذا كانت تعطى لهم الدروس في المشفى، وكان الأكبر سنا بينهم يتلقون تدريبا مجانيا لتعلم حرفة مناسبة.

وبعد إقامة دراسية في انجلترا، قامت يملأها الحماس بوضع معارفها العلمية في عام 1957 موضع التنفيذ، وأسست في القاهرة " رابطة أصدقاء الأطفال المصابين بمرض رثية القلب " وما إن تجمع لديها من التبرعات مبلغ زهيد لم يتجاوز 700 جنيه مصري، حتى اتخذت قرارا سريعا وشجاعا بفتح مشفى متواضع خاص بها في بناية صغيرة تقع على طرف الجيزة غير بعيد عن الأهرام.

ولا يزال المشفى الأصلي موجود حتى اليوم، تنتصب أمامه الأهرامات الجبارة شاهقة في السماء الزرقاء، وفي منطقة مجاورة يقع فندق " مينا هاوس " المشهور حيث يرتاح السياح الأغنياء من مشقة التجوال والمشاهدة، أما ضاحية الجيزة القديمة فقد تطورت باضطراد لتصبح حيا من أحياء المدينة مكتظا بالسكان ويفضي بالحركة، مما جعل المشفى مشغولا باستمرار.

إلا أنه حاليا يوجد في كل البلاد منشآت طبية واجتماعية تأسياً بهذا النموذج، وأما عدد الإصابات بمرضي رثية القلب فقد تراجع بشكل كبير، لكن المهام الطبية لا تزال كثيرة بما فيه الكفاية حيث يتعين متابعة مكافحة الشقاء وكثير من الأمراض الاستوائية (أو أمراض المناطقة الحارة) الأخرى . والدكتورة زهيرة عابدين لا تعتبر الطبيبة المصرية الأولى وحسب، بل كانت أول أستاذة لطب الأطفال يتعين في جامعة القاهرة و — إلى جانب مهامها الكثيرة — وتزوجت بكل بداهة واحدا من زملائها أستاذا بالباثولوجيا الإكلينيكية رزقت منه أربعة أطفال أصبحوا اليوم جميعهم يعملون بنجاح أيضا في المجالات العلمية، وفي الختام أسست هذه السيدة الرائدة التي لا تتوقف عن النشاط " الرابطة العلمية (الطبية) للنساء المصرية ".. وأخيرا وليس آخرا عُيِّنت عميدة مؤسسة لأول كلية نسائية للطب في دبي في الإمارات العربية المتحدة.

أما منحها شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة أدنبرة فليس إلا واحدا من التقديرات الأكاديمية الكثيرة التي استلمتها زهيرة عابدين خلال حياتها المديدة المملوءة بالعمل.

أوقفت مليون جنيه لرعاية الأيتام

اشترطت أن يتعلموا حرفا يدوية بعد إتمامهم الدراسة

ألفت الخشاب – جريدة الأخبار .. رمضان 1997

الوقف الخيري شعيرة إسلامية كانت قديما من أبرز وأهم أعمال البر التي يتنافس عليها المتنافسون لمساعدة وتعليم أبناء مصر ليس فقط من المسلمين ولكن أيضا من الديانات الأخرى وفي هذا الباب نقدم أولئك الذين أحيوا هذه الشعيرة تكريما لهم وتشجيعا لغيرهم ليقتدوا بهم.

وصاحبة هذا الوقف هي الدكتورة زهيرة عابدين، وهي سيدة خيرة نشأت نشأة إسلامية وكانت تتمتع منذ طفولتها بذكاء خارق جعلها تتفوق في جميع سنوات دراستها وتحصل على

المرتبة الأولى وعند تخرجها من كلية الطب، وحصلت على أكثر من دكتوراه، وكانت أول أستاذة لطب الأطفال في كلية الطب بجامعة القاهرة، وقد أودع الله في قلبها الخير، فوجهت نفسها منذ أربعين عاما للعمل الخيري ومازال عطاؤها مستمرا، فأسست مستشفى أم الأطباء الخيري بالدقي لرعاية المرضى الفقراء وهو لا يكتفي بالكشف عليهم وتشخيص الداء ولكنه يتعدى ذلك إلى تقديم الدواء لهم بالمجان.

منذ عامين قررت الدكتورة زهيرة عمل وقف خيري لكفالة الطفل اليتيم في صورة وديعة ببنك فيصل الإسلامي قدرها مليون جنيه مصري، وقد جاء في حجة الوقف أنها قررت ابتغاء وجه الله وحده أن يصرف العائد السنوي لهذا المبلغ في أوجه الخير التي تحددها الواقفة، ويقدر هذا العائد بمائة وعشرين ألف جنيه سنويا، بحيث أذا نقص يستكمله لبنك فيصل الإسلامي من صندوق زكاته رغبة في حسن سير مشروع كفالة الطفل اليتيم واشترطت الدكتورة زهيرة فغي حجة الوقف كفالة أطفال 250 أرملة حتى سن 18، ولا يقل عدد أبناء الأرملة المستحقة للإعانة عن اثنين في السن المدرسي، وأن تعمل الأم على تربية أبنائها على النظافة والخلق القويم وتحفيظهم القرآن الكريم بواقع جزء مختلف في كل عام وإن انتظم الطفل وينجح في دراسته، واشترطت أيضا أن ينتظم الطفل بعد إتمامه بالدارسة في برامج للتدريب المهني بأحد المراكز الأربعة التي أعدتها بالتعاون مع وزارة الشئون الاجتماعية في مبنى مركز القلب بالهرم وبين جمعية الشابات المسلمات بمدينة 6 أكتوبر ومبنى الجمعية العربية للتربية الإسلامية بوادي النطرون ومبنى مستشفى حافظ عابدين الخيري وخصصت لهذه المراكز 40 ألف جنيه من العائد وتفتيتها بواقع عشرة آلاف لكل مركز سنويا.

ثانياً – من ملف الستينات:
متابعة في مقالات وشهادات في مطلع حياتها العامة

صورة رائعة من صور الخدمة الاجتماعية عندنا
(الأهرام 13 نوفمبر 1960)

مظاهر الوقار والتقى التي تبدو في مظهرها وفي عينيها وفي هدوء حديث

ها تجبر أي شخص على أن يستمع إليها ويحترم ما تقول ويقتنع بما تعمل..

سمتها "جمعية أصدقاء مرضى الأطفال" أن تعمل في هدوء، بعيدا عن الأضواء..

حتى إذا ما أثمر جهودها دعت كل محبي الخير لتقول لهم أننا فعلنا كيت وكيت، وهذا هو الدليل.

وكنت واحدة ممن دعتهم الدكتورة زهيرة هذا الأسبوع..

الجمعية مقرها في نهاية شارع الهرم في فيلا صغيرة تحيط بها حديقة بسيطة.. وبداخل المبنى النظيف المكون من أربع حجرات كبيرة يرقد خمسة وعشرون طفلا من مرضى روماتيزم القلب..

إن صاحبة المشروع قد فكرت في إنشاء هذا الفرع من الخدمة الاجتماعية بعد أن رأت أن جهل بعض الأهالي بخطورة روماتيزم القلب في أول أيامه يدفعهم إلى إهمال المرضى به من الأطفال حتى يستفحل المرض ويصل إلى القلب، فيستعصى على العلاج، وتظلم الدنيا في وجوههم عند ما يشبون.. رجالا، أو فتيات..

فرأت الدكتورة زهيرة أن تنشئ مركزا لقبول مرضى روماتيزم ا لقلب وهم في بداية مرضهم، لكي تتولى هي وسيدات الجمعية رعايتهم طبيا لمدة ثلاثة أشهر.. واحتمال الشفاء بعد هذه المدة مضمون بنسبة 90%..

ونجحت في عملها،واقتنع المسئولون وأصحاب القلوب الكبيرة بعملها الإنساني الرائع، وكبرت الجمعية ووقفت على قدميها.. وبدأت الدكتورة زهيرة تتكلم عن آمال المستقبل بالنسبة

لجمعيتها " سوف تنشئ " مبنى يتسع لمائة وخمسين طفلا.. وسوف يعقبه مبنى آخر لتأهيل الأولاد المصابين بروماتيزم القلب مهنيا بحيث يخرج الواحد أو الواحدة من الجمعية بعد أربع سنوات أو خمس، وهو يجيد صنعة يتعيش منها.. ثم يعقبها أكثر من مشروع لهذه الفئة من التعساء، يخفف من تعاستهم..

كانت د. زهيرة عابدين تتكلم عن إيمان واقتناع.. وكنت أردد في نفسي: يا رب ساعدها هي وكل من ساهم معها في عملها الإنساني هذا.!

ومن أخبار الستينيات

زهيرة عابدين تواصل أبحاثها في لندن

الأهرام 26 ابريل 1963

تطير د. زهيرة حافظ عابدين أستاذ طب الأطفال في كلية طب القاهرة إلى لندن بعد 4 أيام وتواصل أبحاثها على أمراض الأطفال في مركز صحة الطفل الذي يشرف على أكبر مستشفى هناك واسمه " جريت أرموند ".

ود. زهيرة سافرت إلى لندن قبل ذلك في نهاية 1962 بدعوة من هذا المركز هي و4 أطباء من العراق وباكستان وتايلاند وبورما حتى يشتركوا في البحوث والوقوف على أحدث نظم مستشفيات الأطفال.

وبعد أن عاشت الطبيبة العربية بين أبحاثها وتجاربها في لندن ثلاثة وشهور ونصف عادت إلى القاهرة في الأسبوع الماضي حيث أشرفت على سوق جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب بصفتها أمينة الجمعية، كما أشرفت على " التشطيبات " والذي سيشرف أيضا على 300 طفل من مرضى روماتيزم القلب والذي سيشرف أيضا على 400 طفل آخر في العيادة الخارجية.

وستعود د. زهيرة من لندن في آخر سبتمبر وتؤسس المبنى الجديد وتستقبل الأطفال في أكتوبر القادم.

ود. زهيرة تجري أبحاثها على الوقاية من روماتيزم القلب والالتهاب الرئوي وشلل الأطفال، ومثل الأمراض المتطونة والحميات.

د. زهيرة عابدين الأستاذة المساعدة لطب الأطفال في جامعة القاهرة، تعود من لندن إلى القاهرة في أول سبتمبر بعد قضاء سنة كاملة في دراسة الطرق الحديثة للقضاء على الأمراض المزمنة عند الأطفال.. مثل روماتيزم القلب وشلل الأطفال وغيرهما.. وأول عمل ستقوم به د. زهيرة بعد عودتها .. افتتاح معرض أول مركز نسائي للهلال الأحمر في عين الصيرة الذي أنشأته قبل سفرها.. وسيضم البياضات والفستاين الاسبور وملابس الأطفال من صنع 22 فتاة يتعلمن في المركز.

السيدة الوحيدة التي اشتركت في بحوث في المؤتمر الطبي الأسيوي الأفريقي الأول، هي الدكتورة زهيرة عابدين، قدمت الدكتورة زهيرة بحوثا جديدة عن مرض الروماتيزم عند الأطفال، وعلاقته بروماتيزم القلب في الجمهورية العربية المتحدة. ("الجمهورية"، 26 أكتوبر 1964) الدكتورة زهيرة عابدين والدكتورة عزيزة حسين وأحمد منير القصبي سيمثلون الجمهورية العربية في الحلقة الدراسية التي تنظمها الأمم المتحدة عن مركز المرأة في قانون الأسرة. تعقد الحلقة يوم 18 أغسطس بمدينة ليمس بجمهورية توجو.

جريدة الأخبار 5 اغسطس 1964

خمسة أبحاث عن روماتيزم القلب
تقدمها السيدة الوحيدة في المؤتمر

عقد في الأسبوع الماضي بالقاهرة المؤتمر الطبي للبلاد الأفروأسيوية وكانت الدكتورة زهيرة عابدين هي السيدة الوحيدة المشتركة في المؤتمر فتقدمت بخمسة أبحاث عن روماتيزم القلب: أسباب المرض وأعراضه وأنواعه وأجرت أبحاثا في وحدة روماتيزم القلب بالهرم ومستشفى الأطفال.

وكانت الأبحاث التي تقدمها الدكتورة زهيرة عابدين ويساعدها خمسة أطباء من الشباب مثار إعجاب جميع أعضاء المؤتمر فكلها أشياء حديثة فالبحث الأول كان عن معرفة سبب المرض..

والمعروف أنه الميكروب السبحي هو السبب العام ولكن الميكروبات السبحية كثيرة فأي نوع منها هو السبب.. أجرت الدكتورة زهيرة البحث على اربعة آلاف حالة منتظمة بمستشفى الأطفال و240 في مركز روماتيزم القلب. وهذا البحث سيكون له أهمية في معرفة سبب المرض وبالتالي الوقاية منه.

وبحث آخر عن التفرقة بين الحمى الروماتيزمية وشبه الروماتيزمية في الأدوار المبكرة لأنه من الصعب التمييز بينهما ـــ وبحث ثالث عن أثر الأبحاث وخاصة في حالات روماتيزم الأعصاب وعلاقة المرض بالبلهارسيا، وبحث رابع عن ارتفاع الكلستور في حالات الحمى الروماتيزمية.

وتقول الدكتورة زهيرة عابدين أن نسبة الإصابة بروماتيزم القلب عندنا قاد انخفضت ولو أننا نريد أن نقضي عليه كما فعل الغرب في عام 1938 كان روماتيزم القلب من أكبر المشاكل عندهم أما ألآن فأصبح نادرا جدا وساعدهم في ذلك ارتفاع المستوى المادي والعلمي.

إن معظم الحالات التي كانت تأتي للمستشفيات كانت صعبة جدا أما الآن فأصبح الصعب منها 1% فقط وذلك بعد خمس سنوات من البدء في محاربة المرض وبعد زيادة حملات التوعية والخدمة الطبية للمرضى.

فمعظم حالات الأمهات يحملن الآن أطفالهن إلينا في الوقت المبكر حيث يسهل علاج الحالة وفي مركز القلب تقوم بتأهيل الحالات القلبية.

زار أعضاء الوفد مركز روماتيزم القلب بالهرم وأعجبوا بالنظام السائد وقال أحدهم أننا بجانب مشاهدتنا لنهضة مصر القديمة في الهرم الأكبر **فإننا شاهدنا هنا مصر الحديثة في الهرم الرابع!**

حديث المدينة

مع زهيرة عابدين

يكتبها ...عبود فوده (الجمهورية، 27 مارس 1961)

احتفلت الدكتورة زهيرة عابدين، بالبدء في بناء مركز رعاية مرضى روماتيزم القلب من الأطفال في منطقة الهرم...

س : يا ترى بناء المراكز ده هيتكلف كام؟

جـ : 20 ألف جنيه

س : وما هي طريقة تمويل هذا المشروع الإنساني؟

جـ : أقمنا أسبوع روماتيزم القلب الذي تضمن السوق الخيري وسنبدأ في جمع تبرعات مع الجمهور عن طريق بيع طوابق بالإضافة إلى فتح اكتتاب لهذا المشروع الإنساني.

س : كم سريرا سيضمها المركز؟

جـ : 400 سرير

س : متى بدأت فكرة إنشاء هذا المركز؟

جـ : منذ سنتين

س : وكيف بدأت؟

جـ : لاحظت أن أكبر نسبة من وفيات الأطفال سببها هذا المرض، فافتتحت قسما صغيرا بمستشفى قصر العيني يضم عشرة أسرة.. ثم تطور هذا القسم إلى المركز الحالي الذي يضم 30 سريرا فقط.

س : ما عدد المرضى الذين يعالجهم المركز الحالي في السنة؟

جـ : 100 طفل.

س : طيب، متى ينتهي بناء المركز الجديد؟

جـ : بعد اربعة أشهر.

س : وما هي مشروعاتك الأخرى ؟

جـ : بناء مركز تأهيل مرضى روماتيزم القلب من الأطفال.

أفكار من انجلترا لوزارة الصحة وكليات الطب

مجلة حواء — 5 اكتوبر 1963

(قارن مقال الأهرام 7مارس 1965)

"أفكار من الشرق والغرب تقدمها الطبيبة الطائرة زهيرة عابدين"

عادت الدكتورة "زهيرة عابدين" رئيسة قسم الأطفال بمستشفى "أبو الريش" إلى القاهرة في الأسبوع الماضي بعد أن قضت عاما كاملا في انجلترا حضرت خلاله أول برنامج دراسي لطب الأطفال الاجتماعي، كانت "هيئة إغاثة الطفولة التابعة لمنظمة الصحة العالمية" قد دعتها إلى حضور هذا البرنامج، وقد التقت هناك مع ممثلين من مختلف أنحاء العالم، وكانت المرأة الوحيدة ضمن وفود الشرق الأوسط.

وطب الأطفال الاجتماعي فرع جديد هام في ميدان الطب، وكان أول من بدأ دراسته الدكتور "مونكريف" أستاذ طب الأطفال بجامعة لندن، فقد لاحظ أن الطفل لا يحتاج فقط إلى حمايته من الأمراض المختلفة، وإنما هو في أشد الحاجة إلى الوقاية من الظروف الاجتماعية الدافعة لهذه الأمراض، وقد دعت انجلترا عددا كبيرا من أطباء الأطفال في أنحاء العالم لدراسة هذا الفرع الجديد، فقضوا سنة كاملة داخل المستشفيات الموجودة في أنحاء انجلترا وكان من بين برنامج الدراسة زيارة بلاد كثيرة في شرق إفريقيا لبحث إمكان قيام الطب الاجتماعي للأطفال بها على ضوء إمكانياتها المحدودة.

وقد التقيت بالدكتورة "زهيرة" بعد عودتها من هذه المهمة العلمية وسألتها عن مدى تقدم النواحي الوقائية والعلاجية لطب الأطفال في انجلترا فقالت:

- أن أول ما يلفت النظر في أطفال هذا البلد أنهم يتمتعون بصحة جيدة، فالعناية بسلامة الطفل تكاد تكون الهدف الأول للدولة والهيئات الصحية والعلمية، لقد رأيت بعيني أساتذة طب مشهورين تركوا ميادينهم الخاصة التي تدر عليهم أرباحا طائلة ليلتحقوا بأقسام الأطفال في جامعة بريستول في ميدان طب الأطفال، بل إن أستاذ الجامعة المتخصص في طب الأطفال يكرس أكثر من نصف وقته للارتقاء بهذا الفرع من الطب.

ولقد دهشت عندما وجدت أن الأمراض التي يعاني منها الأطفال عندنا وفي بلاد أخرى كثيرة وتكون سببا في وفاة كثير منهم.. هذه الأمراض تكاد تتلاشى في بلاد الغرب وبخاصة انجلترا، فإن نسبة وفيات الأطفال الرضع هناك مثلا لا تزيد على 24 (في الألف) %، وهي نسبة لا تكاد تذكر إذا قيست بمثليتها عندنا، كما أن حالات روماتيزم القلب موجودة بين أطفالنا بكثرة تقل هناك إلى حد كبير، و هذا تقدما هائلا في ميدان القضاء على الأمراض والوقاية منها..

وقد استحوذت على اهتمام وإعجاب الدكتورة زهيرة هناك أفكار كثيرة من الوحدات الاجتماعية والصحية التي تنتشر في مدن وريف انجلترا، إن كل وحدة .. مستقلة بذاتها وتقوم بنشاطها في حدود إمكانياتها، وفي العادة يشرف عليها أعضاء نصفهم من متطوع والآخر معين، والكل يعمل في تعاون متصل من أجل الارتقاء بالصحة .. وكان من أهم وصف سمعته الدكتورة " زهيرة " من أحد المشرفين على إحدى هذه الوحدات، وكان يتحدث عن وحدته التي يعمل بها، أن كل وحدة تعتبر وزارة صحة صغيرة.

خامســـاً



باب في رسائل ومدونات بقلم أم الأطباء ..

مراسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: 16 محرم هـ الموافق 1998//13.

الأستاذة الدكتورة / زهيرة حافظ عابدين حفظها الله

أستاذ طب الأطفال جامعة القاهرة وأم الأطباء المصريين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فإنني نيابة عن مجلس أمناء جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية وأصالة عن نفسي أود أن أؤكد على أن جهادك وكفاحك كسيدة وطبيبة مسلمة في تأسيس وبناء وتشييد العديد من الجمعيات والمشاريع الخيرية منها على سبيل المثال لا الحصر الجمعية العربية للتربية الإسلامية، وما أنشأتم من مدارس ومعاهد مثل معهد صحة الطفل ومركز مرضى روماتيزم القلب وجمعية الشابات المسلمات، إضافة إلى إنجازاتكم العلمية ورعايتكم لكلية الطب في دبي، وبناءكم للبرنامج الناجح والمغاير لبرامج سائر الكليات الطبية في العالم العربي والإسلامي من حيث المحتوى المتين ومن حيث الوقت الزمني القصير، إضافة إلى حصول هذه الكلية على اعترافات العديد من المؤسسات الطبية العالمية لبرنامجها الذي أصبح نموذجا يستحق الدراسة ويشكل دليلا على أن العقل المسلم لا يزال ذلك العقل القادر المعطاء حينما يجد فرص العمل المناسبة، كل هذا قد شجع مجلس أمناء جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية على أن يحمل كرسي الدراسات النسوية اسمكم الكريم وأن يكون أول أستاذ يشغل هذا الكرسي ويقوم بتأسيس تقاليده العلمية كريمتكم الأستاذة الدكتورة مني أبو الفضل. وهذا كله ليس إلا تعبيرا بسيطا عن تقدير واحترام تكنّه لكم هذه الجامعة الفتية وتحب أن تقدمكم مثلا يحتذى للمرأة المسلمة التي تتعرض في هذا الوقت لعمليات متصلة للتأثير عليها وتغيير مواقفها وتدمير علاقتها بدينها وبتراثها، واستخدامها مفتاحا لتغيير المجتمعات المسلمة وتحويلها إلى ذنب للركب العالمي السائر نحو مزيد من البعد عن القيم والتخلي عن كيان الأسرة لصالح اتجاهات العولمة والإذابة الحضارية للأمة الإسلامية في سواها.

أملنا كبير أن يكون هذا المشروع وسيلة فعالة لإصدار مجموعة من الدراسات الهامة وتنظيم قدر مناسب من اللقاءات والمؤتمرات النسوية سنويا، والقيام بالجهود التي من شأنها أن تساعد على حماية الأسرة المسلمة من عمليات التذويب وإيجاد الفرص المناسبة لإشعار العالم والمرأة على مستوى عالمي بما يمكن للإسلام أن يقدمه للمرأة والأسرة بل لعله — أعني الإسلام — المدخل الوحيد الذي يمكن أن يساعد البشرية في عصرها الراهن على إحياء قيم الأسرة، وإعادة بناءها إن شاء الله.

ولذلك فإننا محتاجون للتعاون والعمل الجاد على تغطية متطلبات هذا الكرسي وجعله صدقة جارية ومنبعا للخير لا ينضب إن شاء الله. ويكون لاسمكم الكريم ومساهمتكم الأثر الفعال في هذا المشروع الهام الذي سيكون له ما بعده إن شاء الله. وسيكون له موقعه في ميزان حسناتك في الدارين. ونأمل أن يكون لك مساهمة مباشرة في وضع خطة عمل ونشاط الكرسي للسنوات الخمس القادمة والتي ستعمل الدكتورة منى مع بعض الزميلات والزملاء على وضع خطوطها الأساسية هذا الصيف إن شاء الله. كما نأمل العمل معا على استكمال الوقف المطلوب إن شاء الله وقدره مليونا دولار.

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. طه جابر العلواني – رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

دكتورة زهيرة حافظ عابدين

أستاذ طب الأطفال ـــ جامعة القاهرة

استشارية أمراض القلب والروماتيزم

عضوة وزميلة كلية الأطباء الملكية بلندن -دكتورة فخرية بجامعة أدنبرة

سعادة الأستاذ الدكتور/ رئيس مجلس أمناء جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية

وصلتني صورة من قرار مجلس أمناء جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية الموقر بتأسيس كرسي للدراسات النسوية ولقد هزني ما جاء فيه وترك في نفسي أثرا عميقا وأقل ما أقول فيه أنه كان دليلا ساطعا ومبشرا وناطقا بقدر القائم والقائمين على مجلس الأمناء ومعبرا عما في نفوسهم الزكية وعن قدرات وعزيمة سوف تنير الطريق لعالم طالما تخبط في الظلام ومنقذا للبشرية المتعطشة إلى الدواء... فالمرأة هي أصل البشر وهي القائمة على أمر الأسرة الصغيرة والخلية الأولى للمجتمع.

أشكر اختياركم الكريم لاسم شخصي البسيط الضعيف والذي وإن كان حقا شيئا ملموسا وخيرا للبشرية ما كان ذلك إلا لسببين / الأول: أنه كان صادقا مع ربه..، والثاني: أنه تحرك واجتهد وعمل لكنه سلم الأمر كله لربه فحقق له الرجاء ـــ اسأله واتضرع إلأيه أن يحقق لمجلسكم الموقر ما تتطلع إليه أمتنا بل ما تتوق إليه البشرية جمعاء.

كما تعلمون سعادتكم لست من أهل الثراء ولكن أقدم بذرة متواضعة 100.000 دولار (مائة ألف دولار) تكون مع المائة ألف التي حصلت عليها من الجامعة ـــ دعامة صغيرة لكن فيها بركة إن شاء الله وسوف نحتاج للكثير، أرجو أن نلقي من أهل القلوب الزكية ما يغطي هذا المشروع العظيم حتى يتحقق الأمل والرجاء...

{ولينصرن الله من ينصره} وهو ولي التوفيق

(أ.د. زهيرة عابدين)

أستاذ طب الأطفال ـــ جامعة القاهرة

جمهورية مصر العربية، القاهرة 13 شارع عكاشة بالدقي

لكي نحمي الطفولة

بريد الأهرام، 28 يناير 1992

"سرني ما قرأت في الأهرام عما أفصح عنه وزير التعليم الدكتور حسين كامل بهاء الدين من الرغبة للعودة إلى إعداد الأم والزوجة الصالحة عن طريق إحياء مدراس التربية أو الثقافة النسوية.. لقد مارست العمل في هذه المدارس منذ زهاء خمسين عاما عقب تخرجي من كلية طب القاهرة وإنهاء سنة التدريب (الامتياز) عملت بها عاما كاملا كنت أجهز وقتها لدبلوم طب الأطفال قمت في المدرسة بتدريس مادة صحة الطفل والأم ـــ كنت سعيدة بالطالبات وبالمناهج التي تدرس وأشعر بأهمية هذه الدراسة المفيدة للبنت في مستقبل حياتها القريب وبما سوف يعود على الأمة كلها من إعداد جيل صالح.

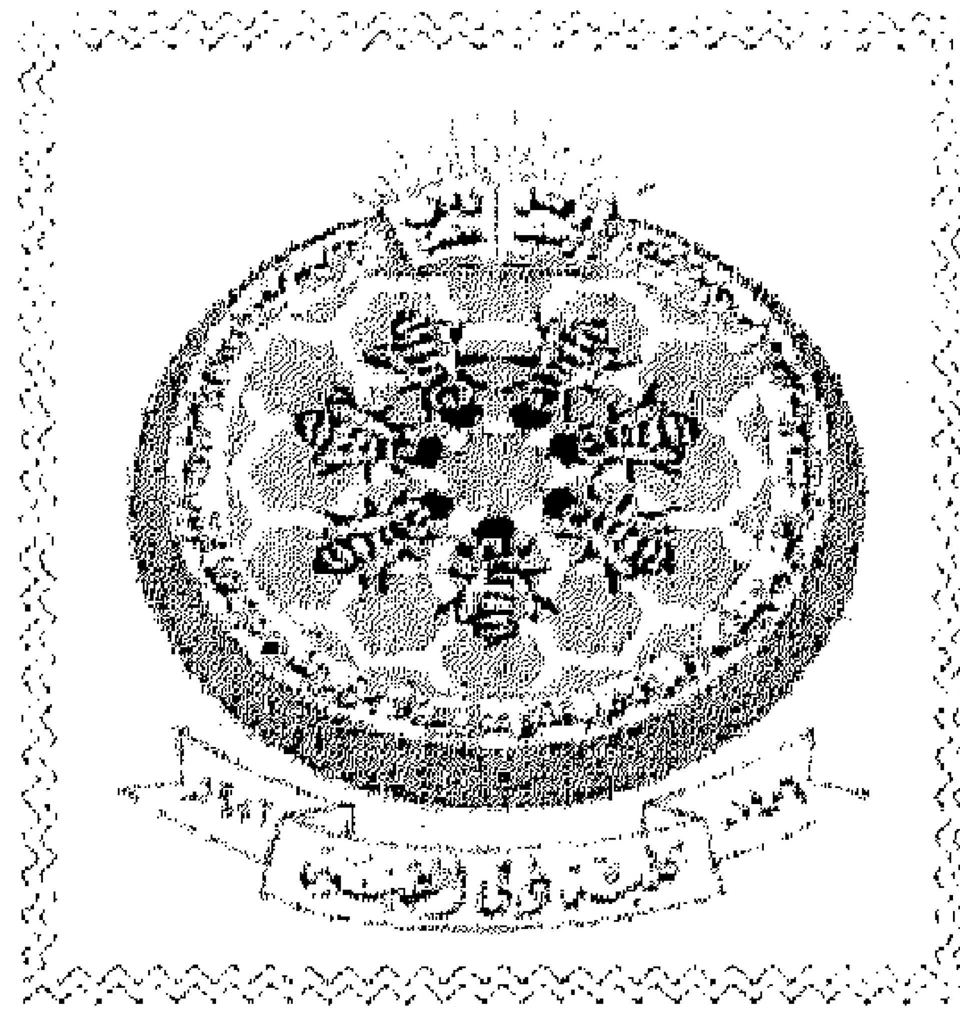
أسفت حين علمت بعد حقبة قصيرة أن هذه المدارس ألغيت و لم يعد لها قائمة، ثم سرني كما قلت ما أثاره ابني وزميلي الأستاذ الكبير دكتور حسين كامل بهاء الدين في هذا الشأن، فقط أرجوا أن ألفت النظر لناحية قد تكون سببا آخر أساسيا في انقراض هذه المدارس إلى جانب قصور الناحية المادية لأن المجتمع النسائي اليوم متجه ككل للدراسة من أل العمل والكسب بينما مدارس الثقافة النسوية لن تتيح مجالات للعمل والكسب على نطاق واسع ومجالات العمل سوف تكون محدودة للغاية في الوقت الذي تنشد فيه بتعميم هذه الثقافة على نطاق واسع يتسع لأكثر بناتنا ونسائنا فما العمل؟

اقترح (وهذا بالطبع رأي شخصي وما من شك أن السيد الوزير له دراسة للأمر ودراية به وقد يكون له رأي وخطة أفضل.. اقترح أن تخصص سنة تحضيرية قبل الدراسة الجامعية يدرس فيها مناهج الثقافة النسوية معدلة ومكثفة وعملية اكثر منها نظرية، على ان تضيف نتيجة آخر العام نسبة تتراوح بين الـــ 1% - 3% الى مجموع الثانوية العامة حسب التقدير وبذلك تفتح أمام الطلبة مجالا أوسع للقبول بالجامعات.

كذا اقترح إنشاء معاهد دراسات عليا في الثقافة النسوية على نمط معهد الدراسات العليا الإسلامية تكون الدراسة ليلية ثلاث مرات في الأسبوع، ومن تجتاز الامتحان النهائي بنجاح يزيد مرتبها الأساسي المبدئي حوالي 10% (ويمكن إعفاء الحاصلة على شهادة السنة التحضيرية من دراسات العام الأول للمعهد. كل ذلك سوف يشجع على الإقبال على هذه الدراسات).

وأخيرا أكون سعيدة لو أتيحت لي فرصة الاشتراك مع اللجنة الخاصة بوضع المناهج الدراسية، كذا ارجو ان يوفقنا الله الى إقامة مدرسة تحضيرية أو معهد عال لهذه الدراسة المفيدة في نطاق أنشطتنا الخيرية والإجتماعية، والله اسأل ان يوفق للطيب المفيد."

حرر المشروع التالي على ورقة رسمية عليها عنوان وشعار كلية دبي الطبية للبنات



مشروع إنشاء كلية طب خاصة بدولة قطر العربية

مقدمة المشروع: **استاذة دكتورة زهيرة حافظ عابدين**

عميدة كلية دبي الطبية واستاذة طب الأطفال جامعة القاهرة

(ومن سياقه انه اعد في اوئل عام 1991)

الهدف من المشروع:

يهدف المشروع الى انشاء كلية طب بشري مجهزة تجهيزاً كاملاً تعد الطبيب والطبيبة العربية ذوات المستوى العلمي الرفيع مع توجيه العناية الخاصة لغرس آداب المهنة والأخلاقيات الإسلامية والعربية الرفيعة وتجنيب الطالب والطالبة بالذات اللائي لم تسمح الظروف لهم بالالتحاق بكلية طب في الوطن من التغرب خارج الوطن العربي بعيداً عن الأهل وما قد يصحب ذلك من التأثيرات السيئة اخلاقياً وإيمانياً، بجانب الوحشة والغربة والتكاليف الباهظة والمشقة الخ ...

سوف اقوم بهذا العمل وهذا الجهد بنفسي ولي ما لي من خبرة طويلة وباع في هذا الميدان .. فلقد مارست مهنة التعليم الطبي منذ عام 1944 وتدرجت من وظيفة معيد حتى أستاذ كرسي

ورئيس قسم الأطفال (مرفق نبذة عن تاريخ الحياة العلمية والأنشطة الإجتماعية والتعليمية والصحية ..)

الي جانب هذا خبرتي العملية الحديثة في انشاء كلية دبي الطبية التي تعهدتها بالكامل (انشاء وتأثيثاً، وتجهيزاً ووضع المناهج، ثم توليت أمر عمادتها لمدة ناهزت الأربع سنوات حيث ستتخرج الدفعة الأولى في يونيو هذا العام بمشيئة الله تعالى . ولقد اصبح لهذه الكلية شهرة كبيرة في العالم العربي وخارجه، كما اعترف بالمستوى التعليمي الرفيع للطالبات خبراء عالميون (عمداء وأساتذة متخصصون) من انجلترا ومصر وغيرها. كذا قد تم توقيع اتفاقية بين الكلية وكلية طب القاهرة (أم الكليات في مصر) وكلية طب ليستر، أعرق كليات الطب الحديثة المتطورة في انجلترا، وتم الإتفاق على ان الطالبة التي تجتاز مرحلة العلوم الطبية الأساسية بدبي في امكانها ان تلتحق فوراً بمرحلة العلوم الطبية الإكلينيكية بليستر وبدون اي امتحان اضافي (امتحان معادلة) إعترافاً صريحاً من جامعة ليستر بأن مستوى الطالبة يساير على قدم المساواة مستوى زميلتها في ليستر، علماً بأن سني دراسة العلوم الطبية الأساسية في دبي هي سنتين كاملتين (ثمانية دورات) في حين انها في ليستـــر ثلاث سنوات يتخللها اجازات الصيف الطويلة .. كذا من تحصل على بكالوريوس طب وجراحة من طب دبي تستطيع ان تلتحق بالمستشفيات التعليمية بليستر لتمضية سنة التدريب، كذا الحال بالنسبة لطب القاهرة.

هذه الإتفاقيات كانت بناء على تقارير كتبها اساتذة المواد الطبية في ليستر وطب القاهرة حضروا الى دبي كأساتذة زائرين أو كممتحنين خارجيين (مرفق نماذج تقارير لبعض هؤلاء الأساتذة والعمداء، كذا للإتفاقات المبرمة).

تمويل المشروع:

سوف اتكفل بعون الله تعالى بتكاليف الإنشاء بالكامل على نفقتي الخاصة بناء وتأثيناً وتجهيزاً: تجهيز المعامل والفصول الدراسية واجهزة الوسائل التعليمية (مرئية وصوتية)، واجور ومرتبات هيئة التدريس والعاملين، والأدوات المكتبية الخ .. فقط ارجو ان تتفضل الدولة مشكورة بتوفير الأرض اللازمة لهذا المشروع القومي الهادف (مساحة مناسبة وفي مكان مناسب).

هيئة التدريس:

سوف يشترط ان يكون عضو هيئة التدريس طبيب حاصل على دكتوراه التخصص في المادة وله خبرة عملية بتدريس المادة في كليات الطب بمصر او انجلترا، كذا ان يكون على خلق ودين، وبالنسبة للطبيبات من هيئة التدريس يشترط الإلتزام بالزي الإسلامي الوقور.

سكن المغتربات والمغتربين:

سوف يعد سكن يتوفر فيه اسباب الراحة والإشراف الجيد والغذاء الصحي المناسب نظير مبلغ معقول (حوالي خمسمائة درهم شهرياً ولا يتجاوز ستمائة درهم بحال)

أما رسوم الدراسة للطالب او الطالبة فسوف نتوخى ما أمكن الا يكون فيها أي تغالي بشرط ان تكفي لتغطية التكلفة والأجور المناسبة لهيئة تدريس ذات مستوى عال.

سوف اتولى عمادة الكلية بنفسي ان شاء الله لمدة عدة سنوات (ان اذن الله ومد في عمري)، والى ان أطمئن ان الكلية تستطيع ان تسير قدماً في غيابي، او بإشراف بسيط من قبلي كما فعلت بالنسبة لكلية دبي الطبية.

تصوري المبدئي ان الرسوم عن أربع دورات دراسية (أي عام كامل) سوف تكون حوالي عشرين الف درهم، (أي نصف رسوم كلية دبي الطبية)، وهذا سوف يتكلف الطالب او الطالبة حوالي ثمانين الف درهم حتى يكمل دراسته ويحصل على بكالوريوس الطب والجراحة. كذا سوف توفر كافتيريا ومطعم بالكلية واستراحة ومكتبة وبعض الأنشطة الرياضية والترفيهية.

والله ولي التوفيق .. يهدينا الى سواء السبيل، ويجعله عملا متقبلاً نلقاه به أن شاء الله تعالى ..

ومن مرفقات مشروع إنشاء كلية طب دولة قطر

موجز في تاريخ الحياة العلمية والأنشطة الإجتماعية والثقافية والتعليمية للأستاذة الدكتورة زهيرة حافظ عابدين

النقاط المتميزة ..

بعد الحصول على بكالوريوس الطب والجراحة و دبلوم التخصص من جامعة القاهرة (عامي 1942، 1944) .. اجتزت امتحان ونلت شهادة العضوية الملكية بلندن في 1949 (الوحيدة في مصر الى الآن الحاصلة على هذه الدرجة)، وبعد بضع سنوات منحتني الجمعية الطبية الملكية بلندن درجة الزمالة الشرفية (الوحيدة في الشرق العربي التي نالتها الى الآن) — منحتني جامعة ادنبره العتيقة عام 1980 الدرجة العالمية الشرفية .. (انا وطبيب امريكي جراح أعصاب) " درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية " .. مع العلم ان تلك الدرجة تضع مرشحها على محك اختبار معايير تجمع بين ابعاد علمية وأخرى قيمية انسانية تميز بها اداءه على مدى حياته المهنية..

كنت اول طبيبة تعين في هيئة التدريس بجامعة القاهرة في عام 1949، بعج ان كانت هيئة التدريس تقتصر على الطبيب فقط، وذلك عقب حصولي على درجة الــRCP ، كذا عينت اول استاذ طب اجتماعي بمصر (جامعة القاهرة) وفي تاريخ العالم اجمع عام .. (تصويب: 1967 ؟؟ أم / 1976 المحرر).

انشطة في ميدان الطب الإجتماعي والخدمات الطوعية الإجتماعية والثقافية

أنشأت جمعية اصدقاء مرضى روماتزم القلب للأطفال والتي حققت علاج ونقاهة آلاف الأطفال المصابين بمرض روماتيزم القلب عن طريق مركز القلب والروماتزم الذي أنشأته الجمعية في 1956-1960 والذي اتسع لحوالي 400 طفل، ويحوي مستشفى ومدرسة وتدريب مهني وعيادة كشف وتتبع وعلاج وقائي .. الخ (خدماته بالمجان) واستطاعت بفضل الله ان تقضي او كادت تقضي على هذا المرض الخطير في الأطفال في جمهورية مصر العربية.

اقامت الجمعية معهد صحة الطفل بالدقي من عشرة طوابق، مستشفى تخصصي وخدمات متنوعة خيرية، للطبقة الفقيرة ومحدودة الدخل .. (حضانات، دار مسنات، رعاية أيتام وارامل، اطفال سوء التغذية والنـــزلات المعوية، ومكافحة هذه الأدواء الخطيرة ..)

مدارس اللغات الإسلامية: لإعداد القيادات المرموقة لبلدنا ووطننا العربي ان شاء الله تعالى .

الأوسمة الفخرية: نلت الكثير منها سواء في الميدان العلمي، سواء في ميدان الخدمات الطوعية – في شتى المناسبات ..

اوجز: في مناسبة مرور مائة وخمسون عاما على انشاء كلية طب القاهرة كنت الطبيبة الوحيدة التي اختارتها الكلية ومنحتها وساما فخرياً بهذه المناسبة، (قدمه لي المرحوم الرئيس انور السادات).

أول طبيبة تنال الوسام الشرفي لنقابة الأطباء للأطباء الممتازين في مصر، منحت في العام الماضي لقب أم الأطباء بجمهورية مصر (أم لثمانين الف طبيب)، قدمت الشهادة الفخرية السيدة حرم الرئيس حسني مبارك بدار نقابة الأطباء. نلت درع الدولة لأحسن جمعية خيرية وعمل اجتماعي.

النشاطات خارج جمهورية مصر: طوفت بأكثر بقاع العالم كأستاذ زائر وفي شتى المؤتمرات الدولية والإقليمية كمحاضر وكرئيس مؤتمر.

عبرت خط الإستواء أكثر من ستة مرات، وجوبت حول العالم كله في رحلة من مصر الى افريقيا وأمريكا – ثم عبرت المحيط الهادي الى اليابان ودول الشرق الأقصى في آسيا والهند .. الى ان رجعت مصر .. كانت هذه الرحلة بدعوة من حكومة امريكا، ووزارة الصحة والتعليم والخدمات .. زرت فيها اكثر ولايات امريكا الشمالية، وما فيها من مؤسسات تعليمية وطبية وإجتماعية .. الخ.

أود الا اطيل اكثر من ذلك في هذه العجالة، واختتم بحمد الله تعالى، **ودعاء اليه ان يعينني على ان اقوم بواجب الحمد والشكر له بمزيد من نفع عباده سبحانه ...**

وماذا قالت هي؟ .. من مقالاتها ومدوناتها ..

كليــة طب دبــي للبنـــات في خمس سنوات –

من دليل الكليـــة

فلسفة البرنامج

رؤيـــة عامة على تطور التعليم الطبي في العالم

وموقع الكلية الجديدة في هذه الخريطة / المزايا والمقومـــــــات

كلمة الإستاذة الدكتورة / زهـــيرة عابـــدين – عميدة الكليـــة

في أوائل شتاء 1986م دعاني فضيلة الحاج سعيد بن أحمد آل لوتاه إلى دبي وحدثني في أمر إنشاء كلية طب للبنات بدبي على أن أخطط وأتولى أمر التأسيس لها وتسيير العمل بها.

وقد خشيت أول الأمر من تحمل هذه المسئولية، لا لأنها مسئولية كبيرة وعمل مكلف فحسب، ولا لكبر سني وما لدي من مسئوليات والتزامات ومشروعات وأعمال كبيرة في بلدي، ولا لبُعد المسافة وصعوبة استمرارية الإشراف القريب... ولكن – فوق كل هذا– لأن لي فلسفتي الخاصة في التعليم الطبي، فخشيت ألا نلتقي في الرأي أو أن أجد معوقات في التنفيذ. لكن بعد أن تكررت الزيارة، وطال الحديث مع فضيلة الحاج سعيد وبعد أن تفهمت فلسفته وآراءه، وحدث تقارب كبير في التفكير والآراء والأساليب والغايات. وجدت هذا الرجل المسلم المصلح – الذي لم يتلق العلم في معاهده المعتادة، ولكنه عرف الحياة، وخبرها في صدق وإيمان– قد تكونت لديه تصورات سليمة لما يجب أن تكون عليه الفطرة السليمة، فهم واضح لما أراده الله لنا من طهارة الفكر ونقاوة الأثـــر.

لقد كان يتحدث فألمس في حديثه العمق في التفكير، وكأنه اطلع على شتى أساليب التعليم والتربية الحديثة... وجدته على نور من ربه، وعلى علم استقاه من مورد رباني بسبب التقوى والإخلاص واتقوا الله ويعلمكم الله قلت في نفسي إن الرجل – الذي نجح في إنشاء أول بنك

إسلامي يعمل على أسس راسخة، والذي له ما له من أعمال عظيمة في خدمة الناس والمجتمع- سوف ينجح بعون الله إذا وُفِّق الذي يعمل بجانبه بصدق وإخلاص.

وقد كانت فكرة تطوير مناهج التعليم الطبيب وأساليبه فكرة قديمة مُحَبَّبة لنفسي، لكني كنت أراها حلمًا بعيدًا عن الواقع الذي أعيشه، وأرى طريق التنفيذ في مصر شاقًا غير معبد، لقد مارست مهنة تعليم الطب وقضيت فيها أكثر من أربعين عامًا، ولمست ما لمست من عيوب ومعوقات، وعشت مع تلاميذي حياتهم، وتذوقت مرارة ما يقاسون، فتذكرت المرارة التي ذقتها أنا أيضًا إبَّان تلمذتي مثلهم.

وفي عام 1962م دعاني الأستاذ مونكريف الأستاذ بجامعة لندن ورائد صحة الطفل بها — إلى دراسات عليا أعدها بعض أساتذة طب الأطفال من جامعات مختلفة في آسيا وأفريقيا، وكان موضوع التعليم الطبي في الشرق والغرب ومتطلباته من أول أهداف هذه الدراسات، واستدعت هذه الدراسات أن نجوب البلاد، فمررنا بكليات الطب في شتى بلدان انجلترا، ولمسنا عن قرب أسلوب التعليم ومناهجه، كما زرنا بعض كليات الطب في أفريقيا وآسيا... كان كل ذلك قبل أن تأخذ هذه المشكلة أبعادًا جديدة في البحث والنقاش على الصعيد العالمي.

بعد ذلك تعاقبت المناقشات والمؤتمرات العالمية لبحث هذا الموضوع، وكان في سبات عميق منذ أكثر من مائتي عام منذ أن أُسِّست أول كلية طب بأدنبرا في إنجلترا منذ مائتين وخمسين عامًا، فلقد كانت الجامعات حريصة على ألا تعبث الأيدي بما وُضع من مناهج وأساليب للتعليم الطبي العتيد خشية أن يهبط المستوى، أو تهتز سمعة هذه الجامعات.

وهكذا جاء عرض الحاج سعيد فرصة لتحقيق حلم قديم، وصادف في نفسي هوى، وانفتح له قلبي، وشاء الله تعالى أن تجد الفكرة طريقها إلى النور وتبدأ أول كلية طب بدبي.

بدأ التحرك وبدأ فضيلة الحاج سعيد في المباني وذَهَبْت أنا مع زوجي الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم أبو الفضل أستاذ علم الكيمياء الإكلينيكية بجامعة القاهرة إلى أوربا وإنجلترا في زيارة إلى بعض الجامعات بغرض الاطلاع على مناهج التعليم الطبي في الكليات القديمة والمتطورة والحديثة، ولإعداد التجهيزات اللازمة للكلية الجديدة كما بدأت في إعداد المادة العلمية والمنهج الدراسي الجديد، ثم شرعت في انتقاء هيئة التدريس والعاملين، وفي سبتمبر 1986م تم اختيار أول دفعة من طالبات الكلية الجديدة وبدأ العمل فعلاً باسم الله وبتوفيق منه سبحانه وتعـــــالى.

الدوافع التي دعت إلى إنشاء كلية طـــب دبي للبنات

قامت كلية طب دبي للبنات لتحقق الأهداف الآتية :

1 – تربية جيل من المسلمات على الخلق القويم والمبادئ السامية المستقاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله القدوة والأسوة.

2 – خدمة للإنسان، وبالذات خدمة للمرأة التي تأبى أن تنكشف على (الطبيب الرجل).

3 – رغبة في شحذ همة الفتاة المسلمة وإثبات ما قرره سبحانه من أن المرأة والرجل أمام الله سبحانه، هما من نفس واحدة، وتركيب واحد، وعقل واحد، وأن المرأة مسئولة مثل الرجل ومأجورة مثله تمامًا.

4 – حفاظًا على الفتاة المسلمة ذات الهمة، من الاغتراب بدون من يقوم على أمرها، ويحافظ عليها في بلد غريب إذا هي سعت إلى علم إنساني نافع وأرادت أن تعد نفسها لعمل إنساني صالح.

5 – وأخيرًا وليس آخرًا توسيع أفق الفتاة، وإطلاعها على أسرار صنع الله في خلق الإنسان، وقدرته سبحانه على تسيير عملية الحياة المعقدة فيه، حتى يرسخ إيمانها به سبحانه وحتى تعبد ربها من خلال هذا العلم العظيم، وهذا في الواقع الأصل والقصد من وجودها في الحياة، وهو غاية الغايات وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فهي ترى عظمته من خلال هذا العلم وتعرفه حق المعرفة من خلال هذه الدراسة العميقة المتخصصة.

آداب مهنة الطب من خلال تعاليم الإسلام

(مادة أساسية في مناهج الدراسة)

أقرّ غير المسلمين من الأمم التي شاء الله أن تحظى بنصيب أوفر من العلم والتي أسماها العُرف «الأمم المتحضرة» أقروا بضرورة تدريس ما أسموه آداب المهنة - Medical Ethics - وقرنوا هذه المادة بدراسة ما أسموه بالأديان أو بالعقائد.

وقد جعلوها مادة أساسية في دراسة الطب في الكليات المتطورة والتي أرادت أن تصلح ما فسد في سياسة تعليم الطب القديمة البالية.

أقر هؤلاء أن أول ما يطلب من الطبيب هو التحلي بالصفات السامية، وأنه لابد أن يكون إنسانًا قبل كل شيء، لابد من أن يتسم بالرحمة والعطاء والبذل بسخاء، والإخلاص في عمله، وإنكار الذات والتضحية، ولابد أن يحسن معاملة مريضه أولاً ويحسن لكل من يعمل معه ثانيًا، ولابد أن يكون الدافع لكل هذا من قرارة نفسه دون رقيب عليه، ومن هنا جاءت الضرورة من الناحية العقائدية، ضرورة أن يؤمن بالله، وإن لم يقولوها علنًا.

إذا كان هذا هو الحال في الأمم الإلحادية التي قامت حضارتها أول ما قامت — وما زالت— على العلمانية التي تنكر وجوده سبحانه، ولا تؤمن إلا بوجود الإنسان، وبعقل الإنسان، وبقدرات الإنسان، فما أحرانا ونحن أمة الإسلام، أمة العقيدة السليمة، عقيدة العقل المتحرر، عقيدة الحكمة لمن أوتي الحكمة، عقيدة الشهادة بوجود الخالق العظيم، القادر العليم الذي يرى العمل، ويحاسب على السر والجهر — ما أحرانا أن نعمق هذه المفاهيم في برامج الدراسة على المدى الطويل.

نعم إن الطبيبة المسلمة لابد أن تتصف بكل أسس الأخلاقيات التي وضعت كأساس تربوي في هذا العلم — علم سلوكيات وأخلاقيات وآداب الطب والطبيب.

وإذا كانت حكومة الإمارات وغيرها من حكومات الدول الإسلامية قد أقرّت أن الإسلام هو أساس المجتمع خلقًا وسلوكًا، وأن قوانينها لابد أن تكون مستقاة من هذه الشريعة وهذا القانون — فكيف لا يكون علم السلوكيات أو آداب المهنة هو أساس العلوم الطبية عندنا، وأن نجاهر بتسميته «آداب المهنة من خلال تعاليم الإسلام» ؟

نعم لقد نالت هذه المادة في برنامج كليتنا الناشئة حظًا أوفر، وَوُضِعت في المناهج على مدى سنوات الدراسة، ونرجو أن تسير في طريق الإسلام حقًا، وأن تترجم المناهج أفعالاً، فتؤتي ثمرها، وتكون للمرضى رحمة إن شاء الله.

وإن إنجاح هذه المادة — كما هو الحال في سائر المواد — لا يكون بالتلقين، ولا يكون بحفظ آيات من القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم بلا وعي ولا إدراك ولا تفكر، بل يكون بترويض عقل الطالبة على إعمال الفكر، كما يكون بإعطاء القدوة لها، لأن ذلك سيكون ذا أثر بالغ في الطالبة إذا رأت أولاً هذه الصفات متمثلة في سلوكيات المدّرسات، وإذا لمستها في نفس مدّرستها وفي حياتها وفي معاملاتها مع المرضى.

لهذا تحرص الكلية — فيما تحرص أيضًا — على أن تكون هيئة التدريس على إسلام قوي، وعقيدة سليمة، وأن تكون على مستوى خُلقي رفيع وعلى تقوى وإيمان مظهرًا وسلوكًا: تؤدي المناسك كما أمر الله، وتتلطف مع الطالبات والمرضى كل من تتعامل معه، وتتفانى في العمل بجد وإخلاص ونشاط، ثم يأتي تركيز كل هذه المعاني بحفظ بعض من آي الذكر الحكيم، ومن أحاديث الرسول العظيم.

ولئن ذكرنا أمر السلوكيات والأخلاقيات الإسلامية فإن العقيدة أوْلى. فهي الأساس، فلن تكون السلوكيات نابعة من النفس والرقيب عليها من الداخل إلا إذا كان الإيمان بالله راسخًا فيها، وإن آيات الله الناطقة والدليل القاطع على وجوه سبحانه وعلى قدرته لتظهر جلية في هذا العلم الجليل، فالطب كله آيات ناصعات، ودلائل واضحات على هذا الوجود وهذه القدرة، وعلى الأستاذة أن تبذر هذه البذرة الصالحة في نفس الطالبة، وتعودها على الوقوف والتدبر والتفكر، عند كل ما ترى من آيات في تركيب الإنسان الظاهر والخفي، والكبير والدقيق وفيما يؤديه هذا المُركب على مستوى العضو الكبير المنظور أو على مستوى الخلية الصغيرة التي لا ترى إلا بالمجهر، أو على مستوى دقائق الظواهر العلمية من كيماوية وكهربائية وفيزيائية في كل الوجود وقادر بلا حدود... نعم على الأستاذة المسلمة أن تُنَمّي في تلميذتها عادة التفكير والتأمل في خلق الله وفي صُنع الله كما أمر الله. **•إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب•** [سورة آل عمران]، **•أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت•** [سورة الغاشية]، **•إن الله لا**

يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها• [سورة البقرة]، •وفي أنفسكم أفلا تبصرون• [سورة الذاريات].

إن هذا اللون من العلوم مملوء بالآيات الظاهرات التي تُرَسِّخ مفاهيم الإيمان، وتشحذ الهمم للعمل الجاد الصادق، وتُضْفِي على القلب والنفس سكينة التسليم والتبجيل بما لا يدع مجالاً لسخط أو يأس، أو غرور أو تكبّر، أو كلل أو ملل ومما ييسر الأمر على الطابة طوال سنين تعلم هذا الفرع.

إن الطالبة المسلمة الراسخة الإيمان سوف تتعود بالتوجيه من أستاذتها وبقدوة منها أن تلبّي أمر الرسول وتوجيهات الرسول في ألا تبدأ أي عمل إلا باسم الله، وألا تطلب المعونة إلا من الله، فإذا أقدمت على فحص مريض أو إجراء عملية جراحية أو استعمال أي من أدوات الإسعاف... الخ لمريضها فسوف تفعل ذلك بقلب مطمئن ونفس متفائلة بالعون والتوفيق بعد ذكر اسم الله «ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه» الحديث القدسي.

كل هذه المعاني لابد أن تكون في برامج الدراسة الطبية والمناهج الطبية لا بالتلقين الذي هو وسيلة غير المؤمن من الأساتذة والمحاضرين بل بشكل حي ما دام الضمير الحي يستولي على مشاعر الأستاذة والإيمان بالله تنطق به أفعالها وسلوكياتها وأقوالها.

والحديث يطول في هذا الباب التربوي الهام للطبيبة المسلمة ويكفي في هذا المجال أن نركز على لزوم الجانب التطبيقي والقدوة والممارسة لا على الأقوال ونركز كذلك على أن تكون أفعالنا مطابقة لما نقول وما نَعْلَم وما نُعَلِّمْ.

نبـــذة عن تاريخ التعليم الطـــبي

يمكن القول بأن الحاجة إلى التطبيب وإلى بعض المعلومات الطبية اللازمة للمحافظة على الصحة والعلاج والتخفيف من الآلام بدأت منذ نشأة الإنسان الأول، وفي تاريخ العصور القديمة ما يدل على ذلك، كتاريخ قدماء المصريين أو الدولة الرومانية أو البيزنطية.

ولكننا نستطيع القول بأن نشأة الطب كفن وتعليمه كعلم يرجع إلى عهد الحضارة الإسلامية والمسلمين الأول وذلك منذ أكثر من ألف سنة، حيث كانت تنتشر دور العلم والمكتبات القديمة

في بغداد ثم في القاهرة والإسكندرية، وإن تاريخ الأزهر الشريف يشهد بأنه يرجع إلى أكثر من ألف عام فلقد كان منارًا للعلم والتعلم في شتى فنون العلم، وقد جدَّد حديثًا فدخل التعليم الطبي في جامعته الشهيرة.

وفي أوروبا ترجع جذور النهضة العلمية بما فيها العلوم الطبية إلى (الأندلس) وإلى مراكز العلم الإسلامية والعلماء المسلمين إبان النهضة العلمية الإسلامية، فمدرسة الطب ساليرنو في 1096م ومن بعدها مدارس أخرى في مونبيلييه وباريس وبادوا وليدن كلها تدين للنهضة العلمية في أندلسيا المسلمة التي استقى منها الأوروبيون وأخذوا مبادئ التعليم وأسسه عنها، أما في إنجلترا فإن أول مدرسة لتعليم الطب كانت بأدنبرا منذ حوالي مائتين وخمسين سنة، ثم انتشرت بعد ذلك معاهد كثيرة وكليات أخرى للتعليم الطبي في إنجلترا وفي العالم الحديث والقديم.

إلا إنه بالرغم من النهضة العلمية الحديثة التي حدثت في أوروبا وبلاد الغرب ظل التعليم الطبي جامدًا بلا تغيير ولا تبديل، وظل هذا الجمود سائدًا، والجامعات تخاف أي تغيير بحجة المحافظ على المستوى العلمي فيها وحفاظًا على سمعتها وشهرتها حتى سنوات قريبة، وكان الطبيب حديث التخرج يواجه مسئولية كبيرة لم يستعد لها، فقد نظَّمت هذه الكليات برامجها لتؤهل الطبيب حديث التخرج لأن يكون طبيبًا باطنيًا، وجراحًا ومولدًا في نفس الوقت، وذلك عن طريق تمضية سنين طوالاً في دراسة نظرية فيها ما فيها من تكديس العلم في عقول الطلبة الجامعة والعاجزة عن أي تفكير أو تأمل وبدون أية تجربة أو تدريب حي.

التعليم الطبي بين الماضي والحاضر

نواحي القصور في الأساليب والمناهج القديمة:

يمكن أن نلخص القصور في أسلوب تعليم الطب التقليدي القديم فيما يلي:

1 - ازدحام المقررات الدراسية بالمحاضرات التقليدية بما ينفع وما لا ينفع طالب الطب في هذه المرحلة التحضيرية.

فاختيار المقرر المناسب للوقت والمرحلة التي يمر فيها الطالب والذي يتفق مع الغرض والهدف أساس لا يستقيم البنيان بدونه، وإن التطويل الممل والحشو الضار بالاستيعاب والهضم يعتبر إثمًا لا يغتفر لهذه التقاليد العتيدة.

2 – طول مدة الدراسة مما يسبب إعياء الطالب وفقده للحماس الذي أقبل به على هذا الفن الممتع الجميل، ويبدأ الطبيب الممارسة في سن متقدمة بعد إتمام الدراسة، وقد ضعفت ظواهر حب الاستطلاع والرغبة في الجديد والاستكشاف، وإعمال العقل والتفكير في كل مفيد، والاستعداد الطيب لتحمل المسئولية، والبذل والعطاء بنشاط – وكلها سمات للشباب- بجانب ما يخسره المجتمع من سنين عمل وعطاء تفيده وتستجيب لمطالبه.

3 – استخدام أسلوب التلقين البغيض، وكأن الطالب وعاء لتجميع معلومات، وقد أفقده هذا الأسلوب القدرة على التفكير والثقة في نفسه وفي ذكائه وقدراته مما جعله يتراجع عن أي تساؤلات أو استكشافات، وكان كل همه هو استيفاء ما يتعلمه، وتخزين ما يتلقاه من معلومات، ومما لابد أن يحفظه عن ظاهر قلب ليوم الامتحان.

4 – نظام الامتحانات وكثرة الامتحانات التي أصبحت شبحًا مخيفًا وعبئًا ثقيلاً، تفرض على الطالب أن يفرغ فيها ما حفظ، ويريح جوفه بعد تفريغ ما أعياه.

5 – معظم الأساتذة وخصوصًا أساتذة العلوم الأساسية في سني الدراسة التحضيرية كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أساتذة جامعيون، يقاسون باتساع علمهم وقدراتهم على الأبحاث العلمية والعلوم البحتة، ناسين أن علم الطب هو علم الإنسان، وأن الغاية هي التعامل مع إنسان مريض، وأنه لا يُعِد أستاذًا باحثًا، ولكنه يُجهز طبيبًا عاملاً، مما شكك الطالب فيما يدرس وفي أي علاقة له بالهدف الأساسي الذي يصبو إليه.

6 – ولقد سببت العلوم الأساسية ببُعدها عن الهدف نوعًا من التفكك، فأصبح لكل مادة قسم خاص بعيد كل البُعد عن الآخر وأصبح كل أستاذ في عالمه الخاص، قسم الكيمياء، قسم الفسيولوجيا، قسم التشريح... وهكذا أصبح الطالب في غموض وجهل بأي صلة تربط هذه العلوم بعضها ببعض أو تربطها بالهدف الأساسي من تعليم الطب.

7 – كان الغالب في تعليم أي مادة الناحية النظرية – المحاضرات وكتابة المذكرات بعيدًا عن أي مادة حية، أو تجربة عملية أو وسائل إيضاحية جذابة، أو معايشة مع الواقع الذي سيعيش فيه

الطالب مع مريضه... مما زاد في صعوبة هضم العلم وجعل الطالب في يأس يكاد أن يحطمه ويذهب به وبآماله.

8 - لم يتعود الطالب المسكين في يوم من أيام دراسته أن يُعمل فكره ويتذوق حلاوة حل مشكلة، أو الكشف عن حقيقة، أو حتى حرية إبداء رأي، حتى شعر أنه شيء مهمل ضعيف، بلا قدرات ولا قيمة أو شأن في دنياه التي يعيشها طوال مرحلة الدراسة.

9 - كان الانفصال ما بين الإكلينيكي واللاإكلينيكي أَمَرّ وأدهى، والانفصال بين كل ما يُلَقَّن من علوم أساسية وبين المرحلة الإكلينيكية يكاد يكون انفصامًا كاملاً.

10 - كان الأمر في الدول النامية أشد وطأة، فالأمراض أكثر انتشارًا، وتزايد السكان أكثر سرعة، والحاجة إلى الطبيب المعالج أكبر وأكثر إلحاحًا، والثورة العلمية وفتح باب التعليم وكثرة أعداد المتقدمين للجامعة مع قصور في أي فرص متاحة من أساتذة ومعامل — كل ذلك أدَّى إلى تزاحم فوق المعقول في حجرات المحاضرات والمعامل والمشرح مما ينـزل بمستوى أي تعليم متـــاح.

11 - في كل هذه المتاهات ضاعت أي فرصة لأي علاقة بين الطالب وأستاذه ولم تعد فكرة الأستاذ الرائد والأب المُوَجِّه والناصح حقيقة مُستَطاعَة بأي حال.

12 - أخيرًا كما أشرنا من قبل بأن المناهج والأسلوب لم يتصفا بأي شيء من المرونة ولم يكن هناك أي استعداد للمناقشة فيهما بغية التعديل والإصلاح، وكأنما كان كتابًا سماويًا يخشى عليه من عبث الإنسان، كذلك لم يكن هناك أي متسع ولا استعداد لإدخال أي جديد من العلوم المستحدثة، بل كانت المناهج بعيدة عن كل تقدم وجديد في العلم الذي كان يقفز قفزًا، ويشاهد كل يوم شيئًا جديدًا له قيمته في إعداد الطبيب.

كان لابد إذن من ثورة وتغيير كما أشرنا من قبل، وكما سنذكر في تاريخ الطب وتعليم الطب بين الماضي والحاضر، كان لابد من تحديد الهدف من البرامج الدراسية في إعداد الطبيب الناشئ.

وبعد هذا العرض السريع لمساوئ البرامج القديمة نستطيع أن نعرض الأهداف ونقاط التطور التي لعبت دورًا هامًا على مسرح الطب الحديث.

ما الهدف الأساسي من التعليم الطبي؟

الهدف بلا شك هو تخريج طبيب إنسان له شمائل متميزة كالرحمة، وتقدير المسئولية، والإحسان في العمل، والبذل والعطاء الذي قد يصل إلى التضحية، وأن يكون له رصيد من المادة العلمية اللازمة، تكوّن قاعدة عريضة، ومعلومات عامة لكنها غير متعمقة، فنحن لا نعد عالمًا أو باحثًا كما هو الحال في الكليات الجامعية الأخرى، بل إننا نُعِد دارسًا له علم بمعلومات أساسية، قد تعود على إعمال عقله للاستفادة مما تعلم في أقصى الحدود، وأن يستطيع من خلال ما تعلم أن يحل ما يعرض له من مشاكل. وبهذه المواهب سوف يستطيع أن يعامل المريض — الذي هو الهدف النهائي- المعاملة الصحيحة وأن يوجهه التوجيه الرشيد. إن المطلوب من الطبيب الناشئ أن يريح مريضه، وأن يَفْهم مريضه، وأن يؤدي الفحص عليه أداءً صحيحًا، وأن يأخذ تاريخ المرض، ويتعرف على ظروف المريض الاجتماعية والنفسية (السيكولوجية) وأن يحسن تحليل النتائج التي حصل عليها، حتى يقدم التشخيص السليم، ويعطي العلاج الشافي، أو يطلب الفحوص اللازمة، أو يوجه المريض التوجيه الرشيد، [لمن يستطيع أن يشخص ويعالج...الخ] وليس المطلوب أن يعرف كل جديد، وأن يشخص كل مرض، لكن المطلوب أن يكون على المستوى اللائق خلقًا وذكاء وتفكيرًا وعملاً ونشاطًا وتوجيهًا، وألا يقصر في شيء من كل هذا.

وبعد ما تبين الهدف من التعليم الطبي الأوّلي والذي بات واضحًا لا خلاف عليه، نستطيع أن نقدم عرضًا سريعًا لمتطلبات ومقترحات سبل الإصلاح من خلال ما سبق عرضه من قصور وعيوب في المناهج القديمة.

سبل التطوير في سبيل إنجاح التعليم الطبي

حسن اختيار الطلبة الجدد قبل قبولهم للدراسة. لابد أن يكون الطالب على مستوى عالٍ من الذكاء، والاتجاه العام للمقبول هو تقدير شهادة الثانوي العامة، مع تقييم لشخصيته واستعداداته وصحته العامة ولياقته عمومًا عن طريق عمل مقابلة شخصية، وتقدير مدى تحمسه للدراسة الطبية.

إعداد المكان والقاعات الصحية المطلوبة من حجرات دراسة وقاعة محاضرات ومعامل مجهزة ومشرحة والمكتبة والوسائل التعليمية والمستشفى التعليمي ومتحف باثولوجي وغرف فحص وتحضير المرضى وغرف الأشعة، لتكون مستعدة لاستيعاب عدد من الأطباء... الخ من التجهيزات.

- مراجعة المناهج للعلوم المختلفة وتبسيطها وتطويرها، وتجنب الحشو الذي لا يفيد طالب الطب، وإعداد المذكرات والكتب والمراجع اللازمة.
- **الحد أو التقليل من سني الدراسة** الأساسية قبل الحصول على الدرجة العلمية، وكذلك الامتحانات التحريرية والنظرية.
- **إضافة بعض مواد أو علوم جديدة** أو إضافة جديدة للعلوم الأساسية القديمة بما يمليه التقدم والنهضة العلمية الحديثة.
- ربط العلوم الأساسية المختلفة بعضها ببعض، ثم ربطها بالعلوم الإكلينيكية، وكسر الحواجز بين بعضها بعضًا، حتى تنكشف العلاقة بين التعليم وتحقيق الهدف المطلوب.
- العمل على تعويد الطالب على إعمال الفكر والتفهم والهضم، والاستنتاج والملاحظات الدقيقة، وإيجاد الحل لما يعرض من بعض مشكلات أو صعوبات سواء في التشخيص أو العلاج، وأن تتحقق له الشجاعة الكافية في إبداء الرأي والتساؤل عن كل غامض.
- الاستعانة بوسائل الإيضاح والشرائح والأشرطة والفيديو والنماذج الصناعية من البلاستيك وخلافه والرسومات والأطالس إلى غير ذلك مما يُسّهل الفهم، ويساعد على تثبيت المعلومات.
- الإكثار من المناقشات في مجاميع صغيرة مما يساعد على تقييم مستمر للطالب ولتفهمه للغامض عليه، ولتكون وسيلة مراجعة مستمرة مما يفيد في تثبيت المعلومات.
- الحد من الامتحانات العرفية والتي لا تمت للأسلوب العلمي الصحيح في تقييم الطالب أو إفادته بل تكون عبئًا وتعطيلاً للتحصيل.
- اتخاذ ما نسميه ملازمة المرضى والمستشفى (clinical attachment) وهو تعبير ينم عن أن الطالب أصبح ملازمًا لمستشفى وعن أن التحصيل أصبح عن طريق العمل الإكلينيكي والدراسة بجوار المريض، كما ينم عن أن المادة التعليمية أصبحت بعيدة عن الخيال النظري،

وأصبحت حية على المريض نفسه في مستشفى تعليمي ويعمل الطالب مع عدد صغير من 2-4 من زملائه في وحدة خاصة في المستشفى مع الطبيب أو الأطباء المسئولين عن القسم.

ويشعر بأنه واحد منهم ومسئول معهم عن المريض، على أن يراجع عمله طبيب القسم الذي يتولى إرشاده إن لزم الأمر، وكذلك يحضر الطالب أيضًا مع الأستاذ الزيارات الخاصة على المرضى ويشترك بالمناقشات ويطرح ما يشاء من أسئلة...الخ.

ويقوم الطالب كذلك باستقبال المريض وفحصه وطلب الأبحاث والتحاليل اللازمة له وتشخيصه وعلاجه، كما يحضر الاجتماعات العلمية العامة بالمستشفى التي تعرض فيها الحالات الإكلينيكية، ونستعرض من كل الوجوه، ثم تناقش نتائج الفحوص والتشخيص في ضوء هذه النتائج، مما يكون له أثر عميق في نفس الطالب وقدراته على الاستنتاج والتشخيص، وكذلك يحضر المشرحة ويستمع لعرض نتائج تشريح جثث الوفيات من المرضى في ضوء المعلومات الإكلينيكية التي أخذت لهم في المستشفى، كل هذا يكسبه الكثير من التدريب العملي والكفاءات العالية وتعتبر هذه الدراسة الإكلينيكية على المرضى من خير مستحدثات التطوير في عالم التعليم الطبي، وقد أثبتت إلى حد كبير فائدتها، وانتشرت في الكليات الحديثة، وفي الكليات القديمة المتطورة على نطاق واسع، حيث يمضي الطالب سني التعليم الإكلينيكي في المستشفى كل الوقت، ولا يوجد في الكلية لتلقي المحاضرات سوى ساعتين أو ثلاث في الأسبوع، وانتشر تبعًا لذلك التعليم الذاتي أي (Self Learning) الذي ثبت أنه أكثر نفعًا من التلقين عن طريق المحاضرات التقليدية.

يجرى التعليم أيضًا بواساطة الأساتذة في العيادات الخارجية، وفي زيارات ومرورات حول الأسرة.

بعد هذا العرض السريع للوسائل المقترحة والتي يمارس الكثير منها في الكليات الحديثة والكليات المتطورة نرى من اللازم التعرض لمشكلة اختصار مدة الدراسة، إذ قد يتسبب ذلك في مشكلة تكديس المناهج خصوصًا كما أسلفنا أن المناهج الحديثة قد شملت بعض علوم جديدة لم تكن تدرس من قبل مثل الصحة العامة والصحة الوقائية التي كانت تدرس في المرحلة الإكلينيكية فقط، وأصبحت تشغل حديثًا كل المراحل، والصحة النفسية وآداب المهنة التي لم

تلعب دورًا في التعليم الطبي في القديم، وكذلك إدخال الكثير من المستحدثات في الكيمياء، ودراسة علم الوراثـــة.

وإننا لنرى أن بعض ذوي الرأي أغفل اختصار الدراسة في التطور الحديث، ونجد المجلس الطبي بإنجلترا قد أكّد حديثًا عام 1957م على ضرورة تبسيط مناهج التعليم الطبي وعدم تكديسها في حين أكد على ألا تقل مدة الدراسة عن خمسة أعوام إلى أن يستقر الأمر للمناهج والأساليب الحديثة وتكتسب منها الخبرات.

السياسة التعليمية بكلية دبي الطبية للبنات

وضعت السياسة التعليمية وأساليب الدراسة والمقررات والمادة العلمية عمومًا في ضوء ما عمل من دراسات في مناهج التعليم الطبي قديمه وحديثه، وفي ضوء ما ظهر من عيوب في النظم التعليمية القديمة، ومن خلال ما طرح من نقاط في التطوير والتحسين، وما لمسناه كطلبة وأساتذة في الماضي البعيد، والحاضر القريب.

ويمكن عرض الهيكل العام لهذه السياسة بعد أن تم الاتفاق عليه مع مؤسس الكلية الحاج سعيد آل لوتاه وبعض رجال الفكر فيما يلي:

اختصار فترة دراسة العلوم الأساسية في سني الدراسة الأولى (ما قبل الإكلينيكي) عن طريق تعديل البرامج وتبسيطها وحذف ما رأيناه غير أساسي لطاب الطب في المرحلة الأولى من دراسته وغير ضروري في المراحل التعليمية القادمة، أو ما بعد إتمام الدراسة للطبيب الناشئ أو الطبيب العام، وقصارى القول أننا حاولنا أن نتخلص من أي حشو مُعّوق يطيل الدراسة من حيث المدة من غير كسب أو فائدة.

هذا وقد راعينا ألا تقل عدد الساعات التي خصصت للمواد الأساسية عن نظائرها في الكليات الحديثة، بل قد زادت أحيانًا، إذ زادت ساعات المناقشات والدروس العملية والإيضاح بجانب إضافة بعض المواد الحديثة اللازمة لطالب الطب، أما كيف وفقنا بين الحد من سني التعليم الطبي حتى جعلناه أربع سنوات بدلاً من ست سنوات أو أكثر في النظام القديم، وعن خمس سنوات في بعض النظم والكليات الحديثة، فسوف نعرض لذلك في نقاش أوسع في باب خاص، وكل ما نرجوه من هذا التطور والاختصار في سني الدراسة أن نحفظ على الطبيب الحديث

التخرج شبابه وحماسه وتطلعاته وقدرات التفكير والتحليل مما سوف يضاعف عطاءه وإنتاجه إن شاء الله.

لم يحدث التغيير في صلب المادة العلمية والمقررات العلمية فحسب بل شمل أسلوب العطاء، فبعد أن كان الطالب وعاء لتلقي معلومات نظرية محتشدة، لا يعطى له فيها فرصة أي تفكر أو تساؤل – أصبحت الدراسة أكثر إمتاعًا، والعلم أكثر وضوحًا، وفرصة إعمال الفكر والتساؤلات البناءة والنقاش الحر مفتوحة أمام الطالب، وقد استخدمت الوسائل الإيضاحية الحديثة من شرائح وشرائط إلى فيديو إلى دروس عملية توضح وتساعد على الفهم والتحصيل، إلى متاحف ومعارض، هذا في خلال دراسة العلوم الأساسية، أما في خلال الدراسة الإكلينيكية فالنية متجهة لأن تكون الدراسة حية على المريض وبجانب المريض ومن خلال الكشف وتحصيل المعلومات، ثم إجراء الفحوص المعملية والسريرية، ثم الاستنباط وإعمال الفكر في التشخيص السليم ووصف العلاج المناسب، كل ذلك سوف يجري في المستشفى التعليمي حيث يعمل الطالب مع مجموعة صغيرة من الطلبة وضمن وحدة إكلينيكية يشعر الطالب فيها أنه عضو عامل لا دخيل ولا زائر، بل ستكون أعماله تحت ملاحظة أستاذه أو المشرف عليه الذي يوجهه، والذي يكون مرجعًا يرجع إليه، ويسترشد به كلما دعت الضرورة لذلك، وهذه الفترة سوف تشغل عامين كاملين كما كانت أحيانًا قبل التطوير، وكما هو جار حديثًا في أكثر الكليات المتطورة، لكن اختلف المنهج والأسلوب عن الماضي الذي كان مليئًا بالمحاضرات النظرية والمعلومات المكدسة، وسوف يمضي الطالب بإذن الله كل وقته في المستشفى، ولا يذهب للكلية لتلقي المحاضرات النظرية سوى ساعتين في الأسبوع، وسوف يأخذ الدوريات الليلية، ويتلقى المرضى في الحوادث وحالات الولادة، وسيكون التعليم بجانب المريض وعلى المريض في مرورات على المرضى في القسم الداخلي أو على المرضى بالعيادة الخارجية، وسوف يحضر الطالب الاجتماعات العلمية التي تعرض فيها الحالات. تاريخ الحالة ونتائج الكشف الطبي والفحوص الطبية والمناقشات، ويسمع آراء ذوي الخبرة، ويشترك في النقاش وتوجيه الأسئلة... الخ، مما يوسع آفاق التفكير ويزكي ملكة التفكر والاستنتاج، ويشعل روح الرغبة في الدراسة والتحصيل، ويفتح الباب لما نسميه التعليم الذاتي والذي حل إلى حد كبير مكان التحصيل العرفي عن طريق المحاضرات التقليدية العتيدة.

وكذلك يحضر الطالب المشرحة التي تُشَرَّح فيها جثث المرضى من المستشفى، ويعرض فيها تاريخ المريض بالكامل ثم يرى بعينيه التغييرات المرضية في الجثة ويصل إلى التشخيص السليم، كل

ذلك يُنَمِّي فيه كما قدمنا ملكة إعمال الفكر والقدرة على الاستنتاج السليم وحب الاطلاع والتعليم الذاتي، ولقد ثبت بالفعل فائدة هذا الأسلوب التعليمي وسلّم به الجميع وأقروا أفضليته عن أسلوب التعليم التقليدي.

انعزال الأقسام التعليمية القديمة في مرحلة التعليم الأساسي قضى عليه إلى حد كبير، وأصبح قسم التشريح والهستولوجي والفسيولوجي وعلم الأجنة والكيمياء كلها تعمل جنبًا إلى جنب وتفيد المادة العلمية بجتمعة مع بعضها بعضًا، مما أوضح للطالب وحدة الهدف وشده إليه ، وكذلك حدث الربط بين مرحلة التعليم الأساسي والتعليم الإكلينيكي الذي أدخل من أول المراحل جنبًا إلى جنب مع علم الأمراض (Pathology)وعلم البكتريا والأدوية (Pharmacology) بل أصبح الشطر الأكبر من هذه العلوم يدرس كعلوم تطبيقية... يعيها الطالب عن اقتناع، ولا يراها جافة غير هادفة ثقيلة على نفسه.

هذه سياستنا أو فلسفتنا في التدريس والإعداد نرجو أن تؤتي أُكُلها بإذن ربها وعلى الله التيسير.

توخينا اختيار المدرس الكفء علميًا وخلقيًا بأن يكون مثلاً وقدوة، ويحسن العرض والتفهيم، ويكون متفهمًا للسياسة والفلسفة التعليمية للكلية، حتى يسهم عن اقتناع ويعمل بإخلاص ونشاط واستمتاع.

راعينا واهتممنا بل وركزنا على الناحية الوقائيـــة :

دأب الطبيب في الماضي القديم والقريب على الناحية العلاجية للمريض، وعلى أن يكون شغله الشاغل الكشف الطبي وكتابة العلاج، دون أن يفي الناحية الوقائية حقها، أو يلم بأسسها، ويحاول تعميق مفهومها وأساليبها لمريضه ويروضه على أن كل ما يبذل في سبيل اتقاء المرض أساسًا خير من ألف علاج للمريض. ونرجو أن نبرز هذا المفهوم وندعم هذا النوع من التعليم الطبي في مناهجنا وقد جعلناه كما جعلته أكثر الكليات المتطورة الحديثة مادة أساسية تدرس على طول سني الدراسة، وتنال حقها من الناحية العملية والممارسة، والقرآن الكريم خير معلم في هذا الأفق وأكثر ما فيه من أوامر وتوجيهات وتشريعات هي من أجل الوقاية من كثير من أمراض النفس والجسد ومن مشكلات الحياة.

فسحنا المجال في مناهجنا لمادة التربية والسلوكيات ولما أسميناه آداب المهنة من خلال المنهج الإسلامي وتعاليمه، وقد قرنّا هذه المادة بما أسميناه العقيدة وأسماه غيرنا الأديان، فالعقيدة الراسخة في الله تعالى كما علمنا الإسلام هي أساس المعاملات والآداب وفضائل الأخلاق كما أسلفنا في مقدمة الكتاب، والعقيدة في الإسلام ليست كلمة بل هي إيمان راسخ وصادق، ويؤثر على جميع الأعمال والعلاقات والمعاملات.

حاولنا أن يكون الاتصال بأمراض البيئة ومشكلاتها في الدول النامية وثيقًا، وأعطينا علم الطفيليات اهتمامًا أكثر مما يلقاه في العالم الغربي، وألقينا ضوءًا أكبر على أمراض سوء التغذية وإسهال الأطفال والحميات وغيرها من الأمراض الأكثر انتشارًا في بيئتنا، كما ركزنا في المناهج على التثقيف الصحي على كل المستويات وهو عامل أساسي في الصحة الوقائية.

راعينا الحد من عدد الطلبة ما أمكن ذلك مما يفيد في الفهم والتحصيل، ومما يسهل مهمة الطالب والمدرس على السواء، فأصبح التعليم في المراحل الأولى (العلوم الأساسية) بحيث لا يزيد العدد في القاعة عن أربع وعشرين فتاة، ونظمنا الفصول الدراسية والمعامل على هذا الأساس، وسوف تقسم هذه المجموعات إلى مجموعات أصغر في مرحلة التعليم الإكلينيكي في المستشفيات في السنوات الإكلينيكية القادمة.

كذلك جعلنا كل طالبتين تتلازمان ما أمكن في الدرس في داخل الكلية وإن أمكن خارج الكلية، وفي التعاون سواء في الناحية العلمية فَتُعَلِّم الواحدة الأخرى أو في نواحي أخرى اجتماعية وصحية وشخصية.

كذا نحاول جاهدين الربط بين الطالبة والمدرّسة ونرجو أن نوفق في نظام الريادة حيث يكون لكل مجموعة صغيرة من الطالبات رائدة من هيئة التدريس، تكون لها بمثابة الأم الموجهة والناصحة ومثلاً وقدوة ومعينة في شتى الآفاق سواء في الأمور التعليمية أو غيرها من أمور الحياة، ونرجو أن تنجح المدرّسة الصالحة في تعمق ضرورة الإيمان، والارتباط الوثيق بالخالق القادر العليم الرحيم المعين، فما أشد حاجة الفتاة في هذه السن وفي هذه الظروف من سني حياتها لمثل هذا الإيمان.

راعينا ألا يكون الامتحان شبحًا مخيفًا ولا عبئًا ثقيلاً على الطالبة، بل على العكس هو فرصة لتثبيت المعلومات، ولكي تُقَيِّم الطالبة نفسها، كما يقيمها أساتذتها.

وزعنا الدراسة على فترات تستغرق الفترة اثني عشر أسبوعًا منها عشرة أسابيع تعلم ونشاط مدرسي، ثم مراجعة وتقييم، يعقبها أسبوعان راحة وإجازة، وبهذا لا يحدث إجهاد مضن متواصل، ولا تُعْطى، إجازات طويلة تَفْتُر فيها الهمم، وتنسى الطالبة العلم والتعلم، كما جعلنا الدراسة اليومية صباحية ومسائية، وتتخللها فترة ليست بالقصيرة ترتاح فيها الطالبة وتأكل وتؤدي الصلاة، وربما تستمتع بساعة من النوم تعوضها في المساء، أو تستذكر وتقرأ وتراجع خلالها، وهذا النظام مُسْتَمَد من يوم المسلم كما قسمته المناسك والعبادات وَرَبّى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام، ولقد ساعد نظام الفترات التعليمية والإجازات غير الطويلة على توفير الساعات الكافية لتغطية متطلبات المناهج بجانب خفض سني الدراسة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ونود أن نقف هنا لنقارن نظامنا بالنظام الذي اتبعته كلية طب ليستر وكلية طب نوتنجهام وهما الكليتان اللتان وقع الاختيار عليهما لإقامة علاقات دائمة في تبادل الأساتذة والممتحنين، وفي التدريب أو الدراسات الإكلينيكية للطالبة في الخارج، أما ليستر فقد حددت مدة دراسة الطب بخمس سنوات فقط، وجعلت العلوم الأساسية في الثلاث سنوات الأولى منها، وكما أسلفنا لم تختلف مناهج علوم التشريح والفسيولوجيا والكيمياء وهي العلوم الكبيرة والتي وزعت على عامين دراسيين من مناهجنا، ولم تعد حظًا أوفر من الساعات، ونحن نعتقد أن في برنامج ليستر وقت فراغ يتسع لساعات من الدراسة النافعة خصوصًا إذا لاحظنا أن علم الأمراض (الباثولوجي العام وعلوم البكتريولوجي والفارماكولوجي) لم تشغل إلا حوالي خمسة عشر أسبوعًا من العام الثالث، في حين استطعنا أن نوفر لها في مناهجنا حوالي عشرين أسبوعًا في الشطر الأول من العام الثاني لدراسة العلوم الأساسية ثم عشرين أسبوعًا أخرى علوم أساسية تطبيقية بجانب العلوم الإكلينيكية في الشطر الثاني من نفس العام، هذا مع استمرارية تدريس هذه العلوم الأساسية، وبالأخص علم الأمراض خلال السنوات الإكلينيكية في الدراسات النظرية (المحاضرات وعند عرض نتائج تشريح مرضى المستشفى).

وكذلك بالمقارنة مع كلية طب نوتنجهام اتضح أن العلوم الأساسية كلها قد شغلت العامين الأولين، وأنها أجازت للطالب الذي يجتاز اختبارات العامين الإكلينيكيين الحصول على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة، أي بعد أربع سنوات فقط من بدأ الدراسة، إلا أنها أرجأت تسليمه الدرجة إلى حين إنهاء سنة تدريب وعمل، واكتفت في هذه السنة الأخيرة بحسن الأداء

ورأي الأستاذ المشرف دون حاجة إلى امتحان تحريري آخر، وكأنها قد أرادت هذا التحفظ لتجعل دراسة الطب خمس سنوات تمشيًا مع تعليمات المجلس الطبي العام في بريطانيا.

من هذا العرض نجد أن كلية دبي الطبية في اختصارها لمدة الدراسة لأربع سنوات ما زالت متمشية مع التطور الحديث ومع ما حددته أولى الكليات المتطورة في إنجلترا (كلية طب نوتنجهام) وكذلك نجد أنها خصصت سنة تدريب بعد ذلك أسوة بالكلية المذكورة.

حرصت الكلية على دعوة أساتذة وممتحنين من الخارج من الكليات التي تسير على مناهج مشابهة أو مطابقة لها حتى تتيح للطالب فرصة التدريب بعد تأهيلها لدرجة البكالوريوس والجراحة في الخارج في هذه الكليات، وكذلك لتمكينها إن أرادت من إجراء الدراسات العليا التخصصية في هذه الكليات بعد إنجاز عام التدريب.

بهذا نكون قد أعددنا لدراسة ناجحة هادفة تتيح للطالبة ممارسة العمل في وطنها، كما تتيح لها بعد التخرج أن تعمل الدراسات التخصصية في أشهر الجامعات والكليات الحديثة المتطورة.

محاضرة ألقتها أ. د. زهيرة حافظ عابدين استاذ طب الأطفال بجامعة القاهرة بكلية البنات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ضمن الموسم الثقافي – جمادى الأول 1397

رحلاتي حول العالم ... وماذا تعلمت منها

أوصيكم يا أبنائي

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا...

أخواتي وبناتي العزيزات.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أبدأ بعد ذكر الله تعالى بشكر جامعة الملك عبد العزيز قسم الطالبات أن شرفتني بهذه الدعوة الكريمة، وأتاحت لي الفرصة للقائي معكن ضيفات وأستاذات فاضلات ومع بناتي الطالبات العزيزات. وأود أن أهمس إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة رسمية علي خليل بأن ما قدمتني به كثير، وإن ما بي من نعمة فمن الله تعالى.. وأما تشريفها لي في الواقع فقد كان لأخت لها مسلمة تقصد منه قبل كل شيء إعزاز الدين الحنيف وتشجيع الفتاة المسلمة للعلم والعمل في ظل دينها وإيمانها. ففي الواقع يا بناتي العزيزات أقر بأنني أنا بالذات لم أحقق ما حققت إلا بدافع من إيماني بالله يدفعني دفعًا ومن تعاليم ديني توجهني، ومن شحنة من حب لما يرضي الله سبحانه وتعالى تملأ نفسي، فلا فتور ولا يأس لأن الغاية كانت دائمًا ربي، وإظهار فضل الدين الحنيف فضل تراث الآباء والأجداد الذي غفلنا عنه في زماننا هذا فأصبنا بالهزال وغشينا الهوان بعد عزة وكرامة.

وموضوع اليوم كما اخترتموه هو بعض ما تجيش به نفسي من ذكريات، وما أفدت من دروس خلال رحلاتي شرقًا وغربًا. ففي الواقع إني قد أنجزت الكثير من الرحلات في بلاد كثيرة من العالم أذكر منها في الغرب: إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأمريكا اللاتينية.. وفي أوروبا: ألمانيا والنمسا وسويسرا واليونان وأسبانيا.. وفي الشرق: اليابان وإندونيسيا والهند وإيران والعراق وتركيا والشام.. وتنجانيقا وكينيا وأوغندا والسودان في أواسط إفريقيا – وكان الهدف من معظم هذه الرحلات هدف علمي طبي وصحي عادةً، واجتماعي أحيانًا – وفي بدء حياتي العملية كان الهدف للدراسات العليا والتدريب العملي في المستشفيات، وعمل البحوث العلمية..

ثم كانت رحلاتي بعد ذلك لإلقاء أبحاث في مؤتمرات علمية أو محاضرات تعليمية في بعض الجامعات أو لزيارة مستشفيات وأنشطة صحية ثم بعد ذلك لوضع برامج لمشاريع صحية... الخ. ولقد كنت دائمًا حريصة أن أقرن الجانب الطبي ببحوث استكشافية عن حال الإسلام والمسلمين من سكان هذه البلاد لا لمجرد العلم والمعرفة، بل أثار ما رأيت وما سمعت رغبة في عمل إيجابي هادف أو على الأقل استخلاص لما أرى من نقاط إيجابية فعالة يمكن أن تكون حلاً لبعض المشاكل أو لما تعانيه الفئة المسلمة في بعض هذه البلاد من تخلف أو غفلة لشأنها أو لظلم وقع عليها في بعض الأحيان. كنت أيضًا حريصة على تعرف أحوال الشعوب عمومًا واستكشاف أسباب أي نهضة علمية أو ازدهار حضاري خصوصًا في بلاد الغرب مما قد يكون أساسًا لبناء نهضتنا والارتفاع بشأن أوطاننا كانت هذه كلها خوالج تجتاح نفسي وأحاول ما استطعت وما سنحت لي الفرصة أن أحقق المتاح منها.

وأولى رحلاتي العلمية كانت عام 1946م إلى لندن بغرض إجراء دراسات عليا رغبة في الحصول على درجة العضوية الملكية من جامعة لندن.

وكانت تعطى بعد امتحان ليس باليسير إذ كان اجتيازها في الواقع بنسبة حوالي 10% من المتقدمين (أي للمتفوقين فقط) وذلك لتمييزها عما يعطى من درجات أخرى سواء في إنجلترا نفسها خارج لندن أو غيرها من العالم الغربي إذ كان المقصود هو إيجاد الاستشاري (لا أخصائي فقط) في الأمراض الباطنية والأطفال — كما أقول طبعًا كنت أحس بأن المسألة كبيرة وشاقة عليّ ولكن يا بناتي كنت دائمًا أرغب في جهاز يعز الإسلام والمسلمين.. شجعني على الذهاب إلى لندن على الدراسة وجود زوجي أيضًا في لندن في دراسة علمية للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة لندن، وهنا أود أن أقدم نصيحة عابرة ولكنها هامة ناتجة من خبرة وعلى يقين وأن أنصح بما ينصح به ديننا من أهمية مصاحبة الزوج أو المحرم في السفريات البعيدة لأن السفر عمومًا والسفر الطويل والاغتراب لسنوات في بلد غريب وخصوصًا في الغرب للشابة قد يكون له آثار كثيرة غير طيبة إن تواجدت الفتاة بدون زوجها وأسرتها. وإذا حدث رأينا الكثير ولقد رأيت بنفسي لآخرين فتيات وفتيان بعض الصدمات النفسية، ورأيت انحرافات كثيرة، رأيت شططًا كثيرًا في الآراء والانطباعات وفي السلوك رأيت من ينبهر بمظاهر خادعة دون إعمال فكر، ودون من يرشده ويطلعه على حقائق الأمور... والمسافرة خصوصًا والمسافر خصوصًا من الشباب يحتاج إلى توجيه سابق وإلى صحبة رشيدة واعية وإلا تعرض كل منهما لأذى كبير.

الانحرافات وبث الأفكار الخاطئة

وفي الحقيقة أقول هذا الكلام من واقع خبرة طويلة وتجربة ورؤية في الموقع لكثيرات وجدوا في ظروف مثل التي وجدنا فيها، وأرجو أن يكون لحديثي هذا أثر عملي في حياتكن.. إننا عندما نسافر إلى الغرب نتعرض لأمور خاطئة ويساعد على ذلك أن الغرب يقاسي فعلاً من انحرافات كثيرة ويعاني منها معاناة كبيرة.. فقد رأيت في بعض دراساتي الحقلية في إنجلترا مثلاً المعاناة الناتجة مما يمكن أن نسميه بالحرية الطائشة والتي أعطيت بلا حدود للفتى والفتاة وحدث أن هذا الأسلوب قد أطاح بكيان وحياة الكثير من شباب هذه البلاد، فلا كيان أسري بل تفتيت وتسيب أسري سببا ضياع الشاب والشابة وسببا بالطبع شقاء أبناء بلا آباء... والكلام في هذا يطول ولقد أردت فقط أن أضرب مثلاً عن مأساة الحرية الغاشمة والاختلاط الغريب بلا رقيب ورأيت المأساة أمامي مجسمة حينما شاهدت هؤلاء الشباب بعيني رأسي، ورأيت ما يبذل من مال وجهد فيما أعدّ خصيصًا لبعض هؤلاء النسوة الأشقياء، ورأيت ما يعانونه من ضياع ووحدة وكآبة.. رأيت مدن الأطفال الضائعين وما تتكلفه الدولة لتيسير الجو الشبيه بالجو الأسري لهم، وما يقاسيه هذا النشء من انعكاسات نفسية في حياته خصوصًا في سن المراهقة وحتى بعض النضوج. وكما قلت سابقًا أن الكلام في هذا يطول... ويكفي أن أقول أنني سمعت بأذني من القائمين على هذه المشاكل من يلعن في حنق ما يسمى بالحرية الزائدة ومن يتوق أن يرجع عهد الملكة فكتوريا من جديد.. يعني عودة إلى التقاليد الأسرية القديمة فاعتبروا يا أولي الألبـــاب...

إفساد الشباب العربي والمسلم خاصة

وبالإضافة إلى ما يجتاح أجواء الغرب من تسيب وانحرافات فإن هناك جهودًا منظمة وجادة يقوم بها جماعات خاصة وأحيانًا هيئات دولية معترف بها.. يقوم هؤلاء وهؤلاء بعمل منظم ذكي لإفساد الشباب العربي والمسلم بالذات، والدوافع لذلك عادةً سياسية ومادية وبعضها دينية متعصبة... إلى آخره إذ تتلقى هذه الجماعات شبابنا عن طريق إبداء الرغبة في المساعدة والتوجيه أو لغرض العطف والترفيه عنهم وعمل صداقات عائلية أو في نوادي خاصة كمل نوادي أصدقاء العرب أو نادي الصداقة الأوروبية العربية، أو نوادي الشباب... وتقام في هذه النوادي وغيرها

حفلات ترفيهية راقصة ويحدث التعارف بين الشباب الإنجليزي والعربي والإفريقي... ولقد حضرت مثل هذه الحفلات بنفسي ولكن كنت محصنة والحمد لله، وكنت أحضر لأرى وأدرس ولا خوف عليّ... ورأيت كيف تتم الصداقات وسط هذا الجو غير الصحي وغير النفسي وكيف يتم الإفساد بإفساد الشباب والشباب المسلم بالذات، حيث شرب الخمر وبث الأفكار الخاطئة عن دينه والزواج من الأجنبيات وهو بالطبع مكسب كبير للأغراض السياسية والمادية، إذ كثيرًا ما يصبح هذا الشاب بعد عودته إلى وطنه من القيادات الهامة في بلده فتحكم هذه الأجنبية البلد من الخلف وتحكم البقية الباقية من خطة الإفساد... ولقد بدأت حديثًا ظاهرة زواج المسلمة من غير المسلم وبذلك تفقد الفتاة شخصيتها المسلمة وأبناءها كمسلمين في كثير من الأحيان... ولا داعي أن أطيل أكثر من ذلك، إنما أردت فقط أن ألفت الأنظار إلى ما يحاك في الظلام وما لا تدرك مغبته إلا بعد فوات الأوان...

ضرورة إرسال المبعوثين متزوجين:

أريد أن تحرص الفتاة وأولياء الأمور وكذا الحكومات على أن تكون الدراسات العليا بالخارج بعد الزواج، وأن يكون عضو البعثة فتى أو فتاة محصنًا بالزواج ومصاحبًا للزوجة أو مصاحبة للزوج. ولا تزال كلمات أخي الدكتور مهدي وهو مصري الجنسية استوطن كندا هو وعائلته منذ سنوات، لا تزال كلماته ترن في أذني وهو يقول: أرجو أن تلفتوا أنظار الحكومات العربية والإسلامية أو على الأقل حكومتنا في مصر ألا ترسل مبعوثًا إلا ومعه زوجته، فالخسارة على الإسلام كبيرة وجد مفجعة. وكنت أنا والحمد لله كما قلت مع زوجي في أول زيارة لي بالغرب وكنت أيضًا قد ناهزت الثامنة والعشرين من العمر... ومع ذلك فقد طرق عليّ الباب من جهات أخرى.. ففي هذه الزيارة الأولى وما تلتها من زيارات كان هناك إغراء على المشاركة في أنسهم بتناول بعض الخمر، وكانت ردودي دائمًا متشابهة والحمد لله أنني كمسلمة مؤمنة لا أتعاطى الخمر لأنه رجس من عمل الشيطان.. فقد في حفل التكريم الذي أقيم في الكلية الطبية الملكية بلندن عندما منحت درجة الزمالة الفخرية كان حديثي بجرأة وصلابة وبلغة الطبيب الفقيه الواثق... وكان تساؤلاً مني أكثر منه إجابة لهم.. كان كل من حولي يحتسي الخمر وكعادتي طلبت عصير الفاكهة بدلاً من الخمر كما طلبت أن يكون طعامي من اللحم بدون الـــ Sauce الذي يضعونه فوقها لأنهم يمزجونه بالنبيذ أو الشمبانيا... ووجهت أنا السؤال إلى السكرتير العام

للجمعية وكان جالسًا بجواري وقلت أريد أن تصارحني برأيك الشخصي أيهما أفضل من الناحية المنطقية ومن الناحية العلمية والطبية... شرب الخمر أو الامتناع عنه، فكان الجواب يا أستاذة يا ليت لنا حرية الاختيار أو السيطرة الكاملة على أنفسنا.

حكموا العقل.. للعمل الجاد والنظام وتوحيد الكلمة والصف

بناتي العزيزات... حكموا العقل قبل أن تسيطر على العقل الشهوات... فلا هي الخمر المتفشية في البلاد الغربية ولا في الحرية الغاشمة التي اجتاحت الشباب، ولا هو الملبس الخليع، ولا هو اتباع كل ما استحدث من موديلات الأزياء، ولا هو إتقان الماكياج، ولا هو الرقص.. ولا.. ولا.. ولا هذا ولا ذاك الذي تسبب في التفوق العلمي والاقتصادي في بلاد الغرب، ولكنه:

أولاً: العمـــل الجـــاد: وهو ما أمر به دينكم الحنيف وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم إتقان العمل ليكون مصلحًا ومفيدًا، وآيات العمل الصالح كثيرة ولا حصر لها، كذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم معروف وهو: «أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»... ثم أن يكون العمل عملاً إيجابيًا للمجتمع ولصالح المجتمع ككل وليس فقط للفائدة الشخصية.. وأعتقد أنه لا توجد فلسفة ولا ديانة دعت إلى البذل والعطاء لصالح الغير ونفرت من الأنانية الفردية مثل عقيدة الإسلام ودين الإسلام.

ثانيًا: مراعاة النظام في كل شيء: في العمل، وفي السلوك اليومي في برامج الدولة... إلى آخره. والنظام كما نعلم هو روح الدين الإسلامي ومن ركائزه... ولعل الآية الكريمة التي تصف المقاتلين من المؤمنين وتقول: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص..، وكذا الحديث الشريف الذي يقول: «إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج»، وفيها ما يشير إلى التوجيه العملي إلى النظام في كل سلوك.

ثالثًا: توحيد الكلمة والصف: فقد وصل الغرب إلى ما وصل إليه أيضًا بتوحيد الكلمة والصف، بالتماسك والتعاون وعدم الانشقاق والنـــزاع.. وكلها مبادئ هامة للنجاح لو راعيناها نحن المسلمون واتّحدنا كافة ولو من الوجهة الاقتصادية والعمرانية والعلمية، ولا أقول من الناحية السياسية والحربية-الآن، لكانت سيادتنا واضحة في هذا المضمار. وتراثنا الإسلامي غني بالدعوة إلى التجمع والاتحاد وعدم التنازع، والتنافر والحق تبارك وتعالى يقول: لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

ويحكم و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» وإنما المؤمنون إخوة ولكن للأسف نرى أن السوق الأوروبية التي تكلموا عنها منذ سنوات قليلة قد أصبحت حقيقة واقعية في حين أن الجامعة العربية تضمر مع الأيام.. لقد اتفق جميع دول السوق الأوروبية يساندها دول شرق أوروبا وأمريكا على محاربة ظهور أية قوة جديدة في عالمنا بكل ما يمكن من معاني الإجماع ونحن لا نستطيع أن نتفق على سياسة جماعية فيها لنا قوة وإعزاز. فالخير كثير والإمكانيات المادية أصبحت متاحة والأمر يحتاج فقط إلى تضافر وتخطيط سليم ثم عمل دائب مخلص.

لقد والينا غير المؤمن وفضلناه، وقد نلتمس العذر للقيادات أحياناً في ذلك، لأن غير المؤمن أصبح أكثر التزامًا وأصدق تعاملاً وأعظم إنتاجًا في كثير من الأحيان ولو إني أود أو أهمس وأقول أنه عادةً أسوأ نية ولو أن ما يسيء إلينا يعمله عادةً في خفاء ومكر ودهاء.. ولا بأس من أن نستفيد من جهودكم ولكن في نفس الوقت نكون حريصين بل أن دعوة الإسلام لنا أن نكون سباقين للعمل الصالح.

التشكيك في الإيمـــان

وأعود معكن — عزيزاتي المستمعات — إلى أسلوب آخر من أساليب الإغواء.. وهذا الأسلوب قد تصادفه بناتنا في تحركاتهن، وهو يوجه أكثر ما يوجه إلى الفئة المتعلمة وقد صادفته أنا بالذات.. وهو أسلوب التشكيك في الإيمان بالله عز وجلّ وبوجود الله، فتارة يريدون أن يدخلوا في روع المثقف أن فكرة وجود الله تبارك وتعالى تنافي العقل والعلم، وأن كل شيء تواجد تحت ظروف وبناء على حقائق علمية... وأنه لو كان هناك إله كما يقول الناس رحيم بعباده، فما لنا نرى كل المآسي والعيوب الخلقية في طفل بريء من مخلوقاته.. أو إذا كان هناك إله مسيطر على العباد فما باله يدع العبد يخطئ ثم يعذّبه الله إذن على ذنب لا اختيار له فيه؟.. وغير ذلك من أساليب التشكيك التي كنت بفضل الله وبما أعطاني لا أقول من ذكاء أو علم في الطب أو خلافه بل من حكمة وفطنة كنت أخرج منتصرة والحمد لله.

لا أريد أن أطيل في ذلك، فقط أردت أن أعرض بعض الأساليب التي قد يقابلها أبناؤنا مع زيادة الأسفار وزيادة الانفتاح بين الشعوب. ولتعلموا جيدًا كما قلت أن شياطين الإنس قد نظموا المنظمات التي تعمل بمكر ودهاء وبجهد دائب لا يفتر، وأنه لمن المؤسف حقًا أن هؤلاء

الشياطين وإن اختلفت مللهم ونحلهم من ماسونية وشيوعية وصهيونية وطوائف تبشيرية وغرب مستعمر... إلى آخره فقد اتخذوا موقفًا موحدًا وسياسة منسقة متعاونة إزاء الإسلام والمسلمين ولعلهم وجدوا الإسلام من القوة بحيث لا يستطيعون السيطرة عليه وهدمه إلا بقوة متجمعة.. فالحق قوي ونور الحق ساطع.. والخلفيات من وراء ذلك كثيرة أضف إلى ذلك أن الحقد يكون دائمًا من الحسن الجميل. وأكتفي بهذا القدر من هذه الناحية.

مشاكل المسلمين خارج المنطقة العربية

والآن أنتقل بكم إلى بعض مشاكل المسلمين خارج المنطقة العربية.. كما قلت لكم – عزيزاتي المستمعات– أنني زرت الكثير من هذه البلاد، ولم تخل بلد مما زرت من مشكل، وكل بلد تختلف في مشاكله.. فالعرض طويل والوقت قصير لذا سأقصر القول على بلد أو بلدين.

مشكلات المسلمين في أمريكا اللاتينية:

لقد زرنا أمريكا اللاتينية خلال النصف الأخير من رمضان عام 1394هـ بغرض حضور المؤتمر الدولي لطب الأطفال المنعقد في بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين. لو كنتم تذكرون الجغرافيا، فإننا نترك القاهرة إلى نيويورك لمدة 14 أو أكثر ساعة طيران ثم نركب 14 ساعة أخرى إلى عاصمة الأرجنتين وهكذا نرى المشرقين والمغربين ونحن في الطائرة.. وبجانب النشاط العلمي وحضور المؤتمر والإسهام فيه بإلقاء بحوث، حاولت التعرف على أمور المسلمين... وعلمت أنه توجد كثرة من العرب المسلمين الذين هاجروا إلى هذه البلاد منذ زهاء قرن من الزمان – ففي البرازيل وحدها حوالي مليونين عربي مسلم، كما علمت أيضًا أن الجيل الحديث وهو الجيل الثالث من النشء والشباب المسلم قد أوشك أن يذوب في المجتمع المحوط به من غير المسلمين إن لم نتدارك الأمر بتلقينه شيء من عقيدته وإن لم يتعرف على مزايا هذه العقيدة وأركان الإسلام وأسلوب مزاولة العبادات وشيئًا من كتاب الله والسنة... إلى آخره.

علمت أيضًا أنه كان في بلد مثل سان باولو حيث توجد كثرة من المسلمين سبع وثلاثون مدرسة إسلامية ولكن تناقصت إلى مدرستين فقط الآن، وحتى هاتين المدرستين في طريقهما إلى الزوال.. ما لم يدعما بالعون المادي والمعنوي وبهذا نتدارك الأمر.

شوق وحماس المسلم المتغرب لمعرفة دينه:

ودعيت في ليلة 27 من رمضان إلى المركز الإسلامي في بيونس أيرس وهو مبنى استأجره لبناني مسلم من ذوي الأعمال في محاولة لتجميع المسلمين وتدريس الدين.. قوبلت فيه بترحيب كبير، وحضرت الاحتفال بليلة القدر وكان عبارة عن ترديد الدعاء باللغة العربية لا يفهمه أكثر الحاضرين.. ثم دعيت عقب ذلك الحديث فلبيت الدعوة رغم علمي بعجزي وقصوري ووفقني الله إلى حديث قصير باللغة الإنجليزية ولكن في اعتقادي كان حديث القلب إلى القلب.. وكم تلتقي قلوب المسلمين بلغة السلام والإيمان، وإذا أجد الجميع يلتفون حولي من النشء صغير السن والشباب والأمهات والكل يبتسم ويربت على كتفي شاكرًا مما ترك في نفسي أثرًا عميقًا لا أنساه أبدًا، كما شعرت وقتها بالتقصير الشديد حيث أرى أمامي جيل كبير في أشد الشوق لمعرفة دينه جيل من الآباء والأمهات والأجداد والكل يرحبون ويرغبون في أن يتعلم أولادهم الدين، فالأرض خصبة للنبت بلا عوائق، وكم تبذل أموال كثيرة في أرض مجدبة للتبليغ بالإسلام في بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية لجذب أفراد قليلة غير مسلمة للدين الإسلامي، بينما هؤلاء الملايين قد أوشكوا أن ينصرفوا تمامًا عن الإسلام ويذوبوا في الثقافات والأديان الأخرى حولهم.

من أين نبدأ ؟ ضرورة الدراسة الجدية للأولويات:

ولنسأل أنفسنا من أين نبدأ في رعاية هذه الأقليات المسلمة والتي قد تكون في بلاد أخرى الأكثرية المسلمة؟

نحن ندور في متاهات لا أول لها ولا آخر.. فقد نوجد الرغبة والنية الصادقة في المساعدة والتعاون لكن ينقص الدعم المادي، وحتى إذا توفر بعض المال فلا ندري أين الأولويات ولا ندري سبل الإنجاح إذن يحتاج هذا كله إلى دراسة وتخطيط ثم عمل دائب.. يجب مثلاً أن نوفر الكتاب المبسط عن مبادئ الدين الإسلامي: عن العقيدة والعبادات وعن السيرة النبوية.. يجب أيضًا طبع بعض آيات القرآن الكريم ومعانيها بالعربية والأسبانية كذلك بعض الأحاديث النبوية بلغة مبسطة مفهومة للنشء هذا بالإضافة إلى ضرورة إعداد الدعاة العارفين لدينهم والمتحمسين للدعوة

الإسلامية وبحيث يتقنون لغة القوم — وهي الأسبانية هنا- الذين يقومون بتعريفهم للدين الحنيف حتى يكون للدعوة أثرها وتأثيرها.

التخطيط التبشيري في إندونيسيا:

ومثل آخر لدولة أخرى نرى فيها الإسلام مهددًا بشكل آخر هي إندونيسيا التي زرتها في عام 1965م (1385هـ) لحضور مؤتمر طب الأطفال الأسيوي الإفريقي في عاصمتها جاكارتا ولقد راعني ما سمعت عن قرارات المجلس الأعلى للكنائس والذي عُقد قبل ذهابي بسنة وإقراره تخطيطًا سريًا لقلب إندونيسيا المسلمة إلى إندونيسيا المسيحية في خلال ربع قرن من الزمان بناء على التجارب السابقة في السنين الماضية. وكنت سمعت ذلك من بعض الأصدقاء المسلمين هناك، و لم أصدق ذلك في أول الأمر ولكن لما بدأت أختلط في لقاءاتي ببعض الشخصيات من السيدات المتعلمات ومن الطبيبات والطالبات الإندونيسيات تبين لي أن السبب الأساسي هو تهافت الطبقة الفقيرة وهي تمثل الأغلبية بالطبع على مدارس البعثات التبشيرية المجانية خصوصًا بعد أن تولت فئة تخرجت من هذه المدارس المناصب العالية.. وساعد على هذا الإقبال أيضًا ما أذاعته بعض القيادات وبعضهم من تربى على أيدي المبشرين أن الجميع في إندونيسيا من مسلمين وغير مسلمين يعبدون الله — وفي هذا ما فيه من تمويه للعقيدة الإسلامية وبلبلة لعقلية النشء والشباب مما يمهد الطريق للشباب لاعتناق المسيحية ويسهل للآباء إرسال أبنائهم للمدارس التبشيرية وموافقتهم على تعميدهم منذ الصغر واستبدال أسمائهم بأسماء مسيحية... إلى آخره، ولقد أصبحت هذه كلها شروطًا سافرة للقبول بتلك المدارس التبشيرية.

وآخر ما علمت من أنباء عن إندونيسيا أن عدد من ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية قد بلغ حتى الآن أكثر من ثمانية ملايين، وأصبح في إندونيسيا مطارات كثيرة خاصة للبعثات التبشيرية وهي مغلقة على غير المسيحيين، كذلك خرائط لهذه المطارات — وكان لدي واحدة من هذه الخرائط أعتقد ما زلت أحتفظ بها.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : هل يا ترى تحركت الجهات المعنية لتتبع الأمر؟ وهل هناك دراسة جدية وتخطيط جاد لوقف هذا الزحف الخطير ؟

في رأيي أن المسألة تحتاج لدراسة وتخطيط سليم ثم جدية وإخلاص في العمل والتنفيذ.

حال المسلمين في جنوب السودان:

واسمحوا لي أن أعرض لكن – عزيزاتي المستمعات – مثلاً آخر لحال المسلمين في جنوب السودان حيث كنا هناك من حوالي سنتين.. إن الأمر هناك مؤسف حقًا. كان المسيحيون يمثلون أقل من 6% فقط من السكان ومعظم أهل الجنوب قبائل وثنية، ولكن تسيطر القلة المسيحية الآن بالحكم الذاتي حيث أن الوزراء وكل المسئولين الكبار من هذه القلة المسيحية، وقد أطلقت العنان للتبشير المسيحي ووقفت في وجه أي دعوة إسلامية هذا في الوقت الذي يعتبر السودان جنوبه وشماله وحده ويبلغ عدد المسلمين أكثر من ثلثي التعداد العام، والباقي كان وثنيًا كما سبقت الإشارة. وتمارس البعثات التبشيرية طريقة بسيطة غير مكلفة بتاتًا حيث يمر الراهب أو تمر الراهبة على الأهالي الذين لا يرسلون أبناءهم إلى المدارس ويسألونهم لماذا لا يرسلوهم... والمهم أنهم يأخذون الأولاد للتقديم للمدارس وتدفع نيابة عنهم رسول التسجيل وتسجل التلميذ في المدرسة باسم مسيحي وبأن ديانته المسيحية، وهذا حق تعطيه حكومة الحكم الذاتي لمن يسدد رسوم التلميذ، فمن يسدد رسوم المدرسة يقيد دينه هو وهكذا بسهولة يصبح كثير من تلاميذ المرحلة الأولى مسيحيين. ثم تتولى هذه البعثات التبشيرية هؤلاء التلاميذ الجدد بالعطف عليهم وشراء مرايل المدرسة لهم وأخذهم إلى الكنيسة كل يوم أحد، وهكذا ينشأ الطفل نشأة مسيحية منذ الصغر، ولا شك أن الجيل القادم سيصبح مسيحيًا دون عناء، وهذه أساليب ذكية غير مكلفة، وبهذه الطريقة تتجاوب الحكومة الحالية مع المبشرين مما أسفر عنه الوقوف في وجه انتشار الإسلام بين الجنوبيين في السودان.

والآن – عزيزاتي المستمعات من الضيفات الكرام وعضوات هيئة التدريس وبناتي الطالبات في جامعات الملك عبد العزيز.. أكتفي بهذا القدر، وأختم حديثي لكن بأن أقول: إن كان لنا آباء وأجداد قد جاهدوا في الله حق جهاده، وأوصلوا لنا نور الإيمان، فما أحرانا أن نسلك طريقهم ونقتفي آثارهم، ولا نحرم أجيالاً قادمة من هذا النور المبين ومن سعادة معرفة الله الحق كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونفتح الآن باب الأسئلة وإنني على استعداد تام للإجابة على أية أسئلة في موضوع اليوم أو إن شئتم في موضوعات أخرى متعلقة بالطب والصحة العامة خصوصًا تلك التي تهم الفتاة نفسها

وتهم بناتنا طبيبات المستقبل بوجه خاص، ولو أن هذا يحتاج إلى حديث بل إلى أحاديث كثيرة خاصة أو متعلقة بأوجه الجهاد عامة بالنسبة للفتاة خصوصًا في مجال العمل والنشاط الاجتماعي وميدان الطب الاجتماعي، وهذا أيضًا موضوع شيق وهام في بناء نهضتنا مثل إعداد برامج خاصة للتثقيف الصحي خصوصًا في تربية الطفل أو في المراحل التعليمية الأخرى، ثم برامج خاصة بالنسبة للمسلمين في العالم...

وأرجو أن تتاح الفرصة لحديث خاص فيه في المستقبل إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الدكتورة / زهيرة عابدين (التاريخ: 9 جمادى الأولى 1398هـ)

وتأتي رسالة الفضائل لأم الأطباء إثر حديث ذي شجون مع ابنتها د. عزة ابوالفضل، والتي كانت في حينها تعد لإصدار عدد خاص لمجلة حول الصحة الاجتماعية، فطلبت منها كلمة توجهها الى قراء العدد، جاءت إثرها برسالتين، الأولى في شيم الصدق والإخلاص، والثانية في قيمة الوفاء، ولسوء الحظ، قد فقدت الرسالة الثانية ولا يبقى امامنا غير النفحات التالية، والتي نشرت في حينها تحت العنوان التالي:

زهـــــرة تحيي بستان فضائل الأخــــــلاق

رسالة من أم الأطباء الدكتورة زهيرة عابدين الي بناتها وأبنائها

لقد طوفت بي فسبحت في أفق فسيح وتنقلت في بساتين أقطف من كل بستان زهرة حلوة جميلة ذات رائحة وبهجة نعم غشيتني نشوة وشعرت أني في حلم لذيذ – فضائل بل قل درر كل واحدة تكاد تضفي على سابقتها محبة، ورحمة، تسامح، صبر، احترام للغير، تطهير النفس من الغرور ومن الأنانية ومن الطمع... ثم ربط كل هذه الأخلاق السامية بل قل هذه الزهور اليانعة بصحبة الإحسان وهو قمة الكمال ولكن لابد من أن نؤكد أن الحب هو الرابط القوي لكل هذه الفضائل وهو حب الله الخالق المبدع المصور الهادي المعلم المرشد الهادي إلى صراط المستقيم، حبل دليله طاعة وامتثال لكل أمر ونهي.. مراقبة لمن هو أقرب إلينا من حبل الوريد.

والشيمة الحيوية هي الصدق فلا شيء مما عرض من خصال تجدي إن لم يطبق القول العمل، فنحن نهتز لما جاء في كتاب ربنا وقد رأيت كافرًا لا يعرف ما هو القرآن ولم يعرف شيئصا عن منـــزل القرآن كما عرفناه من أوصافه في الكتاب الذي نذكر كلنا كثيرًا مما جاء فيه ونعمر كثيرًا بما جاء فيه ولكننا للأسف المحزن ننسى ما جاء فيه «كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» ليت ما جاء في كتاب الله العزيز من جواهر مطبق في أقوالنا وأعمالنا... كيف نتوخى يا أعزائي أن يطبق الصغير ما جاء من درر في القرآن الكريم وهو يرى أمه وأباه أعز وأقدس ما عنده في الوجود يعمل النقيض.

أعزائي لقد آن أن نعي الداء إن أردنا الاستشفاء .. إن سيد ما جاء في الكتاب من صفات وخصال هو الصدق .. لقد قدست حملة الكتب السماوية الصديقين .. ولا أقول الصادقين .. إن

أئمة الرسل أثنى عليهم ربهم وقال عنهم الصديقين .. فيا ليتنا بعد أن شخصنا الداء وحددنا الدواء أن نكون جادين في تربية جيل صاعد جديد يرى أمامه المربي مثلاً وقدوة في كل ما يسمع ويحفظ من درر ما جاء في القرآن الكريم.

أبنائي .. وأنا أم للجميع.. تمر علي فترات وأنا في هذا العمر المتقدم أتمنى أن أترك وطني مصر بل أرض الأنبياء في بلاد العروبة وأعيش في أرض حرمت من نور الكتاب المبين لكنها طبقت أكثر ما فيه من خصال وأخلاقيات، لا أكاد أصدق ما أرى من الغش والنفاق والأنانية .. بل منتهى الأنانية .. حب المال وحب الجاه التي كادت تنسى القوم ربهم... لقد انكبوا على الدنيا انكبابًا مشينًا وانعدم .. بل كاد ينعدم الالتزام بأداء العمل بإحسان... بل بات الكثير يتلذذوا من الكيد لغيرهم ويروا في ذلك عبقرية وشطارة – الله أكبر- فليسامحنا الله على جهلنا ويقوينا على قلة حيلتنا وضعفنا... نعم لن أطيل ولا أحب اليأس ولا التشاؤم، لكن حان الوقت أن نستيقظ ونفيق ونعرف أن أساس نجاحنا في خلق أمة ناجحة، على أن نعلم بالقدوة لا بالقول .. وأن الأمية ليست أمية القراءة ولكنها الافتقار للأخلاقيات والسلوكيات .. فهذا هو رأس الحكمة والحكمة فوق العلم.. نعم أشاد سبحانه بالعلم والعلماء ولكنه رفعهم بالحكمة... اللهم آتنا الحكمة كما أتيتها لقمان وأنبياءه الصالحين.. آمـــين.

المبادرات الفردية تصنع المعجزات

محاضرة القتها دكتورة زهيرة عابدين في مقر الجمعية الخيرية الإسلامية في اواخر التسعينات

هزة تعتريني أحياناً عند شعوري بآلام الناس ومن خلال تفكيري في النهوض بحال المجتمع والتصدي للفساد والمذلة والشقاء وأقول كيف الخلاص من كل هذا يا ربي كيف النهوض بالأمة وأبناء المجتمع من حولي. أقول لنفسي أنا لست إلا فرد واحد وهل أستطيع أن أعمل شيئاً في ذلك: وكيف؟ ولعل غيري كثيرون فكروا نفس التفكير وشعروا بألم يمازجه شيء من اليأس والحيرة.

أعود فأرى من حولي وفي زمني الذي أعيش فيه وعلى صفحات التاريخ أمثلة كثيرة: فرد تحركت شجونه ثم آمن بضرورة التحرك، عمل واجتهد فتحققت شبه المعجزات. نعم في الماضي وفي التاريخ الإسلامي الأمثلة كثيرة وصدق عمر بن الخطاب حين كان ينظر لشخص ما ويقول لو أن ربي بعشر مثل فلان لكفاني ولنشرت بهم النور يبدد الظلام المخيم على الأمم شرقاً وغرباً.

أذكر بعض الأسماء في العصر الحديث من أمثال طلعت حرب، عثمان أحمد عثمان، الكفراوي، صدقي سلمان وغيرهم كثير فيتبدد اليأس وينبعث فيّ الأمل، أرى كتاب الله العزيز وقصص الأنبياء، كيف بدأ كل نبي فرداً وحيداً ثم نجح في صنع أمة ولعل المثل الأعلى والقدوة التي لا تجارى قد تمثلت في شخصية خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام.

بدأ فرداً لمس الظلام من حوله وشعر بالمرارة وما أن أفاء الله عليه بالنور إلا هب وقال: سأصمد ولو تكاثرت علي قريش وأتباعها ولو تكاثرت علي الأمم والملوك، كسرى وهرقل أسياد وملوك الدنيا في زمانهم: آمن وصدق إيمانه، عزم وصدق عزمه، وبدأ فرداً واحداً ما لبث أن انصاعت له أمة بأسرها، كانت من شر الأمم ثم انصاعت أمم وجبابرة وانتصر الحق وبدد النور الظلمات.

إبراهيم عليه السلام جدنا الأكبر وجد محمد عليه الصلاة والسلام بدأ صوته ضعيفاً يكاد لا يسمع، نعم بدأ فرداً لكنه كان أمة جمعت كل أسباب القوة، كان في قوة بأسرها كما وصفه القرآن الكريم.

لا أدعي بهذه المقدمة أني على وتيرة هذه المثل وهؤلاء العظماء ولا أني حققت عشر معشار ما حققوه. لكني أقول أني تألمت بصدق لكثير مما حولي وتمنيت بصدق لو استطعت أن أصلح وتحركت وبدأت أعمل ولا أكِل لأني أؤمن بحق أن الله مع الصادقين. فحقق لي ربي ما لم أكن احتسب.

أعرض في هذا المقال القصير لإنجاز من الانجازات ما كنت أتصور أن يتحقق بهذه الصورة حتى صار شبه معجزة يتحاكى بها الغريب والبعيد من العارفين: مشكلة روماتيزم القلب ومن حولي فقراء الأطفال المرضى في أبو الريش، الطبيب مثقل في العيادة الخارجية بعرض عليه حوالي مائة طفل مريض أو يزيد وقد أنهكه التعب، فأسرع في كتابة بعض المسكنات والمقويات إرضاء للمريض وتخفيفاً لآلام في المفاصل، يرجع الأب المسكين حاملاً لابنه الصغير المكسور الخاطر، وقد فقد أمله في كل ما حوله وزهد الحياة... القلة القليلة التي يسعدها الحظ وتجد سرير وتدخل داخلي في المستشفى، توضع في وسط المرضى الآخرين، الممرضة تعاملها معاملة غيرها من المرضى إذ لا تعرف ما يحتاجه مريض القلب من راحة لقصور في التوعية والإرشاد، أنها لا تعرف أن حالة المريض الذي يقاسي روماتيزم القلب في دور التهيج أو الهبوط تلزم له معاملة خاصة راحة وخدمة، أراه يترل ويطلع السلم ويجري أحياناً ماذا أفعل يا ربي وأنا طبيبة ناشئة لا أملك من الأمر الكثير أو القليل.

رفعت عيناي إلى السماء وقلت يا ربي ساعدني. بدأت بأن استأذنت مدير المستشفى أستاذي الجليل أ.د. خليل عبد الخالق في أن يأذن بتحويل جميع الحالات التي يشتبه فيها طبيب العيادة بأنها إصابة بروماتيزم المفاصل أو حتى تشكو ببعض آلام في المفاصل لي. كذا طالبت بتخصيص حجرة أتواجد فيها بعد الثانية عشرة ظهراً بعد أن أفرغ من أعمالي في المستشفى استقبل فيها الحالات المحولة، أسميتها عيادة القلب والروماتيزم، واخترت طبيبة ناشئة وممرضة لتساعدني ووعيتها ما استطعت وعطفت عليها عطفاً خاصاً فكانت تعاونني بصدق وأمانة في العيادة كانت تملأ الدفاتر، علمتها كيف تعمل التحاليل الأساسية، وبالذات تحليل الترسيب. وهو تحليل هام لحالات الحمى الروماتيزمية وكذا تعمل رسم القلب كنت أفحص الحالات المحولة مرتين في الأسبوع وسرعان ما

تكاثر المرضى على العيادة فكنت أمكث بالمستشفى حتى المغرب أحياناً وأعمل يومياً بدل يومين في الأسبوع، كنت أجمع الحالات المحتاجة لفحص بالأشعة مرة في الأسبوع أعمل لها فحص بـ"الأشعة النظرية" أصبحت الحالات والحمد لله تشخص التشخيص السليم ومن يثبت له التشخيص تعطى أمه الإرشادات بوضوح، لكني كنت قاصرة عن إدخال الحالات حتى الشديدة أو التي في حاجة قصوى للعلاج الداخلي لقلة الأسرَّة. كنت أعمل لكل حالة بحث اجتماعي ويؤسفني ما كنت أجد من القصور الشديد في السكن، حجرة واحدة لكذا نفر، أم لا سبيل لها لأن تتفرغ لابنها المريض، تصبر أياماً على التضحية ثم تركه يجري ويلعب بمجرد أن تتحسن الحالة أو تخف الآلام، فتحدث المضاعفات ويذهب الجهد هباء. كنت أحرص على جمع الأمهات أسبوعياً للتوعية وتعريفهم بالمرض وما يلزم مريضهم من عناية الخ... ولقد كانوا بالفعل شديدي الحرص على الاستماع لهذه الدروس وكانوا يدعون لي ويشكروني وأقول لا أريد شكراً، فقط علموا الجيران ما علمتكم وهذا أحسن شكر تسدوه لي. **ولقد داومت على هذه التوعية وهذه الدروس سنين طويلة** حتى بعد أن مكنني ربي وساعدني في بناء مستشفى الهرم.

نعم أيقنت أن الحالات كثيرة والمجهود لن يثمر إلا إذا اتسعت الأسرَّة، حاولت أن أنجز هذا عن طريق عميد الطب الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم أب أمراض القلب وكان يقف بجانبي دائماً أستاذي ذو القلب الكبير الأستاذ الدكتور خليل عبد الخالق. حاولنا مع الجهات المعنية مساعدتنا لبناء مستشفى كبير خاص لهؤلاء المرضى بعد ما تكشف حجم المشكلة، ولكن موارد الدولة وقتئذ كانت محدودة جداً وذهبت الجهود هباء. تأثر زوج أختي الأستاذة الدكتورة فاطمة عابدين المرحوم عبد المنعم الشافعي وكيل أول وزارة الشئون الاجتماعية لحالي، ونصح بإنشاء جمعية خيرية نحصل من خلالها على بعض المال، لكني كنت مترددة فليس لي خبرة في هذا المجال، كذا وقتي محدود وأعمالي كثيرة. لكنه ضغط علي وأرسل لي المرحوم يحيى درويش مدير عام الشئون في عيادتي الخاصة في باب اللوق الأوراق المطلوبة لإنشاء الجمعية المذكورة، الجمعية التي بدأت بمجموعة من صديقاتي أكثرهن أمهات أطفال يترددن علي في عيادتي الخاصة. بدأنا بمبلغ 700 جنيه. بدأت الجمعية التي بارك الله لها بعد ذلك فأنشأت الصروح والمنشآت وأصبح رأسمالها يقدر بالملايين. قضية المستشفى الأولى التي بدأت صغيرة (30 سرير) ثم كبرت وأصبحت مستشفى بها (400 سرير) في وقت من الأوقات. المستشفى التي كانت دار علاج ونقاهة ومدرسة لهؤلاء المرضى الذين تفشت فيهم الأمية بسبب تكرار النكسات والذين بدأنا معهم بمحو أمية الأطفال الكبار والتدريب على مهنة تعينهم على

الكسب، أصبحت بعد قليل مدرسة ابتدائي ثم إعدادي، تعليم نظامي على مستوى طيب، وهكذا أصبح مركز القلب يقدم خدمة متكاملة علاج نقاهة، مدرسة، تدريب مهني، علاج وقائي. نتيجة هذه الخدمات انخفضت نسبة الإصابة الشديدة من حوالي 50% إلى 15% بعد عشر سنوات ثم إلى أقل من 4% بعد عشر سنوات أخرى ولقد قال أئمة العلماء من الغرب الذين كانوا يترددون على مركز القلب الذي أصبح كعبة البحث العلمي في هذا المجال.. كانوا يقولون نصدق أن يقدم المركز الخدمة للآلاف لكن لا نصدق أن يحدث هذا النجاح في محاربة المرض وسحقه. نعم بذلنا جهوداً مشكورة في هذا المجال دعانا أئمة العلم في شتى المؤتمرات لنعرض على الملأ كيف حققنا هذا النجاح. نعم لقد كان العلاج المبكر والعلاج الوقائي، وتثقيف الأمهات الصحي والحملة الكبيرة التي قمنا بها بالاشتراك مع وزارة الصحة وبتشجيع وتيسيرات من وزير الصحة وقتئذ الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران، حملة قمت بها بنفسي ومع مساعدي الأستاذ الدكتور أحمد عيسى رحمه الله بتثقيف جميع أطباء الصحة المدرسية، كانوا يأتون في أفواج.. ويمضي الفوج أسبوعاً معنا في مركز القلب نعلمه نظري وعملي على الحالات الكثيرة حتى يتمكن من تشخيص اللغط بأنواعه واكتشاف المرض في أدواره المبكرة. تم فحص حوالي 3 مليون تلميذ: أعمارهم ما بين 6: 13 سنة ووضع كل المصابين تحت العلاج الوقائي والحقن الشهرية: عمل بطولي لاشك، كان له أثر كبير في انخفاض نسبة المرض في سنون قليلة انخفاضاً ملموساً. بل كادت الحالات الشديدة تختفي مما أدهش بل أذهل العارفين ما كنت أنا نفسي أتصور أن الجهد الضعيف الذي بدأته في مستشفى أبو الريش سوف يثمر كل هذه الثمار. مراكز علاج ونقاهة ومكافحة المرض وتعليم ومتابعة وخدمة متكاملة في الصرح الكبير بمركز القلب بالهرم (الأم) وبفروعه في شتى المستشفيات الجامعية على صعيد الجمهورية، نعم كل ذلك ساعدنا كثيراً، لكنها قدرة الله وعون الله أولاً وأخيراً لعبده الضعيف إذا صدق وبذل ما يستطيع. كما أسلفت لقد كان لنجاح هذه التجربة وما حدث من ثقة الجماهير في شخصي الضعيف أن تكاثر الأعوان وتكاثرت التبرعات، **وكلما توافر المال أعملت الفكر للبدء في مشروع خدمي جديد.** أضع الأولويات وأنكب على المشروع عندما يكون وليداً إنكباباً يكاد ينسيني نفسي بالطبع أوقفت عيادتي الخاصة في باب اللوق وأبقيت على فحص لبعض حالات مقتدرة في حاجة لخبرتي في مركز الهرم يدفعن الكشف ليدخل في رصيد الجمعية التي تتسع أنشطتها في كل يوم. لن تتسع صفحات قليلة أو مقال أو عدة مقالات لا عرض لأي تفاصيل في هذا المشروع أو غيره من باقي

المشروعات الكثيرة ويكفي أن أضع بعض عناوين لبعض نشاطات: معهد صحة الطفل (مبنى كبير عشرة أدوار) خدمة المحتاج، نواحي اجتماعية، نواحي طبية (أيتام، حضانات، مسنات، مستشفى أساساً لأمراض الطفولة الوبائية والتي تعبر مشاكل البلاد النامية، إسهال، جفاف، التهابات رئوية، نزلات معوية، بلهارسيا... الخ) ثم خدمة طبية للكبار في شتى الفروع الطبية كل الخدمات تؤدي للطبقة الكادحة بالمجان أو بأجر رمزي. كان المبنى خلية نحل عملت بلا هوادة السنين الكثيرة.

دار الطلبة الجامعيين المغتربين من خارج القاهرة كلهم محدودي الدخل وكلهم يقدمون أجر رمزي ولا أتحدث عن الاتساع بل أتحدث عن كيف مكنا الكثيرين من حياة طيبة انعكست على تقدمهم في الدراسة والنجاح والتميز... الخ. (عمارة فيها حالياً 200 طالب في المهندسين) وسوف يقام مبنى آخر في 6 أكتوبر إن شاء الله.

رسالة التربية والتعليم في مباني عملاقة اشتهرت بفضل الله في التميز في التعليم والتربية والاهتمام باللغات (عربي وإنجليزي) كل هذا من فضل ربي نعم كلها بدأت على أكتاف شخصي الضعيف. أسأل الله لتلك المدارس وللقائمين عليها دوام التوفيق.

نعم إن الإنسان قادر على أن يصنع العجائب متى أعانه الله بمنحه الصحة والجلد والإيمان الصادق بالفكرة، والخدمة بصدق.

نعم إن الشخص الذي يبارك الله في جهده يمكن أن يكون كحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله القادر.. أنا لا أقصد أن أشيد بانجازاتي وأنا ما أنجزت إلا أشياء عابرة وتعد بسيطة بالنسبة لما أنجزه رجال صدقوا الله ما وعدوه وكان لهم المثل والقدوة الدافعة في قائدهم الأعلى رسول الله ومصطفاه من بين خلقه أجمعين محمد الصادق الأمين والمجاهد الكبير جازاه الله عن أمتنا خير الجزاء.

يتحدث الغرب عما أنجزت ولقد أقر الغرب بقدرات الشرق فمنحت كلية طب أدنبرا وهي أول كلية طب في أوروبا وأمريكا فمنحتني الدكتوراه الفخرية في الطب من بين المتقدمين من سائر أقطار الغرب والشرق من خبراء وعلماء: لم ينل هذه الدرجة بفضل الله سوى شخصي البسيط أنا وطبيب أمريكي (جراح أمريكي) وكما قال الأستاذ فورفور (أبو طب الأطفال) عندما أرادت الجامعة أن تقدم الحاصل على أصوات أكثر للجائزة أولاً وجدنا أن الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين اكتسحت الموقف كسحاً. وهذا من فضل ربي وهي نعمة الإيمان بالله ولا شيء سواه.

الملاحق

مرفقات المجلد التذكاري في جزئه الأول

الملحق الأول

أم الأطباء .. في سطور

إعداد د. منى أبو السعود

نبـــــذة عـــــن السيرة الذاتية والعلمية

للأستاذة الدكتورة/ زهـــيرة حافـــظ عابـــدين

أولاً: سمات مُمَيّزة بفضل الله

- أولى بكالوريا (ثانوية عامة) عام 1936م على مستوى مصر كلها.
- الطبيبة الوحيدة في مصر الحاصلة على درجة عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن (1948م).
- أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بالجامعات المصرية.
- أول طبيبة عربية تمنحها كلية الأطباء الملكية بلندن درجة الزمالة وتكاد تكون الوحيدة.
- الطبيبة الوحيدة التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من جامعة أدنبرا بالمملكة المتحدة على مستوى العالم كله عام 1980م (لم تمنح هذه الدرجة منها إلا لطبيب أمريكي جراح أعصاب).
- العربية الوحيدة التي مُنحت جائزة (إليزابيث نورجل E. Norgall) العالمية من النادي النسائي الدولي عام 1992م وكانت المرأة الشرقية الوحيدة التي مُنحت هذه الجائزة في حينها.
- أول أستاذة جامعية تحمل راية خدمة المجتمع وتحقق خدمات لمصر وأبنائها ونالت تقدير الجميع في مصر وخارج مصر فمنحتها جامعة القاهرة لقب أستاذ كرسي طب المجتمع، وبهذا كان لمصر السبق في ميدان هذا الفرع من العلوم الطبية في العالم كله.
- الأستاذة الطبيبة بكلية طب قصر العيني جامعة القاهرة التي منحتها الدولة في عيد الكلية المائة والخمسون وسام الدولة الذهبي تقديرًا لمكانتها العلمية وخدماتها التطوعية للمجتمع (قدمه لها الرئيس أنور السادات).
- أول رائدة في الطب تكرمها الدولة وسلمتها (حرم رئيس الجمهورية السيدة جيهان السادات) ووزيرة الشئون الاجتماعية درع الجمعية المثالية من بين جميع الجمعيات الخيرية بالدولة (جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب).
- منحتها نقابة الأطباء عام 1990 لقب «أم أطباء مصر» وقامت السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس محمد حسني مبارك والسيدة الأستاذة وزيرة الشئون الاجتماعية بتسليمها براءة هذا اللقب في حفل تكريم «الأم المثالية».
- أسست أول كلية طب متطورة بدولة الإمارات العربية (كلية دبي الطبية للبنات) عام 1986 ووضعت مناهجها وعكفت على إدارتها عميدة لها زهاء سبعة أعوام نالت خلالها الكلية تقديرًا عالميًا من الهيئات الطبية العلمية بإنجلترا وأمريكا والصحة العالمية.. شهد بذلك من تخرج من الكلية من الطبيبات المثاليات

المشهود لهن بالكفاءة والتفاني في الخدمة، وعلى الرغم من تركها الكلية إلا أنهم تمسكوا بها عميدة شرفية مدى حياتها.

- على صعيد الأبحاث العلمية فإن للدكتورة زهيرة مدرسة علمية مرموقة وتعلّم على يديها الكثير ممن تبوءوا مراكز جامعية على مستوى الأستاذية وكذلك ممن تبوءوا مراكز قيادية اجتماعية مرموقة، ولها من الأبحاث العلمية ما يربو على المائة وعشرين بحثًا منشورة في المجلات العلمية بمصر والعالم.
- منحتها الدولة الجائزة العلمية التقديرية لعام 1996 في العلوم الطبية التطبيقية وتبرعت بقيمتها المادية لأوائل الخريجين المتميزين في طب الأطفال والدراسات العليا.

ثانيًا: ما حققته من خدمات مجتمعية

1 – جمعية أصدقاء ومرضى روماتيزم القلب للأطفال

أسست هذه الجمعية عام 1957 ومن خلالها أنشأت المشروعات التالية:

- أنشأت مركز القلب والروماتيزم بالهرم في أواخر الخمسينات وأسست فروع له ملحقة بالجامعة الإقليمية بكل من أسيوط وطنطا والزقازيق والمنصورة والإسكندرية.
- قامت بحملة واسعة النطاق (على مستوى الجمهورية) بالاشتراك مع وزارة الصحة لمكافحة مرض روماتيزم القلب، كانت من آثار هذه النشاطات أن تغيّرت معالم روماتيزم القلب في الأطفال وانخفضت نسبة حالات القلب الشديدة الوطأة في مصر في خلال 20 سنة من 50% إلى أقل من 4% وهو إنجاز نال تقدير العالم كله والحمد لله.
- أنشأت معهد صحة الطفل ذو العشر طوابق بالدقي بهدف رعاية الطفولة ووقايتها من أمراض ما قبل سن الرابعة وعلى رأسها أمراض سوء التغذية والنـــزلات المعوية والجفاف الشائعة بين المعوزين من أبناء الوطن، وامتلأ هذا المعهد حاليًا بخدمات صحية واجتماعية وحوى نماذج من خدمات شتى تؤدى على المستوى المبسط.

- أنشأت دارًا للطلبة الجامعيين المعوزين والمغتربين تعمل منذ عام 1952، ولقد كان الهدف هو العناية بالنشء صحيًا ونفسيًا وتهيئة جيل يحمل رسالة الخير للمجتمع، وقد آتت أُكُلها بفضل الله وأنجبت أفواجًا من الشباب الواعي العامل المجد في كل مكان بمصر والخارج ولا زالت.

- أنشأت مدارس الطلائع الإسلامية، وكان الهدف الأول منها هو تنشئة جيل للأمة على العلم والإيمان، وأكدت في لائحتها التعليمية اهتمامها الخاص بالتربية والأخلاقيات في المعاملات المستمدة من إيمان صادق بالله تعالى وقائم على الحب والتضحية والعطاء، وللجمعية مدرستان شامختان إحداهما بالدقي تضم 1750 طالبًا وطالبة بجميع المراحل الدراسية والأخرى بمصر الجديدة وتضم 1653 طالبًا وطالبة وذلك في العام الدراسي 1998/97 وتعملان منذ خمسة وعشرون عامًا، وكانتا فاتحة المدارس الإسلامية الحديثة بمصر.

2 – جمعية الشابات المسلمات بالقاهرة

- منذ زهاء عشرون عامًا اشتدت الأمور وتعقدت بجمعية الشابات المسلمات بالقاهرة وتعثرت مسيرتها وتكاثرت عليها الديون، ورُفع أمرها إلى الأستاذة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية التي اتخذت بعد الدراسة قرارًا بإسناد رئاستها إلى الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين وتكليفها بإدارة شئونها وتدبير أمرها، فما كان من الدكتورة زهيرة إلا أن صدعت للأمر غيرة منها على كرامة الإسلام والمرأة المسلمة واتجهت إلى الله سائلة إياه العون والرشاد، فاستجاب الله دعاءها وهيأ لها نخبة صالحة من الأخوات الكرام فقادت السفينة إلى بر الأمان، وفيما يلي بعض ما أفاد الله عليها من النِّعَم حيث أنشأت من خلال هذه الجمعية المشروعات التالية:

- بناء دار الحسين من أربع طوابق أمام جامعة الأزهر استقرت فيه الجمعية، وتقوم فيه بخدمة أهالي حي الحسين وتمارس الأنشطة الآتية:
  - حضانة للأطفال تحت السادسة من العمر (حوالي مائة طفل).
  - مشغل لبنات الحي لتعليم التفصيل والخياطة والتطريز (حوالي مائة سنويًا).
  - دار الطالبات الجامعيات المغتربات من خارج القاهرة.
  - عيـــادة طبية لأهالي الحي.

- وجميعها أنشطة خيرية غير استثمارية تؤدى بأجور رمزية.

- قامت الجمعية بإنشاء مدرسة طلائع بور توفيق الإسلامية للغات (حوالي 600 تلميذ) وصلت الآن إلى المرحلة الثانوية العامة، وهي شامخة تعمل منذ زهاء عشر سنوات، وهي نموذج مشرف للمدارس الخاصة شهد به الوفد الألماني الذي زار مصر حديثًا.

- أنشأت حديثًا مدرسة 6 أكتوبر لغات إسلامية.. نرجو لها النجاح والتوفيق.

- وبعون من الله الذي قيض لها أهل البر الذين وثقوا في نـــزاهتها وإخلاصها فقامت بمشروع كبير للقطاء واليتامى بدأت فيه بإنشاء دار إيواء يتسع لأكثر من مائة طفل، وتقدم هذه الدار حاليًا خدماتها الاجتماعية والإنسانية لهذه الفئات.

- ونرجو من الله العون على إتمام ذلك المشروع الكبير المتمثل في بناء مدرسة ودار تدريب ومسجد... الخ لخدمة أبناء الدار أولاً وأبناء المدينة بأسرها.

- أمدها بالعون وقيض لها السداد والتوفيق.

- كل ذلك ثمرة العمل بإخلاص لوجه الله تبارك وتعالى في صمت وعبادة.

هذه قصة كفاح لتجربة حية وخدمة هادفة نجحت كثمرة تعاون صادق من فئة عاملة وعالمة من أبناء الوطن والقائمين على أمره. وإن كنا نتحدث اليوم عن ضرورة تجميع المستثمرين سواء من الخارج أو الداخل فما بالنا بالمتطوعين من أبناء الوطن الذين أحبوا العمل والعطاء والتضحية شكرًا وتقربًا لله تعالى.. والحمد لله فنحن في نجاح مضطرد بفضل من الله تبارك وتعالى.

ورغم ما انتاب الدكتورة زهيرة من مرض شديد في السنوات الأربع الأخيرة، ورغم تغيبها في الخارج بإنجلترا وأمريكا للعلاج، ورغم ملازمتها للفراش ملازمة كاملة حوالي عام كامل، إلا أنها – وقد عافاها الله وعاودها ما أراد بها من نشاط، فهي عازمة على مواصلة الكفاح إلى أن يشاء الله. والله تعالى هو الموفق لما فيه خير أبناء هذه الأمة.. ومنه العون وإليه المرجع والمصير.

الملحق الثاني

وعلى هامش المقالات.. تأتي اللقاءات

فواتح لشهادات طور الجمع[1]

إعداد وتحرير

مهجة عبداللطيف مشهور

ومنال يحيى الشيمي

---

[1] ملاحظة: تدخلت بشيء من التصرف في الكلمات والتعبيرات وأضفت قليلا مع الحفاظ على المعنى المقصود، المحررة، أ. منال الشيمي.

أبية محمد رضا:1

"إنسانة غير عادية"

الجانب الانساني

- كانت انسانة غير عادية بقوتها الروحية ؛ قوية، مؤمنة..تعرضت لحوادث عدة شديدة ولكنها كانت دوما تستمر في عطائها ولا يقعدها شيء. .تعلمت منها الكثير كأم من جهة الرعاية والاهتمام بأطفالي..كنت أشعر بانها أم أخرى لي أو اخت كبرى دوما أستفيد من خبراتها بالحياة.
- شخصية اجتماعية جدا ودودة وحفية بزائريها لأقصى درجة.
- ربة منزل وزوجة ماهرة جدا، تطهو بنفسها،تصطحب أبنائها للرحلات، وتحيط أسرتها بالكامل بالرعاية، وزوجها بالطبع كان عاملا مساندا لها.
- كانت متصوفة ولها مشايخ وأولياء

الجانب العملي

- كانت طبيبة ماهرة جدا ومتميزة في تخصصها..وظهر ذلك منذ بداية حياتها العملية
- تتميز بالدقة والاهتمام بالتفاصيل
- سعت ونجحت في اجتذاب أهل الخير وتوجيههم للعمل على مساعدتها في محاربة مرض روماتيزم القلب المنتشر في مصر في ذلك الوقت.. وكونت مجموعة عمل من عدد من السيدات الفضليات المحبات للخير كن نواة جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب.. وضعتهن على أول الطريق وتركت لهن العمل بعد ذلك فكن يتولين ويتابعن العمل بالجمعية ويراعين الأطفال وكانت تشرف وتتابع العمل من بعيد ..وعلى يد هذه النواة الأولى المخلصة كبرت الجمعية بمرور الوقت وتوسعت وحققت انجازات كبرى في خدمة المجتمع ككل ومرضى روماتيزم القلب خاصة.

1 وهي من المجموعة الأولى المؤسسة لحلقة أصدقاء الأطفال مرضى روماتيزم القلب.

ياسمين الخيام:

هذه الانسانة المسلمة مثل "القطنة البيضاء"، كانت بحجابها البسيط وتواضعها الشديد خير دعوة للإسلام

الجانب الانساني

- كانت شديدة التواضع، الرقة، حفية جدا بزائريها، تضيفهم بنفسها .. هي داعية للاسلام بأسلوبها الرقيق في التعامل وحفاوتها البالغة.
- ما جمعني بها هو حبها الشديد للخير،اي مال ياتيها تنفقه في الخير بدون أي قلق أو حرص.. فهي تدخر في الآخرة ..والآخرة حاضرة في ذهنها دوما.
- هي بحق سباقة بالخير " والسابقون السابقون أولئك المقربون " ما أطرق مجالا لعمل الخيرإلا وأجدها قد سبقتني ووضعت لبنة فيه وبادرت بالخير فأخذت ثوابها وثواب من تلاها.
- هي متصوفة من جهة حبها الشديد للحرمين الشريفين وحرصها على الحج والاعتمار مهما كانت العقبات. ومن جهة تعلقها الشديد برسول الله (ص) وآل البيت.
- سيدة مسلمة عملا وسلوكا تبدأ يومها كخيرة العلماء من قبل الفجر.
- كانت وما زالت تمثل نموذجا لي في الصبر والجلد والمثابرة على عمل الخير.. فقد امتلكت قوة روحية عالية جدا .
- لا تبخل بالنصيحة.
- تتمتع بشخصية قوية جدا وحازمة حتى أمام أشد الرجال..لم يكن أحد يجرؤ على اعتراض طريقها؛ فقد كان لها كاريزما خاصة "طلة مهيبة ذات قبول": بذاك الشعر الأبيض والعكازين وذاك الاصرار: تجبر من أمامها على احترامها وتلبية مطالبها.
- مستمعة جيدة جدا للرأي الآخر
- حياتها كلها للخير ..هي أشبه بالصحابيات.استمر عطاؤها حتى النهاية، لم تستسلم للمرض أبدا ..وعملت بطاقتها الروحية ولم يكن استمرار الجسد إلا تابعا لهذه الطاقة ولم يكن له مبررا سواها.

الجانب العملي

- هي رائدة بفكرها .. وعملها في العديد من المجالات: مجال الطب وروماتيزم القلب، باكورة المدارس الاسلامية
- لديها اهتمام بالغ بشئون المسلمين وبحث عن ميادين وساحات عمل يمكن أن تقدم فيها خيرا..-وكأنها لم تكتف بساحات العمل داخل مصر والعالم العربي فراحت تهتم بالعالم الاسلامي وكأن الأمة هي الوحدة الحاضرة في ذهنها والمحركة لعملها-. لديها توليد أفكار للخير باستمرار افكار قابلة للتطبيق العملي..افكار سرعان ما تجدها ماثلة امامك. من هنا فإن الفكر والعمل عندها لا يمكن الفصل بينهما على الاطلاق؛" بعد عودتي من رحلة إلى البوسنة راحت تستفسر مني عن الوضع هناك ثم سعت لعمل وقف للأيتام هناك يكون الوصي عليه الرئيس علي عزت بنفسه."
- بدأت عطاؤها مبكرا جدا منذ تخرجها .. واستمرت حتى النهاية .. لم تفكر في الراحة و لم يقعدها مرض مهما بلغت قسوته ..عملت بطاقتها الروحية و لم يكن استمرار الجسد إلا تابعا لهذه الطاقة و لم يكن له مبررا سواها.
- كانت دقيقة جدا وتهتم بالتفاصيل ..وحريصة على المشاركة في أدق الأشياء لتنال الثواب..فقد كانت تحرص على حضوري حفلات مدرسة الطلائع بل وتاتي لاصطحابي أحيانا وتحرص على الحضور بنفسها رغم ارهاقها الجسدي لما تراه في ذلك من ادخال للسرور على الأولاد وحرصا منها على نيل ثواب المشاركة .
- انشأت دار الامين للأيتام في حي السادس من أكتوبر فكانت من أوائل المنشآت في هذاا لحي وقبل إعماره بهذا الشكل الذي نراه الآن فلم يكن له طريق مباشر بعد .
- كانت لها رحلات لمداواة الفقراء والمعوزين في أفريقيا في فترة شبابها.

د. طه جابر العلواني

هي امرأة قطب في زمانها ...

النموذج الأول الذي غير قناعاتي الداخلية تجاه المراة

الجانب الانساني

- ربة مترل ماهرة، زوجة ودودة، وام راعية ومتعصبة أحيانا لبناتها، ومتابعة لمشكلاتهن.
- هي رغم انشغالها الشديد تهتم بالعلاقات الاجتماعية والمجاملات، تقيم الولائم وحفية جدا بضيوفها.
- شديدة التواضع
- لا شك انها صوفية ولكن التصوف السني وليس التصوف البدعي .. وكانت وزوجها يعدون انفسهم شاذليين. والتصوف السني هو ذلك النوع الذي يدعو للتفاعل مع المجتمع والسعي للتغيير والاصلاح فيه.
- هي عابدة تصوم الاثنين والخميس، تقوم الليل، لها ورد يومي لا تتركه، تبدأيومها من قبل الفجر وحتى صلاة العشاء.
- تنال قسطا قليلا من النوم خلال 24 ساعة، ما عندها وقت فراغ
- كل ذلك أعطاها روحانية عالية جدا، قدرة جبارة تفوق طاقة جسدها بمراحل، قبول وتأثيرشديد لدى الآخرين بحيث يصعب أن يرفض ما تطلب... كانت كالسراج في المكان كل من عاشروها وعملوا معها كانوا يمشون معها وكانهم تلامذتها.
- د. أبو الفضل زوجها كان عاملا إيجابيا ومساندا في حياتها
- حياتها في المرحلة الاخيرة –الخمسة عشر عاما– كانت تحياها بطاقتها الروحية فقط أما الجسد فكان واهنا جدا عن أن يبقيها.

الجانب العملي

- امرأة غير عادية متنوعة القدرات
- اتصالاتها واسعة جدا وعلى اعلى مستوى، بل وبكل المستويات..كانت تعرف مفاتيح الشخصية وتخاطب كل بلغته التي يفهمها.

- متفوقة، مثقفة جدا، محبة للقراءة، وعندها انتقاء جيد، مهتمة بشئون الامة .. ساهمت في تغيير تفكيري ومنهجي في العمل في المعهد عندما ناقشتني في اهمية الجمع بين الفكر والعمل وعدم الاقتصار على الأفكار المجردة دون تطبيقها واختبارها على ارض الواقع. وقد رأيت اتفاق ذلك أكثر مع النهج القرآني الذي لم يعنى بالأفكار المجردة بل ربط الفكر دوما بالعمل وبالواقع.
- هي تبدأمن الواقع، و لا تفصل أبدا بين الفكرة والعمل.
- عقليتها عملية جدا ومولدة للحلول دائما.
- اهتمت بقضية التربية وخاصة القيادات.. لذا اختارت أن تنشئ مدارس لغات إسلامية بعد أن لاحظت اقبال النخبة على مدارس اللغات فسعت لإيجاد مدارس لغات إسلامية تهتم بالجانب الديني والاخلاق الاسلامية لتستقطب أبناء تلك الفئة وتستردهم بعيدا عن الانحراف الفكري والأخلاقي.
- مشكلتها أنها –وككثير من مفكري الصف الأول– لم تهتم بكتابة استراتيجية على االورق تورثها لاخرين ينفذونها ..ان كتابة هذه الاستراتيجية هام جدا في إيجاد جيل ثان يحمل اللواء..وهنا علينا ان نتعلم من الغرب في اهتمامه بالمؤسسات التي تحمل الاستراتيجيات وتحميها.
- مشكلة أخرى هي أن القائد عليه أن يحسن الانسحاب ويفسح المجال في الوقت المناسب للجيل الثاني وربما هي غفلت عن ذلك.
- كانت تهتم بأدق التفاصيل حتى انها في المدارس مثلا كانت تتدخل في كلمات الأناشيد فتعدل فيها.
- البعد الرسالي "الدور الحضاري" كان حاضرا باستمرار في كل تصرفاتها لكنه غير مكتوب. وانفتاحها على الآخر واتصالاتهاالواسعة موظفة دائما لخدمة الرسالة.
- كان الهدف واضح لديها، كيفية تنفيذه به قدر كبير من الوضوح، لذا عند التنفيذ تحسن اختيار الوسائل و الأدوات.
- شهد لها أحمد توتونجي عندما رآها وسمعها لاول مرة قال "هذه المرأة التي يمكن أن تتحداني وتنافسني".

ميس شويكار:1

ان الطلائع كمكان كان يحمل من الصدق والاخلاص ما أكسبه سحر خاص وجاذبية لدى كل ذي قلب سليم

جانب عملي:

- كانت تتابع كل صغيرة وكبيرة، تعرف كل بشخصه حتى العاملات، تهتم بكل شيء: الدين، النشاط، اللغات..كان حملا ثقيلا بحق.
- المدارس كانت تركز على الدين (القرآن والاخلاق)، مستوى راق من التعليم العام، وخاصة اللغات، الأنشطة والمهارات.
- توفرت مجموعة عمل في البداية على قدر كبير من الإخلاص والحماس والايمان بالرسالة وهذا قل كثيرا الآن.
- هذه الروح في البداية أخرجت جيلا قويا بحق خلقا وعلما .. تتهافت عليه المؤسسات وتطلبه كافة المواقع
- هناك محاولات لاستقطاب هذه العناصر مرة أخرى ولكن هناك صعوبات منها: الحالة الاقتصادية، البيئة المحيطة: تغيرات المجتمع – بما انعكس في تغيير النفوس – تعددت المبادرات الخاصة الفردية والجماعية، المحلية والأجنبية في إقامة المؤسسات التعليمية الخاصة، وصارت تجارة مربحة لأصحابها، وقلت ان لم تنتف روح الخدماتية، ومع ارتفاع الطلب على الكفاءات التعليمية المميزة والقادرة، وما اكتسبه فريق الطلائع الأول، اشتد التنافس لجذبهم، من داخل مصر وخارجها، ولم تعد.

1 الأستاذة شويكار عبد المنعم وهى من أوائل المدرسات التي عملت في الطلائع، وإن كان يبدو من ملخص هذا اللقاء أنه كان لقاء عابر أو أن احتكاكها ومعرفتها بالدكتورة زهيرة كان محدودًا، ومن ثم ذكرياتها. ولرؤيتها أكثر عمقًا وتعبيرًا على مستوى مواقف عاشتها بعض المدرسات الفضليات مع الدكتورة زهيرة انظر مقالة أ.مايسة عبدالرحمن (ص 100)؛ كذلك راجع المقالة البليغة للأستاذة أميرة خازندار التي نشرت في جريدة الأخبار بعد رحيل الأم المؤسسة للطلائع (ص 43) .

تعليق

- ان قوة الفكرة والصدق والاخلاص لها داخل د. زهيرة ذاتها أدى لجذب عناصر صادقة ومخلصة سخرها الله عزوجل لها أعانتها في سبيل الخير ففازت وفازوا وفاز المجتمع بعموم الخير.
- "الإناء بما فيه ينضح" وقد كانت "زهرة" ممتلئة بالخير' فنضحت على كل من حولها فعم الخير في مجالها.
- ربما السر الأهم في هذه التجربة هو تلك الروح داخل زهيرة عابدين.

وأخيرا فإنها نموذج لا يخلو من السلبيات –ذلات– على المستوى الأسري وأيضا على المستوى العملي، ولكنه الخطأ البشري الذي لا تخلو منه تجربة انسانية مهما بلغت روعتها. وإلا فإنها تجربة لا تنتمي لهذا العالم . وقد كانت تجربة زهيرة عابدين تجربة حقيقية تنتمي بكل جمالها وما تحمله من خير لهذا الواقع المرير الذي حاولت جعله أخف ألما واكثر جمالا . تقبل الله منها، وغفر لها ذلاتها، ونفع بها من خلفها.

مارس / ابريل ٢٠٠٧

الملحق الثالث

بمناسبة احياء ذكرى اليوبيل الذهبي
لجمعية اصدقاء الأطفال مرضى روماتيزم القلب
(2007- 1957)

من ملف سيرة أم الأطباء، الدكتورة زهيرة حافظ عابدين —
شبكة المؤسسات الصحية، الإجتماعية والتعليمية التي أسستها وراعتها:

(مخطط اولي لمشروع بحثي يعد له رواق زهرة
لاستكمال أعمال المجلد التذكاري في جزئه الثاني)

مراجعات و مســـــارات

في المؤسسات المختلفة التي اقامتها أم الأطباء، طيب الله ثراها وأنعم مثواها، وبارك لنا في سيرتها العترة وفي عملنا بمقتضاها، آمين!!

وهي جميعها تقع ضمن ما يمكن ان نطلق عليه مؤسسات وقائية، علاجية، جذرية ومتكاملة، اذا ما اطلقنا معنى الصحة ليشمل أبعاد السلامة والإستواء على مختلف الأصعــــدة، العضوية والمعنوية منها، البدنية والنفسية، العقلية والروحية، الفردية والإجتماعية ... وهو مفهومها للصحة كما تمثلته وعاشته ممارسة ومثالاً.

ولكل مؤسسة من هذه المؤسسات سيرتها ومسيرتها، ولكل مبادرة منها فرادتها، وملابساتها، وخصائصها، وتحدياتها، وعوائقها، واقتصادياتها، ومثالياتها وفعالياتها، ولا يمكن ان تتضح المعالم لكل منها، و تتكامل، ما لم توضع في موضعها الصحيح، و ما لم تؤخذ ضمن سياقاتها الكلية: فكل مبادرة هي بمثابة صورة مصغرة لكل أكبر، هي انطلاقة له أو تفريعـــة، لمخزون او رصيد اعمق وأشمـــل ...

وما لم تدرك هذه السياقات، وما لم نتعرف على تلك العلائق والمكونات والكوامن، لغابت عنـــا لـــُب التجربة، وموضع فرادتها ومغزاها ومداها، ولما ادركنا معنى ودلالة ومكمـــن الجديد والفريد فيها ...

ولعلنا من اجل ان ندرك شيئ مما نصبو اليه في ذلك، لعلنا نراوح في طرحنا بين منافذ شتى في سبيل استيعاب ما يهمنا من أبعاد موضوعنا، ولعلنا نبدأ بخريـــطـــة الموقـــــع لنحدد أبرز معالمه ما بين بـــُنىً و برامج، ثم نعود لنلحقها باســـتراتيجيــــــة الرؤيا، او بالأطر المرجعية التي تتشـــكل ضمن الرؤية المؤسسّة والهادية ...

ثم لعلنا نتحرك بين هذه وتلك، عبر التعرض لظروف النشــــأة، او ملابسات وميلاد المبادرة، وسياقاتها التاريخية، بما كشفته من الحاح الحاجة المعنية، ونعود منها الى حرارة الإستجابة، طرف صاحبة الرؤيا والعزم.

وهكذا دواليك، الى ان نتلمس اطراف الموضوع على النحو الذي يبرز تمايزه ... وعطائه ..

وان كنا نعرض لهذه الجوانب المختلفة في اطار يركز على المؤسسة بذاتها وتراثها، دون الإسهاب في الحكمـــة والحنكة والدلالات إلا بالقدر الذي يؤطر للموضوع الرئيسي ويجليـــه، حيث ان الأبعاد المعنية بتلك الأبعاد الفلسفية منها والعملية، هي موضوع لدراســـة مستقلة.

وفي هذه العجالة نحن ازاء انعام النظر في الخبرة المؤسساتية على وجه التحديد، لنتعرف على اهم ملامحها وخصائصها مقتصرين في مطلع العرض على تحديد عناصر الخريطة الأولية.

الخريطة الأولية: عناصرها**

العيادة الخارجية في ابو الريش (النواة الأولى لبرنامج متكامل وحملة موصولة ومؤسسة متنامية ومتشعبة: ميلاد الرؤيا وابتكار الأدوات لتنفيذها ...)

تأسيس الجمعيـــــة الأم: **جمعية أصدقاء الأطفال مرضى روماتزم القلب:** وعنها تفرعت وتواصلت جملة وتفصيلا مجموعة من المؤسسات (المراكز والجمعيات) والبرامج، والخدمات على النحو التالي:

مركز روماتزم القلب بالهرم: كمركز نقاهة، وعلاج (مجاني)، وأبحاث علمية، وبرامج توعية وتحصين في المراكز والنجوع والقرى المحيطة، وكنموذج لشبكة متنامية من المراكز التابعة المتصلة والمستقلة على مستوى مدارس وجامعات (مستشفيات جامعية وكليات طب) في الجمهورية، والتي سوف يدعمها المركز لوجستياً وفنياً وخبراتياً ويمدها بالكوادر المدربة،

وكذلك دور المركز كموقع للتعليم والتدريب بالنسبة للأطباء الجدد والعاملين في المجال، وبالنسبة للأطفال المرضى والمقيمين في حالة متابعة ونقاهة واستشفاء، فتحول ايضاً الى موقع لمتابعة التعليم (المدرسة، والتي تطورت فيما بعد لتخدم دائرة من محيط المركز)، وكذلك الى موقع للتأهيل المهني والتدريب على المنتجات الحرفية ...

إقامة حدات وبرامج تخدم المجتمع / الجماعات المحلية والمجاورة (مع التركيز على دور المرأة الأم في الأسرة ..) والإشراف على تأسيس مراكز روماتيزم القلب متخصصة في الجامعات الإقليمية.

برامج ثقافية تعبوية خلال فترة حرب الإستنزاف بعد نكسة 67، ومنها ما كان جمهورها من السادة "اصدقاء الجمعية" و دوائر من اوساط المثقفين والمهنيين واصحاب القرار للدعم المعنوى للجهود الدائرة آنذاك على المستوى القومي، وكانت امكانيات الجمعية ومواردها وطاقاتها وابنيتها تسخر في دعم جهد المعركة حين الطوارئ، طواعية، وبقدر الحاجة، من خلال مبادرة واستجابة سريعة وعملية، مدفوعة بحساسية عالية وتقديرات ناجزة من موقع استشعار المسؤولية التي لازمتها دائماً ابداً مع تعدد وتغير المواقع) —

وكانت هذه البرامج الثقافية (أمسيات ومحاضرات) يقدمها زمرة من الأفاضل العلماء والمتخصصين، كل في مجاله، هي النواة لسلسلة المحاضرات التي اصبحت من نشاطات الجمعية في القاعة المعدة لهذا الغرض في معهد صحة الطفل بالدقي عندما اسس في منتصف السبعينات .. واستمرت بعدها لتؤسس لموسم ثقافي .. باب من قسمات ومعالم الحياة الإجتماعية والثقافية في الثمانينات والتسعينات ...

دار الطلبة المتفوقين (والمغتربين والمعوزين) في شارع السودان والذي صار منارة مشعة في شباب الأحياء الشعبية المحيطة، فضلا عن دوره في دعم ورعاية الطلبة رعاية اجتماعية وثقافية وصحية وعلمية وانسانية متكاملة

جمعية تعمير واستطصلاح الأراضي وتنمية البيئة في وادي النطرون (والتي استقلت بادارتها الجمعية العربية للتربية الإسلامية (؟)، والتي تأسست كذلك تحت رعاية الجمعية الأم، جمعية اصدقاء الأطفال ...)

معهـــــد صحـــة الطفل: كمركز رائد في حينها في الشرق الأوسط لرعاية صحية متكاملة للطفل والأسرة وكموقع للخدمات الملحقة ... (عيادات خارجية، معامل وأشاعات، دار حضانة، دار للطالبات المغتربات (؟؟)، دار للمسنات، مركز للخدمات الإجتماعية، قاعـــة محاضرات ....).

مشروع **مدارس الطلائع الإسلامية للغات** في النصف الثاني من السبعينات والثمانينات (مدرسة مصر الجديدة، ارض الجولف — ومدرسة المهندسين خلف مسجد مصطفى محمود).

وهو مشروع ابداعي يستهدف جمهور الطبقات الوسطى والوسطى العليا - شرائح من النخبة — الذين عادة ما يرسلون ابنائهم وبناتهم الى المدارس الأجنبية طمعاً في مستوى رفيع من

التعليم، وتفادياً للمدارس الحكومية التي تدنى مستواها، ... ولكن مع تأسيس التعليم فيها على اساس اسلامي قوي ومتفتح، بحيث يخرج جيلا ملتزما، متفوق وفقاً لمعايير العصر العلمية والتعليمية، وراسخ الهوية وسليم المعتقد والخلق ...

ميلاد نشاط موازي في منطقة حي الحسين والأزهر، منذ منتصف السبعينات، منطلقاً من **جمعية الشابات المسلمات** تضمن (1) شبكة من الخدمات الإجتماعية والصحية والثقافية، وكذلك (2) دار للطالبات المغتربات (2) تأسيس مدرسة الطلائع الإسلامية للغات في بورتوفيق، حلقة في سلسلة مدارس الطلائع، ولكن تحت رعاية الشابات المسلمات بعد الإنقاذ والتجديد واعادة التدشين لتحويلها الى جمعية فاعلة احتذاء بنموذج الجمعية الأم ...

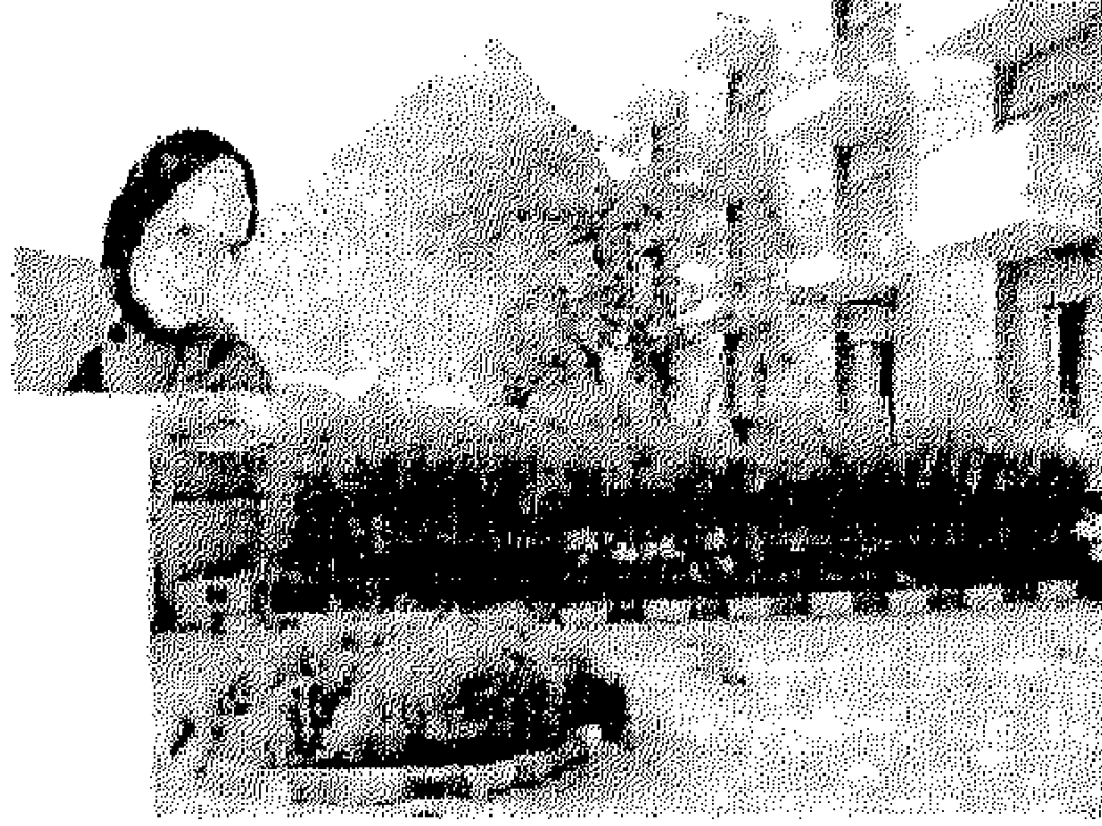
وقد جاءت استجابة أم الأطباء لطلب شخصي من قبل وزيرة الشؤون الإجتماعية في حينها، لتولي امور الجمعية العتيدة في مطلع السبعينيات بعد ان كان قد تدهور حالها وباتت مهددة بالشلل والإفلاس. فأخذت بزمام الأمر فيها واعادتها الى عصب الحياة، وسلمتها مركزاً حيوياً مشعاً الى من اتى بعدها .

دور الأرامل والأيتام في مدينة ستة اكتوبر، وكذلك مجمع تعليمي يحتوي اضافة للمنشآت التعليمية على سكن للطالبات الجامعيات / المغتربات وذلك استجابة منها واستشرافاً لطبيعة ومتطلبات مدينة من المدن الجديدة في القطر المصري، وقد سبق لها خبرة تأسيس الملاجيء ودور الطلبة والطالبات، وكبار السن قبل ذلك في اطار ما قدمته من خدمات اجتماعية شتى منذ الستينات ضمن جوامعها المؤسساتية الأخرى.

على مستوى آخر، وخارج مصر، استكمالا لمسيرة أم الأطباء الطبية العلمية والأكاديمية، فقد تولت تأسيس مشروع رائد في التعليم الطبي الحديث بتأسيسها **كلية دبي الطبية** للبنات ككلية نموذجية للطب الإجتماعي ... مع تصميم منهج جديد من نوعه يجمع بين العلوم الطبية الحديثة والأبعاد الأخلاقية والحضارية في اطار يختصر الزمن ويعمق المضمون، مصمم وفقاً لاحتياجات الموقع الخليجي (في اطار خصوصيات المجتمع، وتلبية لحاجياته)، و تم اعتماد هذه الكلية بمناهجها وشهاداتها والإعتراف بها دوليا وعلى مستويات الجامعات الغربية والعربية (كلية طب القاهرة، كما في ليستر في انجلترا، وفي امريكا، ومنظمة الصحة العالمية..)**

**** راجع الخارطة البيانية لمنظومة المؤسسات والخدمات المتكاملة التي أقامتها أم الأطباء في مسيرة خمسة عقود من العطاء المتصل، وذلك في الملحق الثاني للقسم الإنجليزي من هذا المجلد.. ص 67 وما بعدها.**

عبـــــور



بين الوِرْدين ينجلي المقام .. وبين ضفتي الكتاب الذي بين يدينا ، ومن خلال المشهد والعبارة، تنجلي محطات في سيرة ومسار ، المؤسِّــس والمؤسَّـســة ، ليبقى الختــام دوماً إرهاصة فاتحــة متجــددة ، في عبـــور لاينقضى ...

م.أ. ف



Photo 82



Photo 83



Photo 77

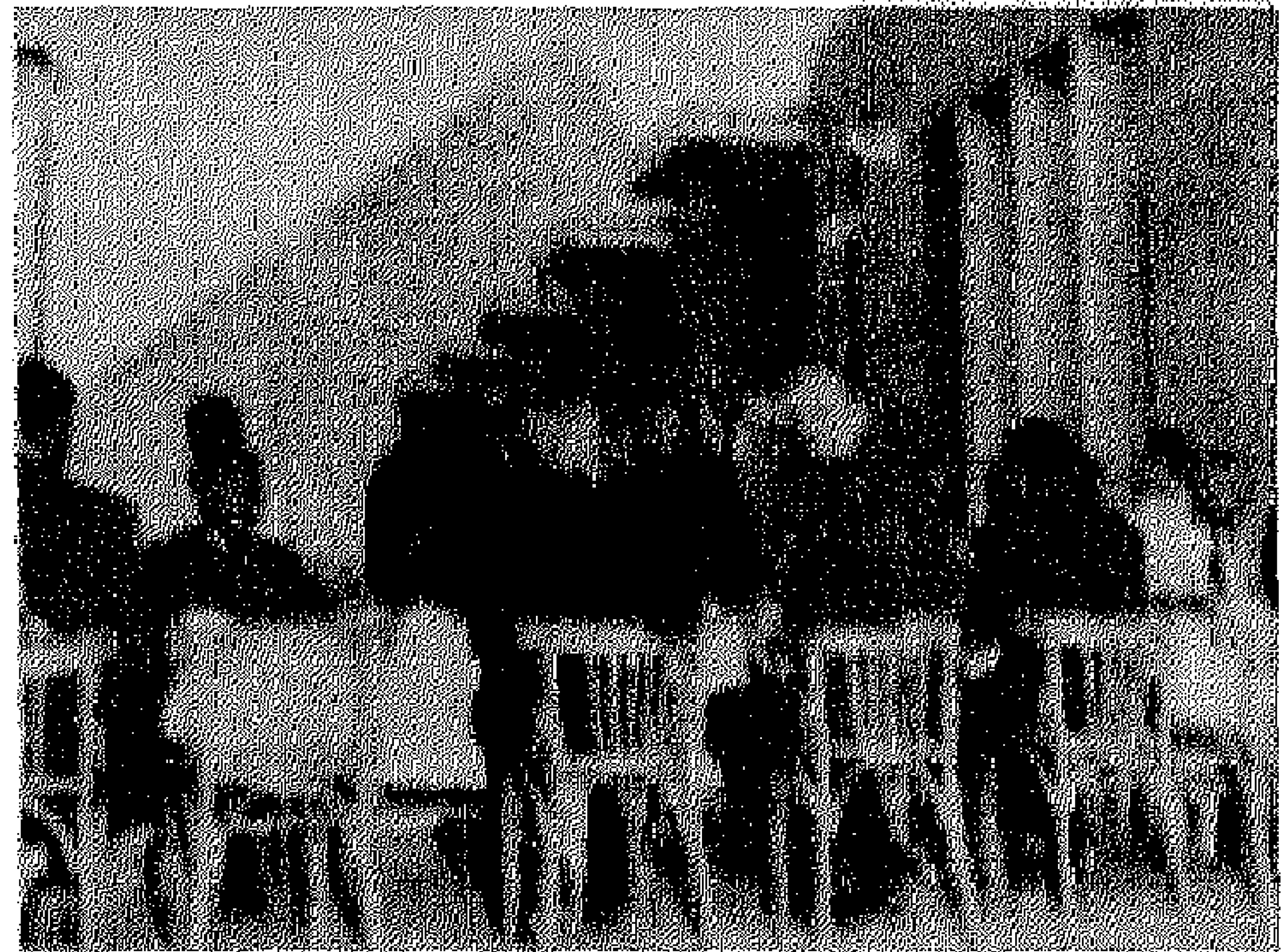


Photo 78

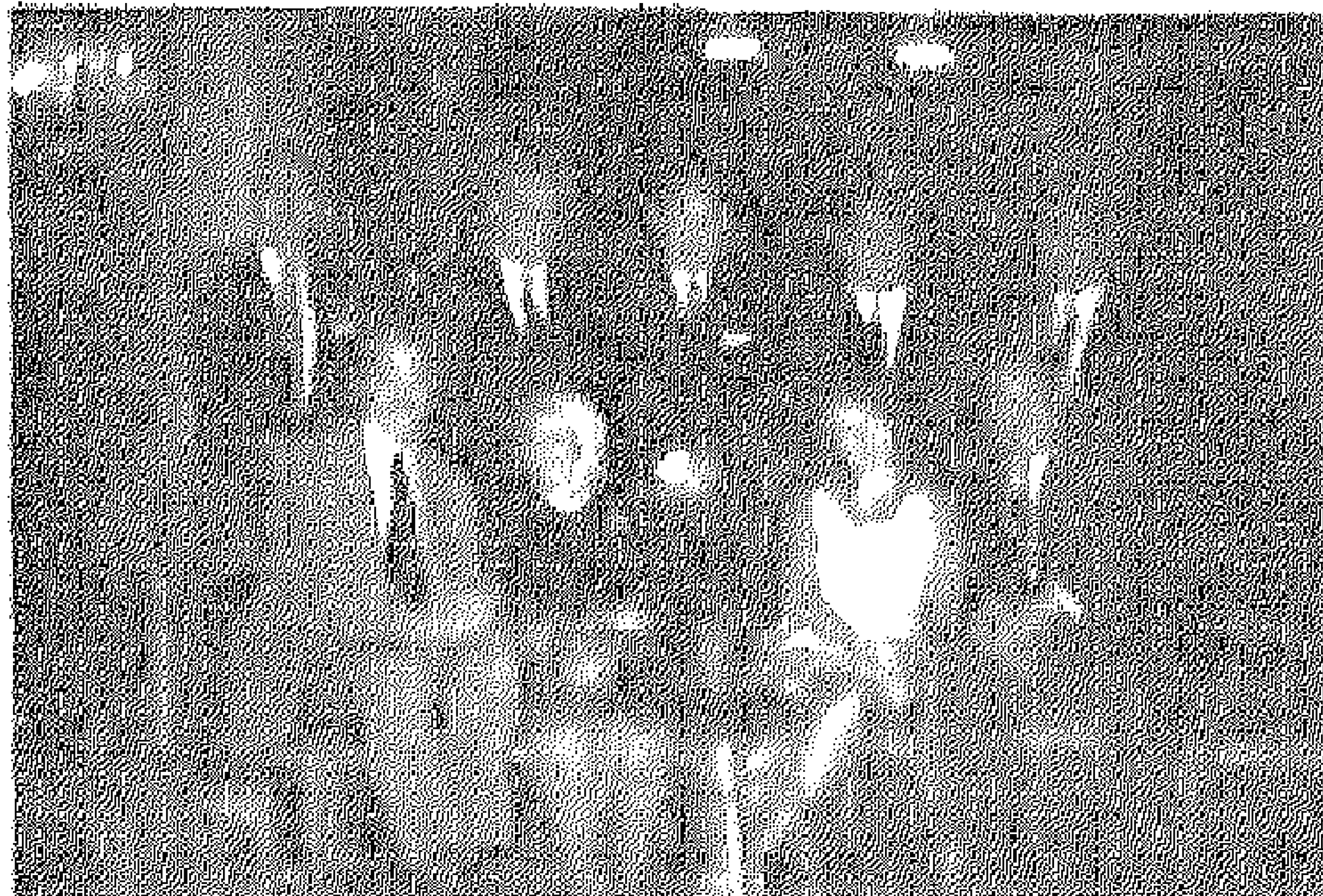


Photo 79



Photo 80



Photo 81



Photo 72



Photo 73

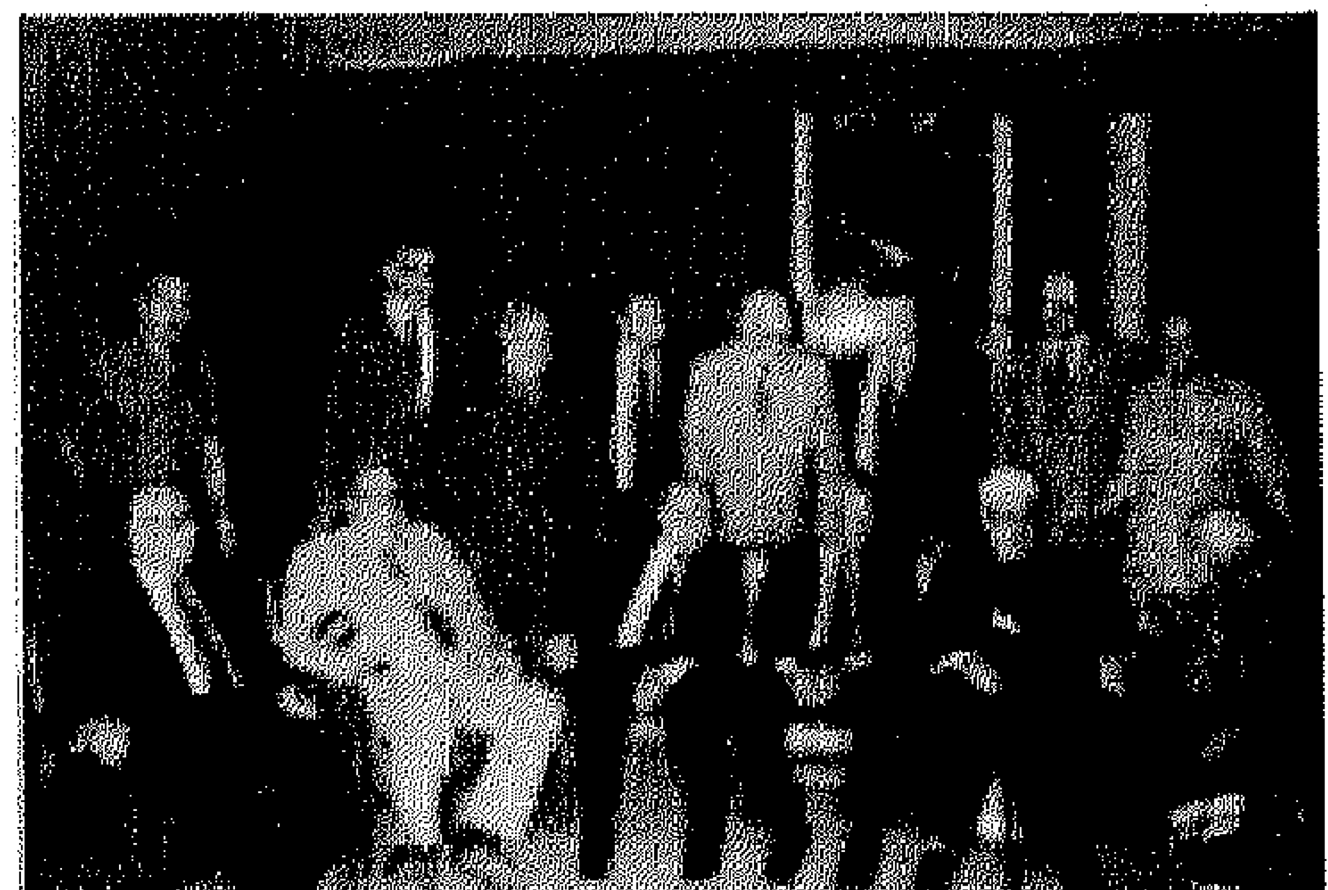


Photo 74

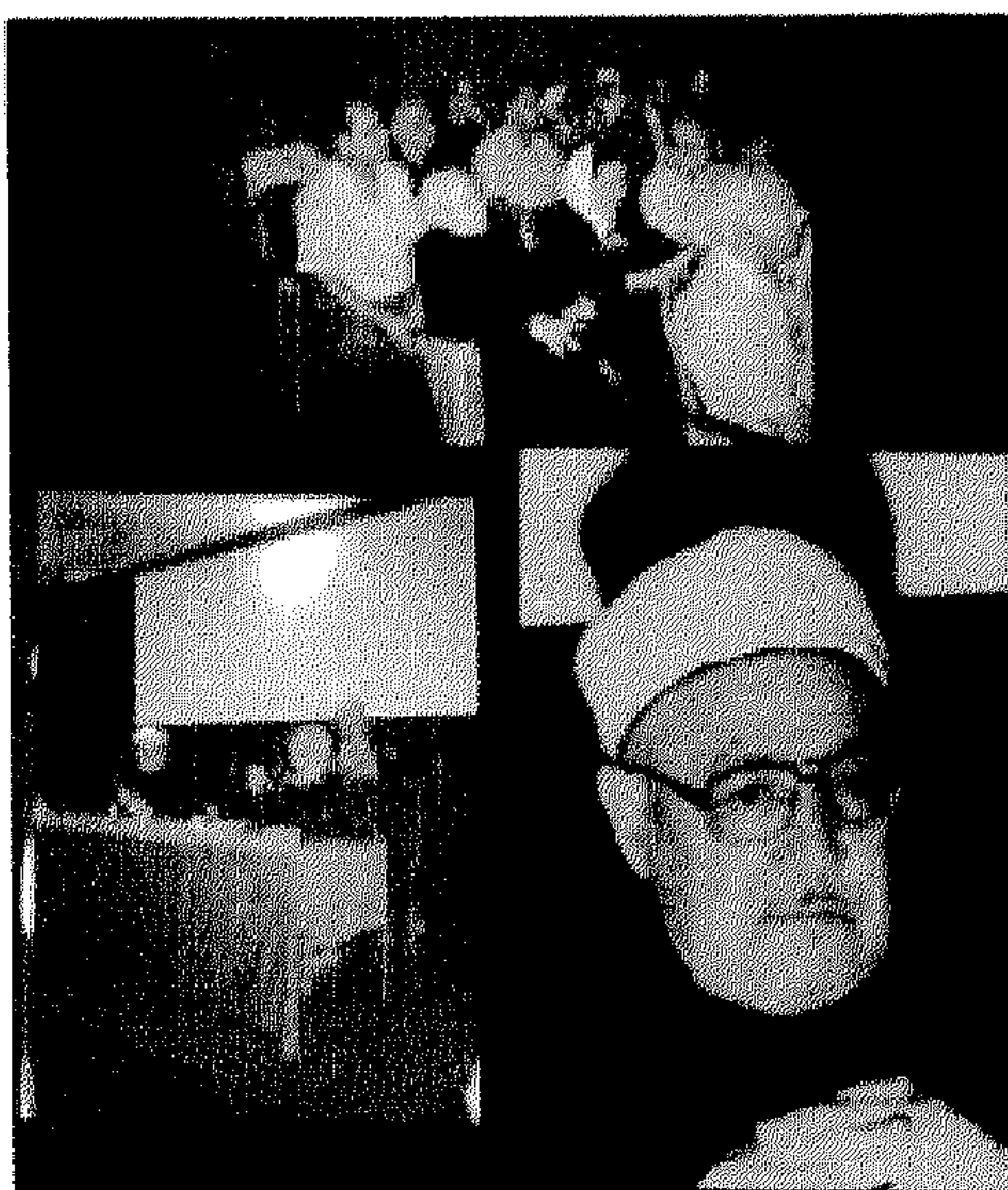


Photo 75



Photo 76



Photo 67



Photo 68



Photo 69



Photo 70



Photo 71



Photo 61



Photo 62



Photo 63



Photo 64



Photo 65



Photo 66

resulted in a humiliating defeat for the Arabs and an expanded occupation. The photos here depict two prominent elders who remained loyal supporters of the Association to the end of their lives: Engineer Osman Ahmad Osman (72) one of the leading contractors in the Arab world who contributed much to laying the developmental and urban infra-structure of the country in the latter part of the 20^{th} century. He also contributed generously to founding the Child Health Institute, thanks to a sustained personal interest, conviction, and admiration for the work and person of Dr. Abdin. Sheikh al Ghazali (75), at the forefront of modern Islamic Reform and an independent leader with a mass following, frequented the Association's cultural forum where he was often a principal speaker and participant.

Photos: 77 – 81: Visitors came from near and far. They included the many American visitors who watched the Center grow from its early beginnings in the sixties and with whom Dr. Zahira engaged in significant scientific research projects on RHD. The output of this research contributed to combating the disease as well as to funding the activities of the Free Rheumatic Heart Center. To note too, despite the hiatus in US-Egyptian diplomacy in the sixties, scientific and personal relations were not compromised - as shown by the informal reception of Washington's ambassador to Cairo – Henry Cabot Lodge – accompanying doctors visiting from the United States (78). Dr. Abdin's hospitality extended to the families of the doctors she hosted, as shown in the picture of the family from Utah, the Zimmermans (80)

Photos 82-83:Throughout a career of passion and compassion, where professional skill and excellence were wedded to the many virtues that crowned a lifetime of caring and giving, Zahira remained the uncontested matriarch – as a picture of members at a board meeting on the terrace of the Center reminds us. However, more than the leadership and mission into which she seems to have been naturally born and mandated, it was the recognition and affection that she inspired from the generations she mentored that stand out at times of reflection and remembrance. In retrospect, it was this aspect that contributed to lightening the burden of the last beclouded decade of woes and strife – To those who knew her then, it was heartening to see her face radiate with that genuine gentle smile that was her signature salutation in earlier times. Tokens of recognition, love and loyalty were becoming precious rare in a world that was knuckling under before the onset of a sweeping wave of materialism, selfishness, corruption, and apathy that was overtaking Egyptian society at the turn of the new century.

The point to make in concluding this photo essay is that of all the accolades Zahira Abdin might have received, of the many and diverse awards and honors that crossed her path, unsolicited, the dearest and closest to her heart were those spontaneous expressions of love, respect, loyalty, and recognition. This is what made her election by her colleagues and (disciples) in the profession as "Mother of all Egyptian Doctors" in the early nineties so special for her. It is this too that makes the picture taken at a ceremonial event in Dubai Medical College in 1994, courtesy of Dr. Salah Shoheib, student, disciple and colleague, commemorate more than the event itself to celebrate a moment etched in eternity.

Photos 61-66: At the core of the Association of Friends was a circle of loyal and dedicated supporters that included the ladies of the Association. In fact the Association had started out with a close knit group of committed young women, themselves often mothers of Dr. Zahira's young patients in the early years before she sacrificed her private practice to her altruistic career in public charities. In fact many of these women came from middle and upper class families, primarily home-makers, who experienced their first coming out to society and into public service through Dr. Abdin's encouragement and example. At the center of this circle of ladies were dynamic figures like Abeyya Hanim Reza who would frequently turn their homes (and families) into hives of activity and dedication running the affairs of the Pyramids Center, as if it were extensions of their own private household, and exhibiting a genuine spirit of giving and teamwork, as they rotated duties and responsibilities among themselves and coordinated with those working at the Center. Among the enduring mainstays of the latter were Sitt Attiyah (Mahmoud Fahmy) and Sitt Fahima, respectively, chief nurse and chief cook.(63). In addition to their vital social work, many of the ladies frequented the public lectures held at the Pyramid Center and later, as shown here, in the CHI auditorium. (65, 66)

Photos 67 – 71: Like a magnet, Dr. Abdin's example and selfless dedication continued to attract friends and devotees from all classes and sectors of society who came to visit the children and offer their services. Among the earliest such visitors to the Pyramids RHD Center were Mrs. Jihan Sadat (67) who would shortly thereafter become Egypt's First Lady, and Umm Kalsoom, Egypt's renowned singer prima donna, better known as the Star of the Orient. Whether with the Friends of the Association (68,69) or with the children (70,71) Umm Kalsoom was equally at home, with family, thanks to an enduring kinship of spirits that would outlast Zahira's childhood to the Diva's last days. Like the cultural elite of his day, Hafez Bey Abdin was a regular front bencher at the shows of the upcoming stunner from the country side who had started out her public career donned in Arabian male garb and headgear, a 'ogal, in deference to the traditions of a conservative family. Accompanying him was his youngest daughter, his favorite and constant companion, who caught the eye and heart of the young singer enough to frequently pick her up and place her on her lap in the intervals between performances. It was not surprising that the Association of Friends of Sick Children would be one of the first charities Umm Kalsoom would single out in the sixties for a voluntary public performance presenting one of her latest songs at the Kasr al Nil cinema theater. Many years later, she would invite Dr. Zahira to chair a society set up in her name shortly before her death, an offer that was tactfully and judiciously turned down, in return for a promise and reassurance to be always there for support and counsel – a stance consistent with Zahira's lifelong desire to maintain a 'low' profile and to keep out of the limelight, including that which flooded the stage of Egypt's vintage artist.

Photos 72 - 76: The Circle of Friends extended to key figures in Egyptian society who frequented the cultural forum of the Association. That cultural forum had its roots in the sixties, and played a noteworthy role in rallying public morale among the educated and professional classes in the aftermath of the 1967 Arab Israeli confrontation that



Photo 58



Photo 59



Photo 60



Photo 52



Photo 53



Photo 54



Photo 55



Photo 56



Photo 57



Photo 46



Photo 47



Photo 48



Photo 49



Photo 50



Photo 51



Photo 41



Photo 42

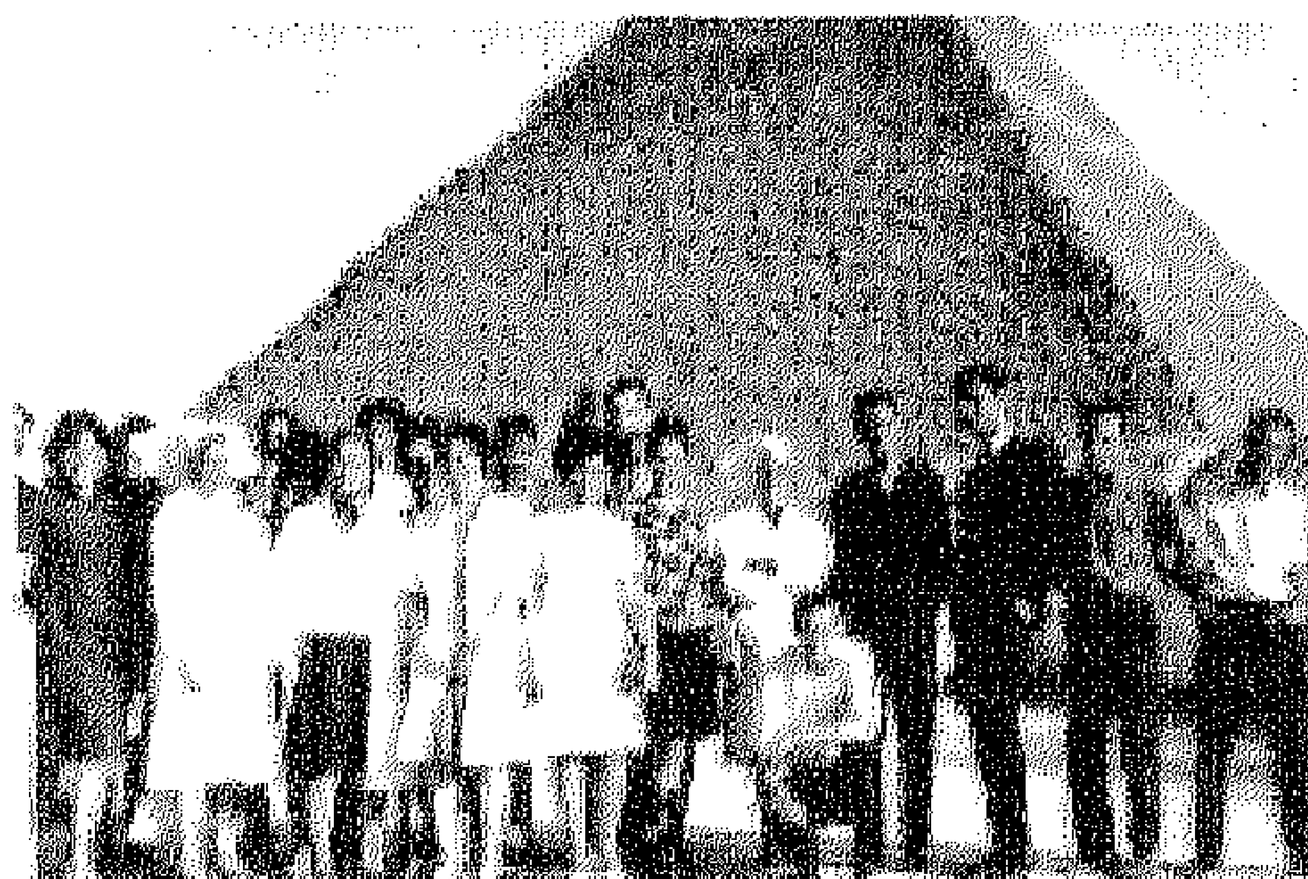


Photo 43



Photo 44



Photo 45

practical and compassionate doctor whose patriotic instincts combined with a keen sense of priorities to make for a prompt and timely response to the country's needs. The plastered window panes were a relic of the times. Its community outreach programs that turned its hospitals, hostels, and schools into sundry service centers of excellence responding to various constituencies was a tradition that would continue long past the years of its founding, to keep the flame kindling. To this day one of the regular Ramadan features of the Association is to extend its care and hospitality to kindred constituencies among its needy neighbors, as the young guests from other philanthropic Associations are welcomed to share a meal and socialize. (55, 56)

Throughout, as from its very beginnings, and under the watchful eye of its founder(s), the Center remained a haven of love and compassion that fostered touching friendships among its young inmates (57) and gave hope to those destitute and abandoned by renewing their lease with life, through providing free care and shelter for the little ones, and support and education for their mothers (58, 59) as part of what would expand into effective community outreach programs impinging on many run down neighborhoods in Cairo and the provinces. No effort was spared to secure the funding for these activities as they spanned the modest beginnings at convening charity bazaars that became a byword of their day for the quality products that were procured by the Friends, and to which the ladies circle made a significant and memorable contribution. Zahira's involvement touched on every detail (60), and her personal lobbying and bold medical research undertakings that were simultaneously in progress, alongside the thrifty and careful husbanding of resources for which she was noted, ensured the foundation its material grounds in its critical early years.

Photos 41 – 45: More than the stone and concrete left behind in witness to a lifelong dedication and single-mindedness, to those who personally knew her, or knew of her, Zahira remains a model of conduct and a living inspiration. The pictures that follow convey something of the active institutional memory of the Association founded in the late fifties where she played a central role in animating its spirit through her many-sided talents as clinician (41), teacher and instructor (43), founder and director (42), as well as social and cultural animator to the many and diverse friends she hosted on the famed terrace of the Pyramids RH Center (44, 45).

Photos 46 – 50: Zahira was primarily a nurturer of hearts and minds who remained through life committed to the renewal of generations through a path that identified the health of the nation to a well being that began with its children but did not stop there. As Educator she may have begun her career at the end of the forties at the Abou Reesh and Kasr al Aini teaching compounds and crowned it forty years later with her imprints in renewing the curriculum of teaching medicine to the young candidates in Dubai in the late eighties. But one of her enduring and little remembered achievements was taken when at the outset of her health charities she instituted a teaching and rehabilitation program for the children she sheltered at the Pyramids Center by arranging for her young wards to join primary schooling in the backyard of their convalescing dorms (46, 47) and for those slightly older, arranging for them to train in suitable crafts – like weaving - that would stimulate their creative skills, prepare them for productive lives, and enhance their self-esteem and with it a wholesome recovery. Through compassion, foresight and the mellowing sensibility of a seasoned nurturer she made sure that poverty and disease would not stand in the way of assuring a basic education for those "poor, innocent children" she loved – even as she moved on in her ambitious aspirations for the betterment of minds and spirits to target and embrace other sectors of the population who she believed could benefit from a more balanced, integrated and holistic cultural upbringing. This she did in the late seventies, at the first opportunity national educational policies would permit, by pioneering an affordable private pedigree schooling venture exemplified in "The Vanguards of Excellence" - the Tala'iye Model. (48, 49, 50, 51)

Photos 52 – 60: It was the sustained and focused attention to a Cause -a trait not particularly typical of the general host culture - that became the hallmark of the voluntary Association founded in the later fifties. Projecting the character of the authentic and persistent will and vision of its founder, this trait assured the Association its survival through thick and thin across the eras of change and turmoil in Egyptian politics and society. Ironically the strength of the Association bore the seeds of its weakness, as this trait was bound to the person of the founder and would leave the institution vulnerable at its coming of age. These pictures may not adequately convey this meaning but they do point to a trail and a tale of contrasts and continuities through juxtaposing images of an indefatigable trek, where ill health and age did not keep the matriarch from the pursuit of her lifelong passion and commitment (52, 53) and the Association mirrored this versatility in its pursuits. On one occasion (54), the RHD Center welcomes the return of its original inmates and staff after it had been turned into a refuge for the care of wounded soldiers (1967, 1973 wars) on the initiative of a

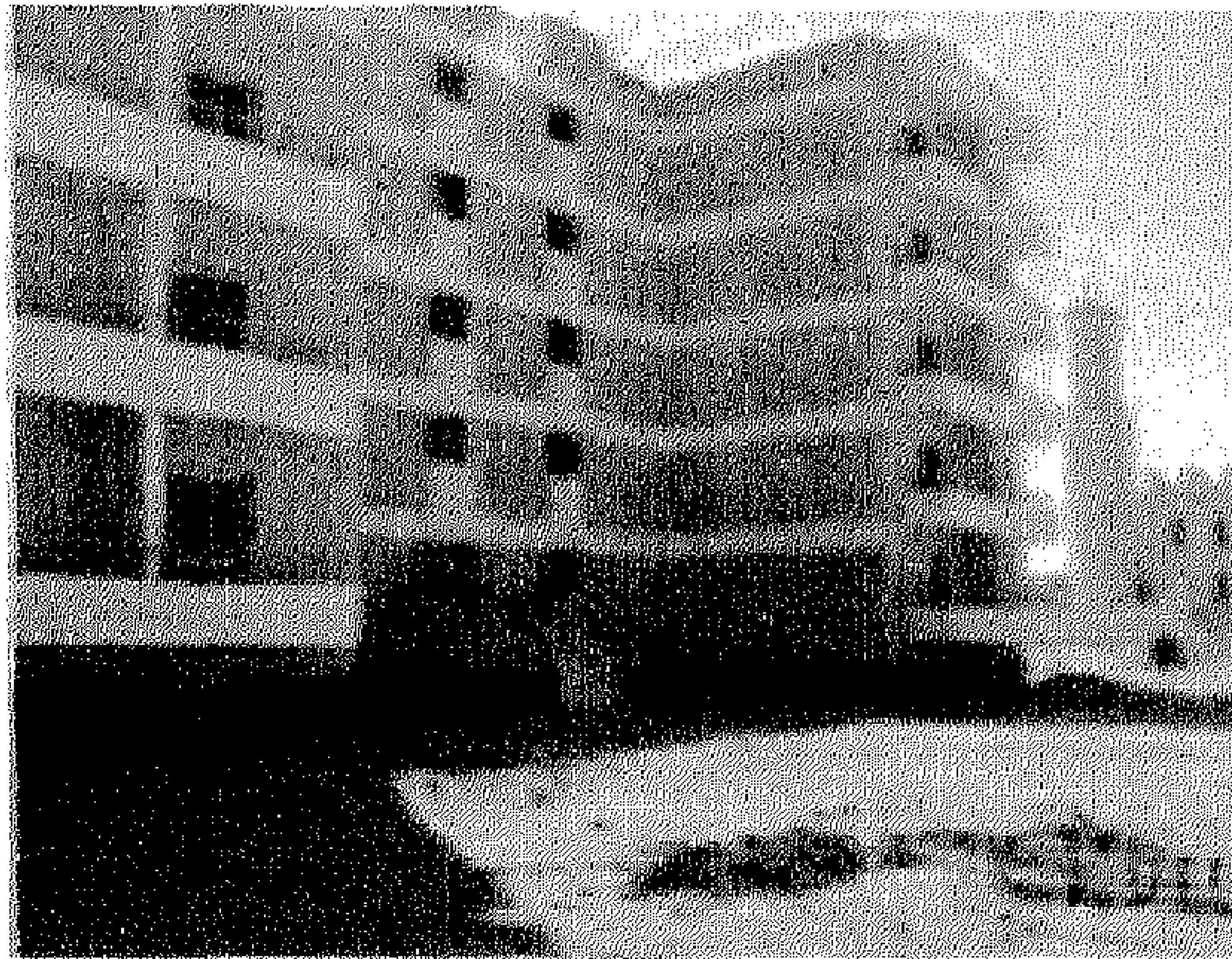


Photo 37



Photo 38



Photo 39



Photo 40




Photo 35

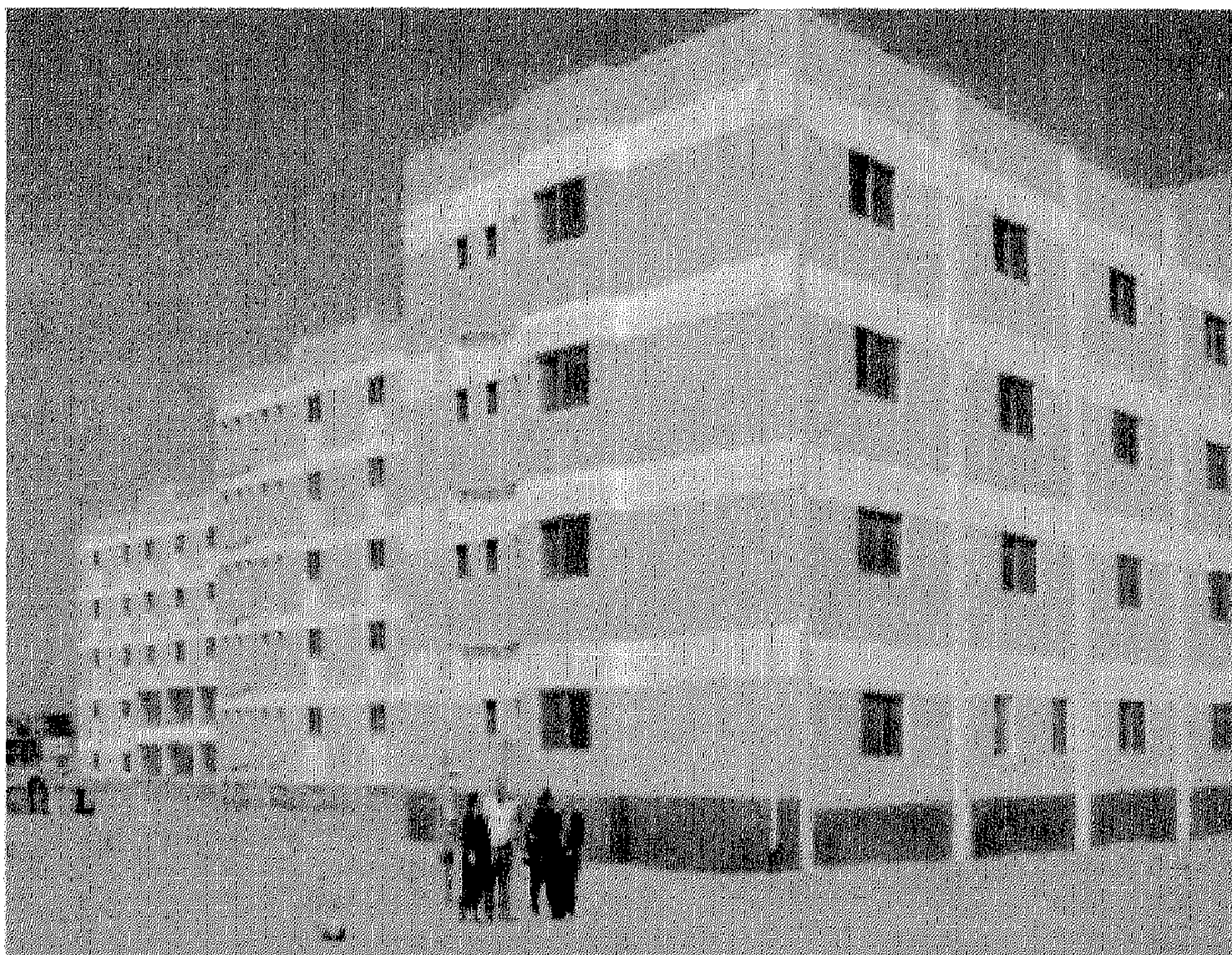


Photo 36

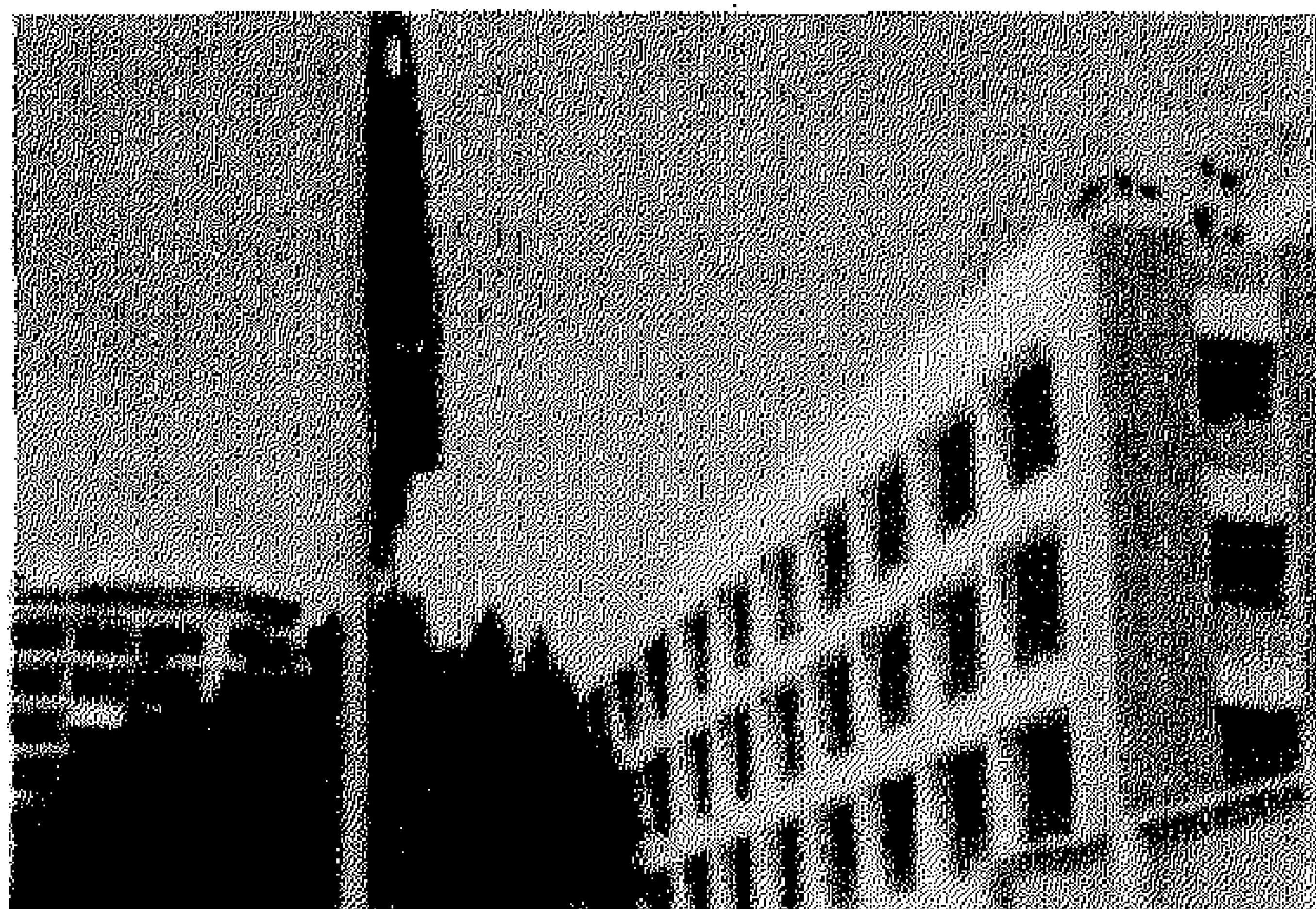



Photo 31




Photo 32



Photo 33



Photo 34

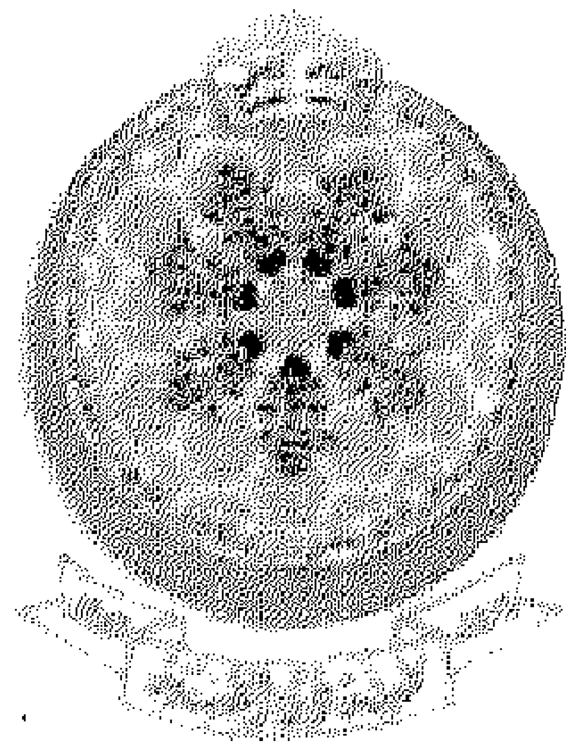


Photo 25

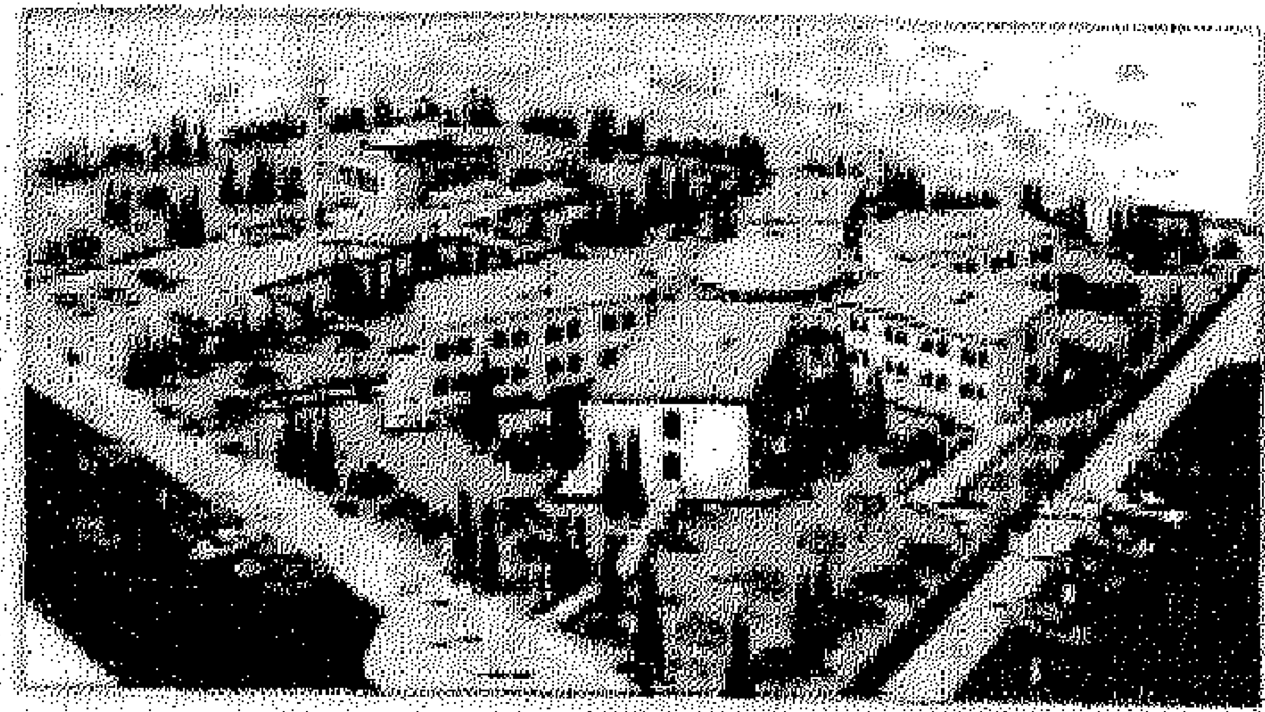


Photo 26



Photo 27

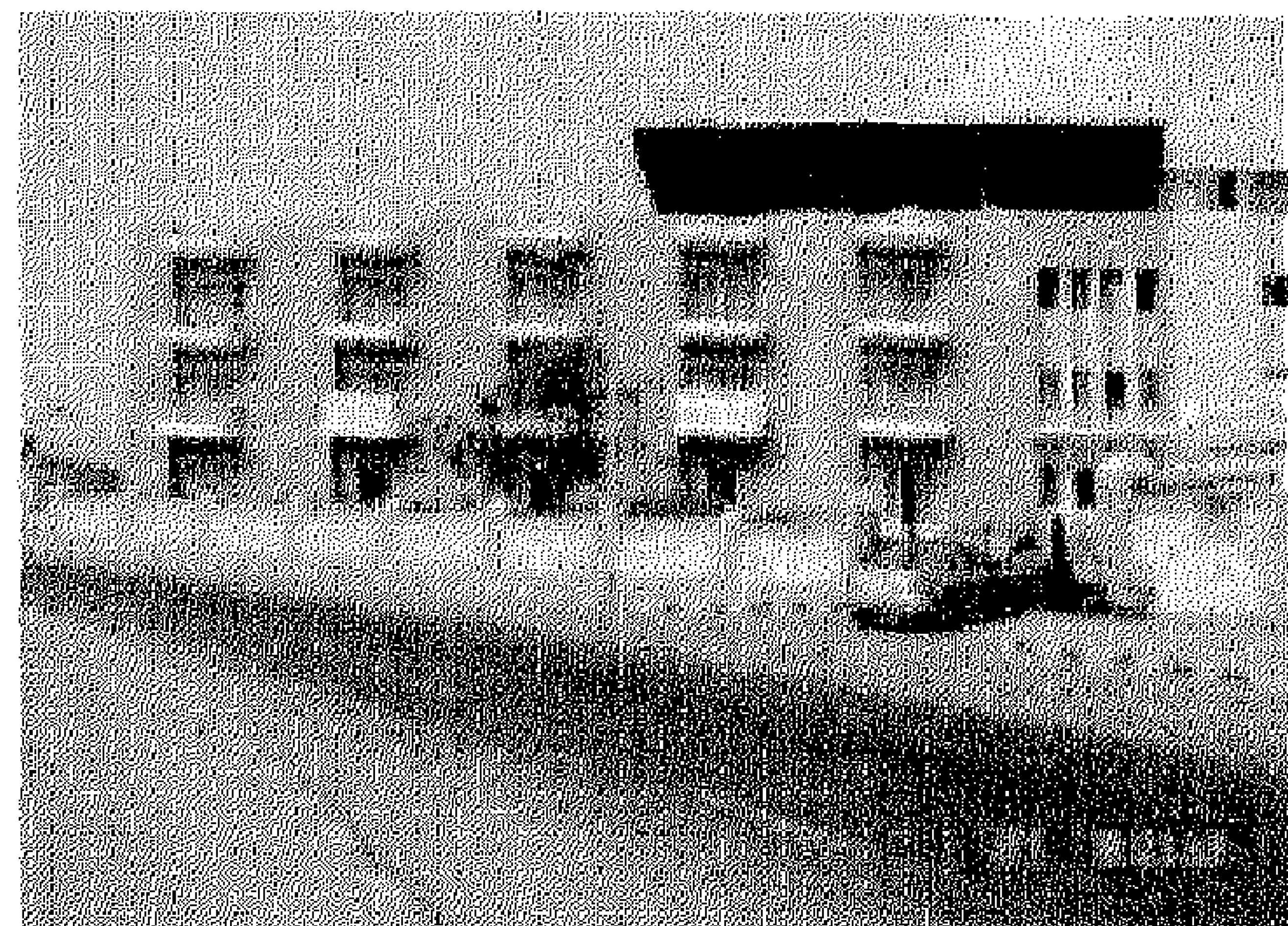


Photo 28



Photo 29



Photo 30



Photo 21



Photo 22

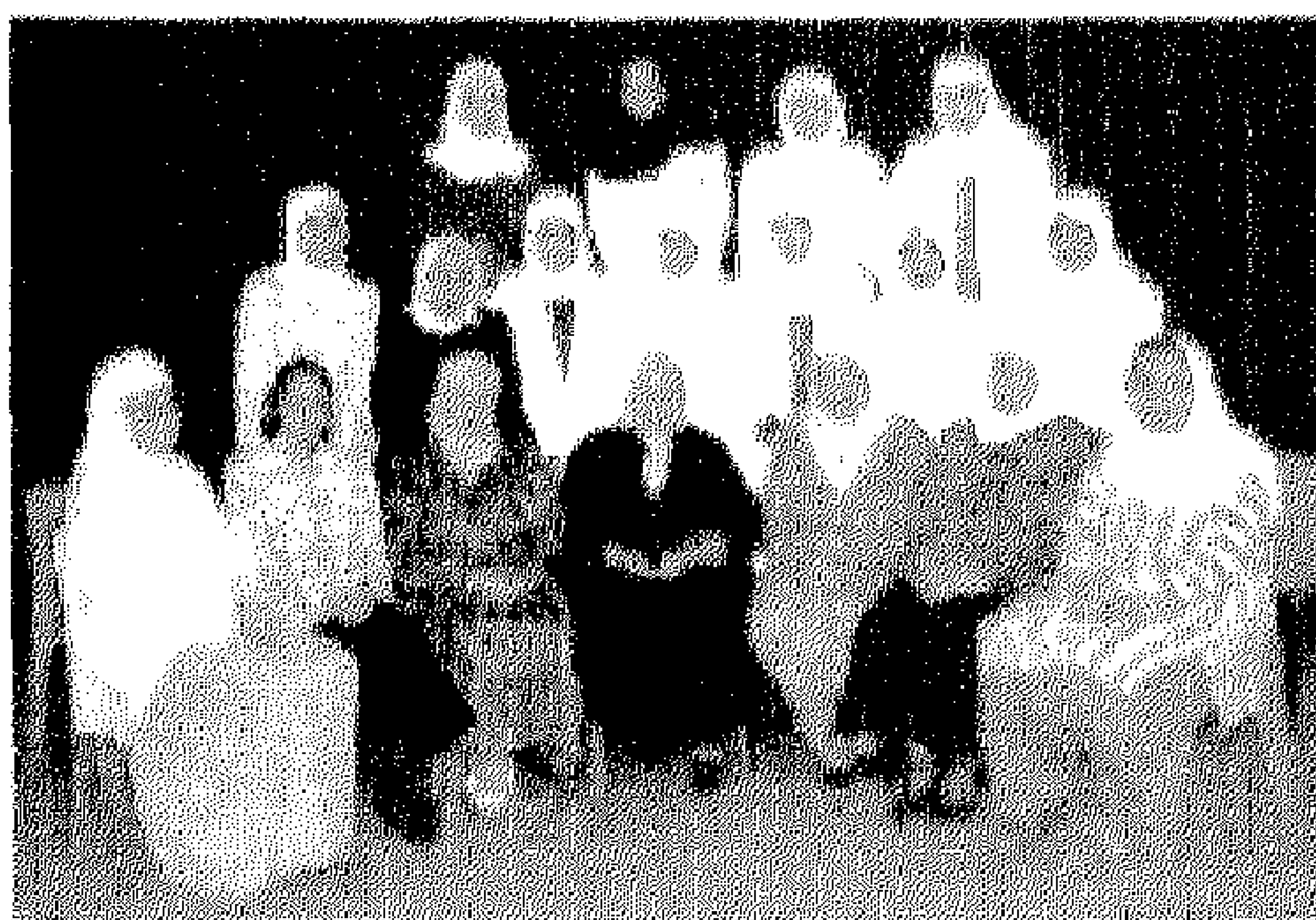


Photo 23



Photo 24

A Career and a Legacy: Back on Track

Photos: 21-26: From Abou Reesh to Dubai (DMCG) –Dr. Zahira chaired the Department of Pediatrics at the Children's Hospital of Cairo University in the mid seventies and typically left her imprint on curricular and extracurricular activities during that period. This included launching the Egyptian Women's Medical Association and editing its journal. Ten years later she would be involved in setting up the Dubai Medical College for Girls together with a new curriculum on the cutting edge of medical education, with an emphasis on social pediatrics and medical socio-cultural ethics. The first batch of graduates of this venture are shown here round their founding Dean (23, 24) – with an overview of the general campus (26), and the honey bee logo (25) both of which came to bear the imprint of Dr. Abdin's personal enthusiasm and opinion.

Photos 27 – 37 illustrate some of the institutions Dr. Abdin launched in the decades given to public service. The Pyramids Rheumatic Heart Center, the Child Health Institute, the Talaiye Schools in Heliopolis and Dokki, al Mohandisseen, and the October City Social and Educational Compound... These together with the student hostels and homes housing some of the marginal constituencies of the population, as well as the developmental projects within and outside Cairo, altogether represent the tangible yield of the mother association, the Society of Friends of RHD Children, in the course of its fifty year productive and eventful lifespan.

Photos 38 – 40: On the fringes of the fast growing October 6th City is the Cairo-Oases highway that divides the Capital from its latest necropolis on its outskirts. Even on this liminal front, at the frontiers of life and death, Zahira was a pioneer, breaking new grounds for her family's resting place that was to be finished just in time to cradle her own body when she passed away barely months later, in May 2002. From thereon her spirit watches over the last of her worldly imprints left in a construction testifying to an indomitable will to cultivate and edify, the multiplex that is the latest of Abdin's compound and charitable foundations. To note, the historic quarter of Old Cairo that had provided a haven for bygone generations, almost ever since the early Muslim Conquests, had steadily fallen into disrepair - notably after repeated flooding from the dilapidated sewer system in the latter part of the 20th century when the Capital's infra-structure of basic utilities was virtually on the brink of collapse. Despite repeated repairs, it was obvious that Cairo was bursting at the seams, and that an alternative had to be found in a new piece of land outside its precincts to be publicly consecrated for the purpose. The turn of the twenty first century witnessed a revamped politics of urban planning with a view to multiplying the nodes of fledgling cities and developmental sites to meet the needs of a growing population and expanding economy. Among others of its kind, the October 6th City was one of these developments.



Photo 18



Photo 19



Photo 20



Photo 14



Photo 15

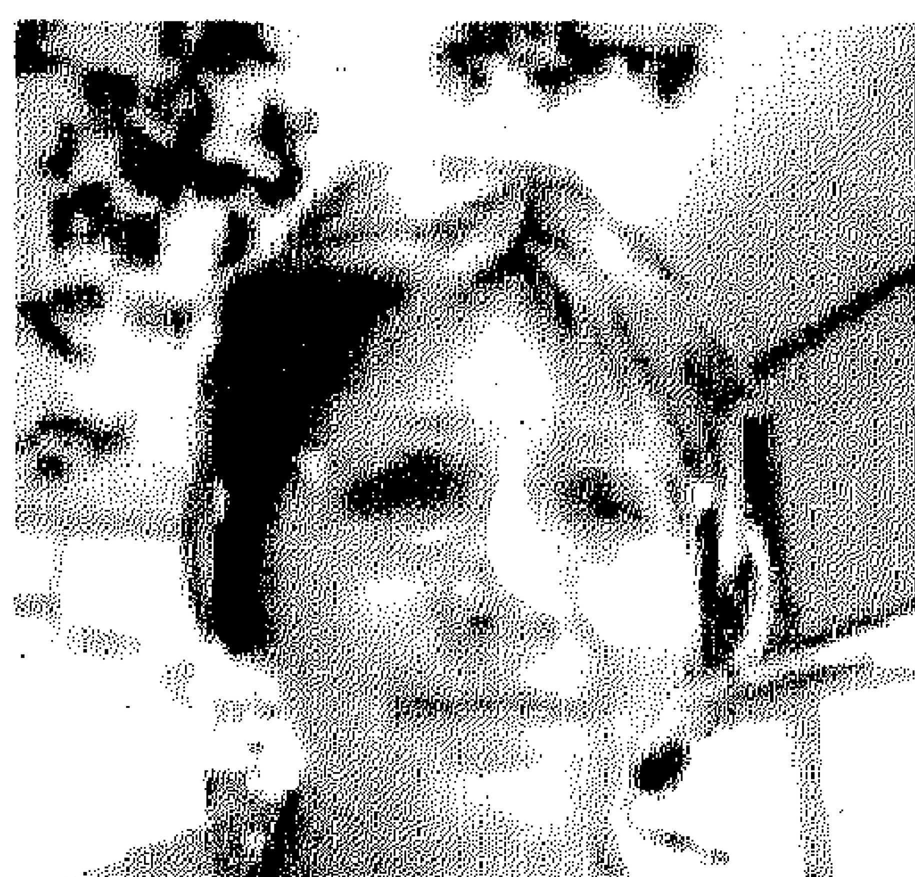


Photo 16



Photo 17



Photo 12



Photo 13



Photo 8



Photo 9



Photo 10



Photo 11

Family pictures enshrine more than the moments they depict. They are revealing in the stories they unfold that lie behind the shots they encapsulate, in the space and horizons they open for remembering and interpreting. They serve as punctuation marks in writing a life's journey. Photo 12: Family mum, December 1953 – at their short-lived family home in Garden City. In this picture Mona, Hoda and Omar cuddle round mother to hear a story. Azza, who was born a few months earlier, was too young to keep up with her siblings. Between 1945 and 1953 Zahira had started her young family, while managing at the same time to sustain the beginnings of a challenging and in some ways a unique career in medicine. As the first woman doctor to be permitted to teach at the university hospital in 1949, she paved the way for a generation of women who presently outnumber their male colleagues. Those eight years also saw her juggling her career and family, always keeping her priorities in view, and at critical turns, sacrificing career to family as when joining her husband on his travels to England. In the end, it had all worked out for the better, as she returned with an MRCP in the first instance, and in the second stint, she would develop her research and skills as a rheumatologist/ cardiologist, placing her at an advantage to conduct her life's vocation upon her return to Egypt in 1957. Retrospective views and outcomes notwithstanding, what matters in the lessons of a lifetime, is that at the time the decision was taken, known career opportunities at hand were abandoned and risks assumed, in the face of the unknown. Zahira remained from first to last an icon of her word and everything she stood for: what she preached she practiced, in this case, it was her counsel to every woman and mother to mind her priorities and to remember what she owed to her family and dependents as she went through the catalogue of life's challenges and temptations.

Photos 14-20 resume on a leaf taken from the theme on mother-daughter bonding. Allowing for some repetition, we will observe the sequence to the benefit of the pictures skipped in the above hopscotch track. It begins with the wild prairie-like Britanny / Normandy coastline (14), to the stint at the Grand Hotel in Luxor (11), to Zahira in the seventies (17), and Mona at her Virginia home over 30 years later (16), followed by a flashback on the unique historical pilgrimage city of Mona /Mena (18) in Arabia, 1945, where Zahira with child in womb and Monem were making the hajj and decided on naming their firstborn after that holy city, if she turned out to be a girl. Three years later little Mona was indeed having the time of her life in Europe's royal gardens and enjoying being the apple of her parents' eyes. (20: Jardins de Luxembourg, 1948-9) It took nearly three and a half years before sister Hoda arrived, in April 1949, and less than two years later, Omar was born to be followed almost a year and a half after by the last and youngest addition to the family, Azza. It was a feat to have sagaciously managed the mounting responsibilities on all fronts and given each its dues, at home, in the hospital, the clinic and the lecture hall, as well as responding to emergencies as they arose. The credit must also go to a cooperative setting that included a willing and appreciative father and husband on the one hand, and a cluster of loving and understanding aunts and family friends who were there to pitch in when needed. Zahira, after all, was always there for each and all in her quiet dedication and resolve, and people seemed to be ever willing to respond in kind and to oblige.

Glimpses of Family Life (Photos 8 -20)

Behind the touted professional and public career was a close knit family life kept up through all the years of marriage. Zahira and Abul Fadl formed a partnership in life for life, the strains gathering towards its end, notwithstanding. (Photos 8 & 9) The first was taken in the early fifties in the back garden of their villa at the foot of the Pyramids – in the area known as the Nazliyya, a garden suburb of citrus trees once part of the princely estates belonging to Omar Tossoun, confiscated with the 1952 officer revolution to be partitioned for public sales immediately thereafter. This was to be a family weekend retreat for the Abul-Fadls, away from their downtown Cairo home, and it became a hub of warm hospitality through the many years. In the photo at hand the garden was as yet still virgin ground that would soon see some of the rich harvests of luscious mango and citrus fruits – that we as children had contributed to planting, along with the graceful, shady, and aromatic hedge of eucalyptus and tall gazwareen pines that surrounded the villa and turned it into a haven of privacy. Whether at home or abroad, the couple's private and public lives were intimately interwoven and will be fondly remembered for the evocative juxtapositions and contrasts they presented: an icon of complementarity.

'Family Mum...?' Here we hopscotch as we track a theme on a selective note that wittingly or otherwise privileges the author of the piece. Zahira with little Mona in 1948/ 49 on the coast of No 1andy, France, and in Berne, Switzerland (Photos 14 and 10) on the way back from E land where Abul Fadl had successfully completed his Ph. D. in chemical pathology, and - on the sides- Abdin had sat in for the membership of the Royal College of Physicians board exams to become one of a handful of doctors making it through that distinguished, and at that time, prohibitive certificate exam. Zahira invested in raising her children – and notwithstanding the challenges for the young doctor, Mona would receive the lion's share – a fact that would be reflected in later years of close mother daughter bonding sampled here in two visible instances: the one (Photo 11) showing Mona with mother – Luxor, March 1968, returning from a visit to Mecca to spend a few days in quarantine – as was the practice until then for returning pilgrims, and the other (15) was likely taken in the Pyramids villa garden, under a mango tree. By then, the garden had become a lush grove. In retrospect, these affinities invite further probing along the lines suggested in the juxtaposition of portrait studies (Photos 16, 17) where Mona, ensconced at her Virginia home in the spring of 2007 discovers as she works online and contemplates her mother's life. Zahira's picture here probably dates from the late seventies. It should always be kept in mind however that mother's affections were not exclusive, and that there was always an abundance of it to go round. Huddled at her feet - perhaps a little awestruck at the pigeons' fanfare in bustling London's Trafalgar Square (circa 1954) - little Omar would surely have agreed with this statement (13).

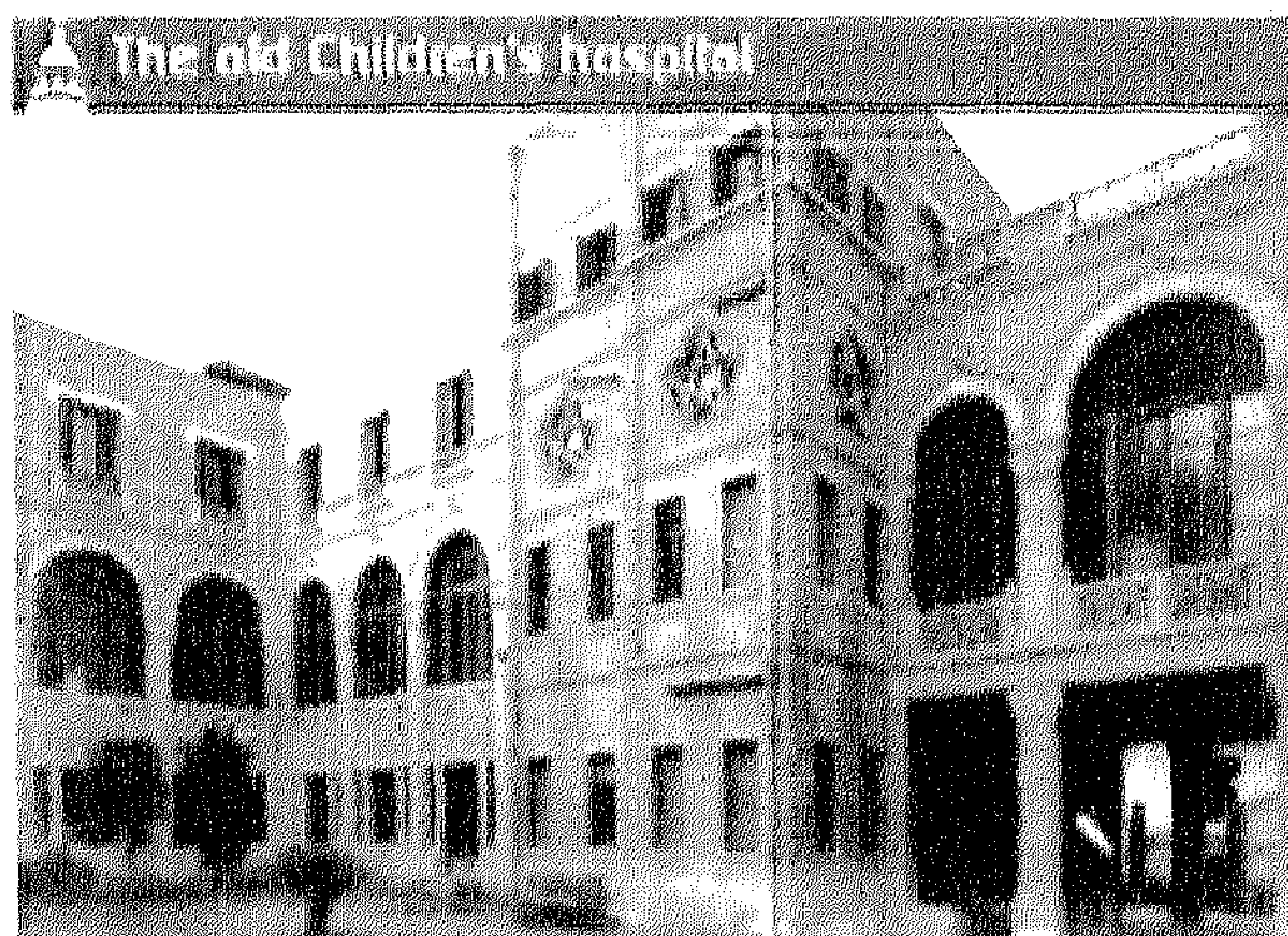


Photo 3

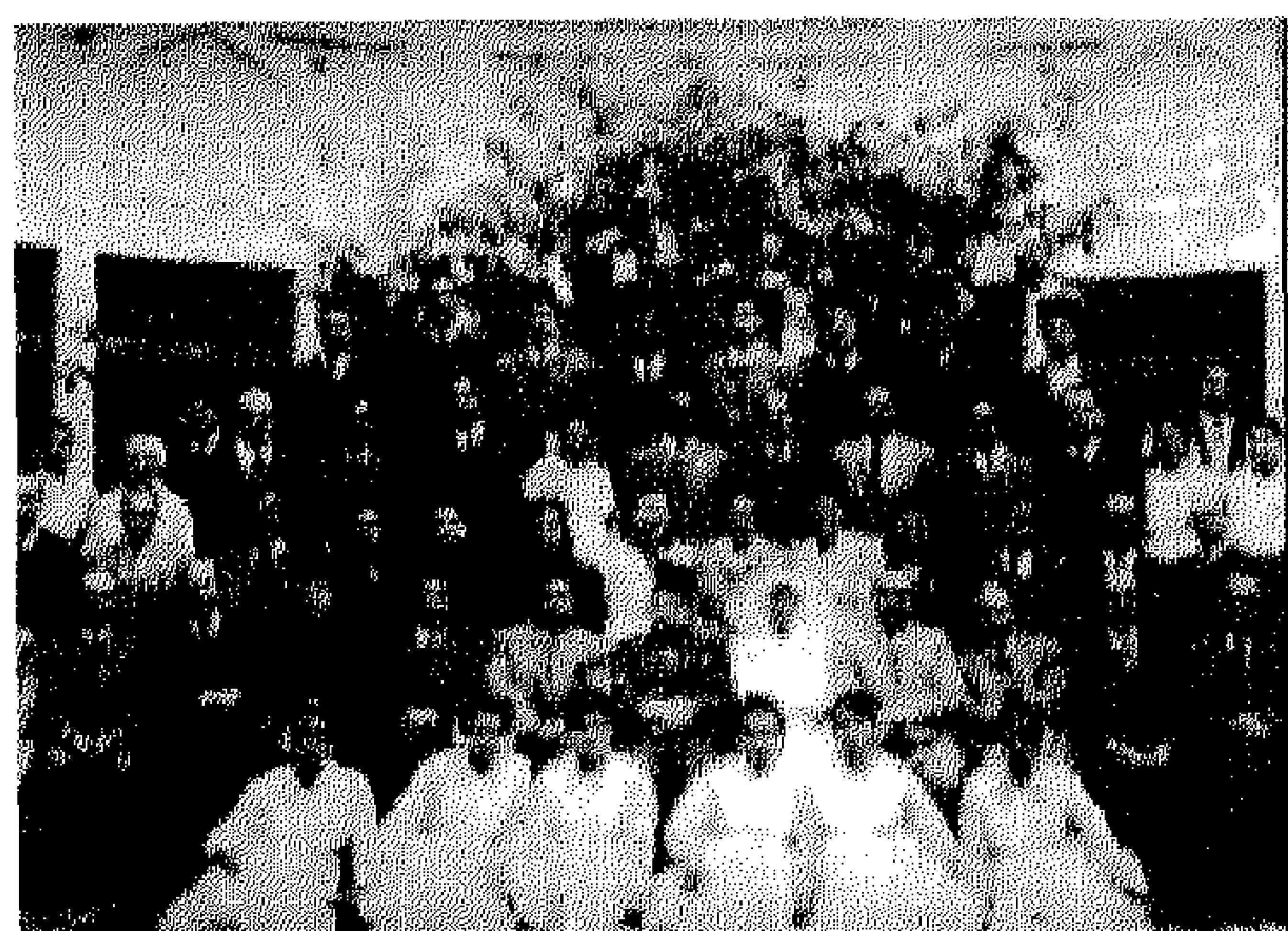


Photo 4



Photo 5



Photo 6



Photo7

Photo 3 & 4: This is another rare, historic group picture of the house staff and doctors at the Kasr al Aini Children's Hospital, Abou Reesh, taken on the occasion of the promotion of its new Head, Dr. Shawki Ibrahim . Zahira is at the center of the second seated row, just behind Dr. Shawki. The picture was taken early December 1945, less than one month after she had been in labor with her firstborn, Mona, on November 7th. Seen in the picture at her side on the left are Doha Ghoneim, who went on to become a prominent psychiatrist, and Dawlat Bakeer, gynecologist, who was at her bedside during labor. Both would remain lifelong friends with Zahira. Today, at century's end, most of those pictured here are no longer among us, and the very building that once proudly stood there is no more.

Photo 5: celebrates Dr. Zahira's appointment to the newly created Chair of Social Pediatrics at Cairo University in 1976. This came as a formal recognition of two decades of service in the field taking medicine to the wider community, especially, to those who needed it most in the underprivileged crowded urban neighborhoods of the Capital and in the surrounding country side. Today, across from a busy Cairo artery within a few hundred meters of the new Abou Reesh Children's Hospital, there stands a separate building housing the department of Social Medicine and Preventive Care. It would do well to remember its founding chair and to honor the pioneer of this field!

Photo 6: Edinburgh University, 1980. This photo commemorates the Awards Ceremony granting the Honorary doctorate of Medicine to Dr. Abdin. Seen at the other end, is the American Neurologist, Dr. Edward Rassmussen, who shared this award with Dr. Abdin. Zahira treasured this award because it celebrated excellence in the profession on criteria that included ethical and public service aspects. She was nominated for this award by members of the medical community in UK in recognition of her single-handed contribution to reducing the incidence of RHD fatalities among children in Egypt from 67 per cent to less than 3 per cent through a sustained nation wide screening and prophylactic campaign throughout the school population that she oversaw and implemented in collaboration with the Ministry of Health in the early seventies, topping a decade of efforts in the field led by a comprehensive research and treatment program piloted at the Pyramids Free Center for RHD and its offshoots in Egypt.

Photo 7: Damascus, Syria, in the 1990's. Throughout her career, Dr. Zahira received many top awards in Egypt – through the seventies, eighties and nineties, including the Golden Shield on occasion of the 150 years centennial of the Kasr al Aini Hospital, and the award for the best voluntary association in the Republic in the seventies. In 1990, she was voted Mother of Egyptian Doctors by the Egyptian Medical Syndicate (80, 000 doctors) - In the absence of photos documenting the many occasions, this photo from Damascus is of special value.



Photo 1



Photo 2

Scaling the Heights

Photos 1& 2: Ceremony in honor of Zahira's graduating top of baccalaureates in Egypt, boys and girls, in 1936. Headmistress of the Princess Fawziyya Secondary School, Ms. Insaf Sirri, held a special party celebrating her honors' student in March 1937, inviting members of Zahira's family and school mates. Above, Zahira is accoladed center stage, and below, she heads a dinner table the length of the ceremonial hall. Note the presence of English teachers/ supervisors in the wings, a subtle reminder of the nature of British influence in Egypt at the time with advisors throughout the various ministries and departments, including Education, where J. Dunlop had left his imprint on major trends since the early twentieth century. 1936 was also a benchmark in Egyptian history: it coincided with two important developments in the socio-political evolution of the country with the signing of the Anglo-Egyptian treaty of independence on the one hand, and the statutory changes in the terms of admission to the war college, broadening the basis of cadet recruitment beyond the conventionally privileged classes and paving the way for the generation that fomented the 1952 revolution. Zahira's distinctive performance - preceded by a noteworthy analogue a few years earlier by her older sister, Fatma Abdin, who went on to become a distinguished pathologist - signaled the renaissance in girls' education. Egypt was blessed with a handful of gifted women administrators and teachers who oversaw that development, with Abla Insaf Sirri, who in some ways was a role model for Zahira, leading the fray. By all counts, she was a strong character who combined a proportionate dose of open mindedness and commonsense with a healthy respect for tradition, a far cry from the image of the revolutionary gentlewoman who was all too eager to westernize. It is not without interest to observe that Sirri was married to Mansoor Pasha Fahmy, a cultural critic of his day who wrote his dissertation for the Sorbonne on Islam and women's rights at the turn of the twentieth century at the height of the debate on women's liberation.

More than Words can Tell:
Previewing the Life and Legacy of Umm al Atibba'
Zahira H. Abdin 1917-2002

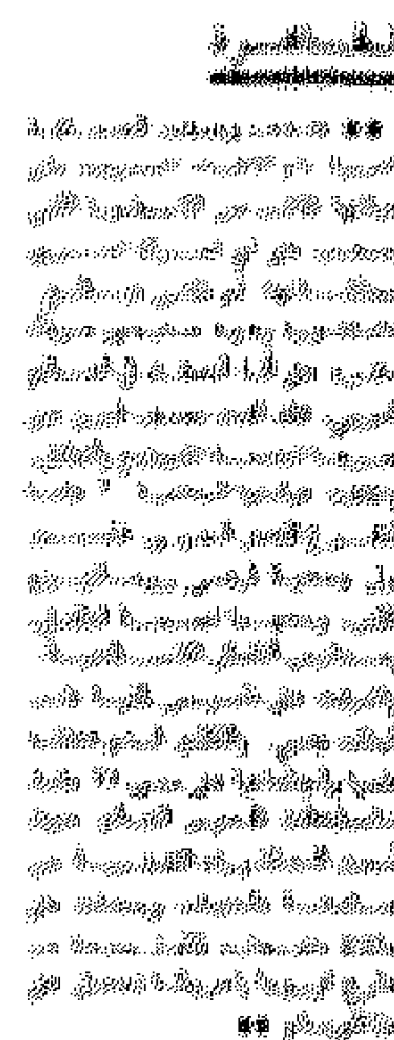
PRELUDE

In what follows, pictures are taken as a point of departure for telling a story, or for summing up a sequence of events, or giving a snapshot of an era and its highlights. Thus not each photo is necessarily identified, and the comments cover a grouping or a collection of shots that tell part of the story. The pictures included in the essay have been chosen from a larger collection that was available to me in my exile among files I had scanned some years ago. There were often those pictures that I could remember and that might have been more suitable for inclusion, but were not at hand, nor accessible as scans. Beyond such constraints, there were certain criteria that guided the selection for what to include and what to exclude for the present essay. There are pictures of Dr. Zahira in Indonesia in the sixties greeted by President Suharto, for example, and pictures from South Africa, Argentina, the Caribbean, Turkey, Amman, Europe and Japan, places where the Doctor's many travels and conferences took her. Just as on a more intimate note, there are personal photos of her donned in white garb absorbed in a nebulous other-worldly radiance, that rare picture taken from those periodical retreats of visiting the holy sites for 'umra or hajj – retreats that were the hall-mark of her spiritual journey that encased and inspired her whole life story. Somebody may have quick handedly caught her unawares and captured a precious 'stolen' moment that would be left us, her children and heirs, as an invaluable relic to cherish. All these among others may indeed be part of the personal life story of Zahira, but this is not the perspective in which this essay is written. Rather, this perspective retains the subject and purpose of the present memorial volume in view as it sets out to balance the story of founder and foundation. In giving a bird's eye view of career highlights and glimpses of family life, it contextualizes the institutions and the activities that gave them life and direction. Family life, as mother, wife and grandmother were to remain a priority she preached and lived by till the very end, even as it entailed struggling against all kinds of odds, as life would typically entail. An attempt was made through the brief and intermittent comments to convey a sense of space and time, of a changing epoch that spanned the thirties and forties through the end of the nineties. However, this aspect of contextualizing the story was not developed. The real challenge throughout was to interweave elements from the personal and the public, or institutional, throughout a punctuated narration. And despite the large number of pictures used to tell a story, one remains painfully aware of the technical and physical constraints against which the selections were made, whether in terms of the quality of a picture, or its suitability. Each choice could have been superseded by its better.

However, when all is said and done, I hope that the limitations of the piece will create the space and incentive for the imagination of the viewer to fill in the gaps as he or she peruses the whole, and to come out at the end with the conviction that a photo essay can ultimately communicate something "More than Words can Tell!"

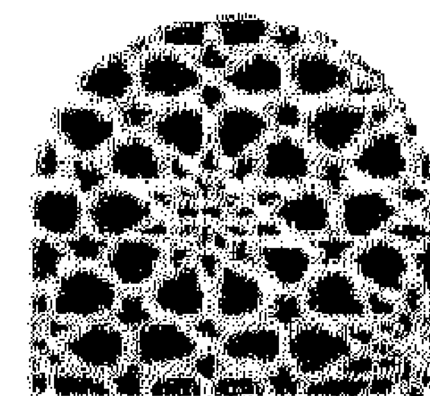


Through the years – From Primal Youth to Mellow Age



أم الأطباء المصريين.. ونزف منفرد على آلة العطاء

Mission Accomplished?
Mother of Egyptian Doctors: The Gift of Giving



UMM AL ATIBBA'- MOTHER OF EGYPTIAN DOCTORS
ZAHIRA H. ABDIN 1917-2002



FOUNDER AND FOUNDATION
MEMORIAL VOLUME

MORE THAN WORDS CAN TELL:

A PHOTO ESSAY

Note: One of the objectives of the Socio-Cultural Forum at the Convention is to reach out, identify and mobilize a new generation among the graduates of medical schools, as well as the Talaiye schools, and others by introducing them to the founder of social pediatrics and the practitioner of a new school of medicine, who also founded their schools and ran other model social service institutions. By raising their awareness and engaging their commitment, it is hoped that a new lease of life can be given the institutions/ foundations Dr. Abdin had founded over the previous fifty years. This way too, we may be paving the way for recruiting junior *riwaqees* to our forum. For this reason we would like to invite as many young people to attend the event. We would like them to be actively involved in helping make this a memorable event.

Two immediate areas come to mind where their energies and creativity might be usefully enlisted: (1) They can meet among themselves and decide on talking points to contribute to the interactive session: "Getting to know you" – where they can reflect on their own school experience and its meaning in retrospect... (This way they can be participants!) – It would be a follow up on our introduction to founder and foundation and the new approach to biography.
(2) The other is where we could really do with some help in organizational matters: I would like to suggest forming a working committee: a kind of hospitality, or technical committee, that might help in setting up and overseeing our poster session and follow up on other cultural activities. We would of course have a pre-conference business meeting to explain what is needed.

Another constituency to reach out to and include in our meeting as socio-cultural forum is that of the media... especially those who have written something about Dr. Abdin, conducted interviews with her, or have known her in one capacity or another during her lifetime ... as shown in the collections of our Memorial Volume..

GETTING TO KNOW YOU - An interactive forum addressing the connection between the life story of individuals and that of institutions: "Doctoring the Community" – Prelude to film viewing and discussion

FILM: THE LONG SEARCH – EPISODE 5: ISLAM IN EGYPT (BBC SERIES, W DR. ZAHIRA ABDIN FOOTAGE … MEET THE MOTHER OF EGYPT'S DOCTORS IN ACTION IN CONTEXT"

14:15 – 16:00
SOCIOCULTURAL FORUM # 3
WRAP UP SESSION:
"REKINDLING THE FLAME" – BETWEEN INSTITUTIONS AND MASTERS
" نحو تجديد العهد، والنـــزول للموقع"

Day 3
September 7, 2007
Meeting in EMRO Kuwait Hall

8:30 – 10:00
PLENARY SESSION 3
Researching Roots and Connections: A Working Tribute to Umm al Atibaa, Zahira H. Abdin (See Program for abstracts and presentations…)

10:30 – 12: 00
SOCIOCULTURAL FORUM # 4
Suggested Co-Moderators and Discussants: Alalwani, S.AbdelFattah, Al Messiri, Mashhour, Abul-fadl

THE RIWAQ TASK FORCE TEACH-IN:
Work paper presented by K. Kamaleddeen , M . Maher et al. "Siratographia and the Art of Creative Reading: Implementing *alManzoor alHadari*"

13:30 – 14:30
SOCIOCULTURAL FORUM # 5
WHERE DO WE GO FROM HERE?
CONFERENCE RECOMMENDATIONS

On the margins of the workshop and teach-in the Forum will be organizing some cultural activities to set the tone for the occasion. Those will include a poster session, photo albums, documentaries, original and select inspirational musical pieces - including the rare recordings of pianist Abdallah Shaheen (يا حنـــينة), along with other suitable themes from the likes of Omar Khairat, Yusuf Islam, Sami Yusuf, Galway, Gibson and others improvising their familiar tunes on winds and strings, as solo performances or against nature sounds.

TO CARRY THE FLAME AND KEEP THE PATH LIGHTED FOR THOSE WHO FOLLOW IN THE FOOTSTEPS OF THE FOUNDERS…

• ســـــيراتوغـــرافيـــــا: نحو بناء حقل جديد

SIRATOGRAPHIA: THE ART OF DOCUMENTING, RETRIEVING, INTERPRETING AND ENACTING A SIRAH…

PRELIMINARY PROGRAM

DAY 2
September 6, 2007
Meeting in EMRO Pavilion Room

10.30 -12:00
SOCIOCULTURAL FORUM 1

CO-ORDINATORS: DR NADIA MOSTAFA, MS MOHGA MASHHOUR, DR MONA ABUL FADL

BACKGROUND TO FOUNDER & FOUNDATION
(Introducing the Memorial Volume)

ABOUT THE RIWAQ

FOUNDATIONS… & PERSPECTIVES

**(The Abdin Matrix of Institutions) Exploring imprints, sequences and connections

**Perspectives from the Contemporary Setting: Globalization, NGOs and Indigenous Initiatives - The Significance of the Abdin Model of Social Pediatrics and Community Centered Activity…

12:30 – 14:00
SOCIO CULTURAL FORUM # 2
(Animated by the 'Torchbearers' – representing elements of a new generation called upon to renew institutions and reform society: these include Talaiye graduates, MOICs, etc… "Bridging the Gap")



ON THE WORLD HEART DAY
RIWAQ ZAHRA / ASWIC WELCOME YOU TO

THE SOCIO CULTURAL FORUM

CELEBRATING THE GOLDEN JUBILEE OF AFCRHD - SEPTEMBER 5-7, 2007
WHO/EMRO CONVENTION CENTER – NASR CITY, CAIRO, EGYPT

FORUM THEMES

FOUNDER AND FOUNDATION:
50 YEARS OF PASSION AND COMPASSION

2007- 1957

المؤسس والمؤسســـــة

خمسون عاما من البذل والعطاء

- مراجعات واستشراقات .. في السيرة والمسيرة

REFLECTIONS & PROJECTIONS

- الأم أمــــة والتجدد الحضاري

AL UMM-UMMAH: MOTHERING COMMUNITY
NURTURING REFORM AND RENEWAL

- الأســـــوة لا تمـــــوت

BEYOND THE INDIVIDUAL AND THE INSTITUTION,
AN EXAMPLE LIVES ON TO INSPIRE NEW GENERATIONS

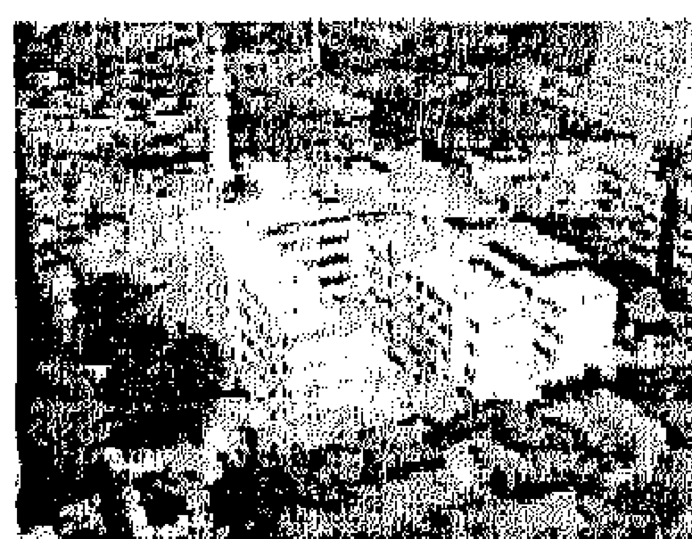
handicapping disease. Thus introducing the concept of secondary and tertiary prevention and the role of volunteer work societies to control handicapping conditions that was replicated in the control of other similar conditions.

The latter two eras were characteristically associated by the presence of two pediatric ministers: ElNabawi el Mohandess who was the implementer of rehabilitation programs for the polio affected patients and later M. Gabr who introduced national vaccination programs followed by the national ORT programs. The third minister I. Badran in this era was also a close colleague supporting her to establish the first national surveillance program for patients with RHD and satellite clinics, training of primary health care workers to detect RHD and early referral systems for intervention and close follow-up of these patients through the satellite clinics.

The fourth era coincided with the spurt in immunological research wave that hit the medical field forcefully and was later overridden by the turf of bioinformatics and radio-imaging diagnostics and therapeutics in which she was also closely involved. The FRHC in the pyramids established a highly equipped laboratory centre that was a fortress for conducting brilliant research in the field of immunology. In every paper published she used text emphasizing and linking the social status of poverty and social needs of these patients with their clinical, diagnostic and laboratory or immunological features. In her struggle to understand the pathogenesis and means of fighting this moribund enemy the Group A streptococcal organism, she discovered that it was a disease of the community and not of an organism.

Hence her approach for eradication strategies moved from becoming focused only on the sick to extending to a more holistic developmental approach of the community. She believed that education, formal education and community awareness, community involvement in change and social reform were integral in the eradication of morbidity. She believed that the source of disease originated from an immunologically susceptible host whose susceptibility was influenced by social behavior, nutritional habits and psychosocial aspects. In her vision every child and adult whether healthy or diseased was a susceptible host and was entitled to protection.

This latter vision explains her strategic directives in establishing schools, universities and child health care centers, care for single mothers with dependants, care for orphans, care for the unwanted children and for the aging population at risk. In her final days, although wishing to be buried in close proximity to the Holy Kaaba, she returned to her homeland to extend her mission in spirit to her homeland colleagues for continuum of humanitarian work and interventional research.



Abstract: 2

AN ANALYTICAL OVERVIEW OF RESEARCH AND WORKS OF Z.H. ABDIN: BRIDGING MEDICAL RESEARCH AND SOCIAL DEVELOPMENT

Name of presenter: Azza M.A.M. Aboul-Fadl, Title: Professor Doctor
Other Authors: Aboul-Fadl OM., Abul-Fadl Mona, Shoheib S
Affiliation: Board member of the Association of the Friends of Children with Rheumatic Heart disease

Z.H. Abdin was a pediatric clinician, a university professor, an activist leader and change agent in social health and medical care for development. Her career started with a focus on medical research and clinical care and ended with a focus on educational reform. In order to gain a clearer understanding of the strategic direction motivating social activist in our community, we attempted to review and analyze her research to see how it reflected on her social achievements in the society.

We extracted 26 research studies published through the internet (in pubmed) from the year 1950 through to the 1989; representing a sample of her life time research work. At least ten articles were available in scanned format for free and were used as reference and alert to a great many published and ongoing research to date. Four distinct research eras were identified, these included: phase I: in the early 1950s with a focus on therapeutic research interventions and use of antibiotics for lethal infections as whooping cough. The second era in the late 1950s focused on diagnostic tools for heart disease with the emergence of cardiograms. Her works with Goodwin remain a hallmark in the clinical assessments of cardiac patients to date. The third phase extending from the 1960s to early 1970s focused on clinico-epidemiological research. Most of her work focused on defining the pattern and scope of the disease and its clinical patterns and strategies for management and control. Such research is the basis for ongoing management of RHD to date. The fourth phase in the late 1970s and throughout the 1980s focused on immuno-cytological research. Although we have not found any further publications from 1990 onwards when she had presumably attained just over 70 years of age, yet her inputs to the society extended to her early 80s up to her departure.

The first and second era are closely linked with her work in the pediatric university hospital situated in a slum area where poverty and morbidity prevailed with infant mortality rates approaching 100 times their values today. Her work focused on the management and prevention of fatal infectious diseases of infancy, gastroenteritis and severe malnutrition. Today these diseases have been largely controlled by vaccination programs, oral rehydration therapy and promotion of breastfeeding instigated by her efforts and by the leading pediatric force of her colleagues in that time.

The third era is linked to the beginnings of the establishment of community teams workers to establish the Free Rheumatic Heart Centre in efforts to control this

has left its imprint and readily lends itself to the conceptual modeling we propose in a workshop devoted to exploring the links between the founder and the foundation.

Abstract: 1

THE ZAHIRA ABDIN MODEL OF SOCIAL PEDIATRICS & COMMUNITY CARE- (ZAMSPCC): REFLECTING ON SOME LESSONS AND PITFALLS

Dr. Mona Abul Fadl

Dr. Abdin represented a pioneering and distinctive school of medicine in her field that combined to the astute scientist and skilled clinician with a keen intuitive sensibility, a deeply humane and compassionate streak that sensitized her to the needs of her young patients and their families, as much as to those of practically everyone she came in touch with. In bringing her professional skills and humanitarian disposition to those she served, and notably in privileging the underprivileged, she created and nurtured an expansive and expanding community of healing and caring that was infectious in its enthusiasm and dedication. She sought to instill and spread that spirit in the institutions she founded and above all, she led by example. In recognition of her talents and lifelong dedication to the profession, an appreciative community of doctors voted her in 1990 as their Dean, more aptly expressing this accolade in a symbolic form that has far reaching connotations in a culture that honored mothers and mothering. Looking back on this gesture and mirroring it in the Abdin life path and trajectory of more than fifty years of devotion and unremitting service to a cause, through thick and thin, one is impelled to reflect on the making – and unmaking – of a Model.

The presentation will outline the contours of a model of preventive care and community medicine, leaving the task of a more conceptual effort to a workshop on the theme; it will then proceed to engage a critical reflection on the conditions and premises that made for the realization and actualization of this model, addressing its strengths and limitations, and inviting those in the medical community of practitioners in Egypt and elsewhere who are concerned with maintaining and promoting the image and integrity of their profession to consider certain relevant and thought-provoking issues.

In engaging this reflection some insights and situations of a more personal and intimate nature will be brought up and interwoven with the texture of a general and objective public discourse – not simply to entertain and amuse an audience, but to inform and authenticate a narrative and its interpretation.

the self-effacing, dedicated icon to the conscience and integrity of a profession originally conceived in many classical traditions in the image of a personification of the divine breath, a harbinger of compassion, charity and mercy to the ailments of a wretched humanity? Although today we have come a long way in a materialist and utilitarian world that has lost its soul to the transience of worldly glory, fortunately there are still the many unsung heroes within the profession who continue to live up to their mission and answer the Call.

It is to this category, as well as to young doctors that are streaming out of the educational system every year, that we address the issues raised in this workshop and its discussion panels. As an international conference meeting in Cairo to deliberate on an integrated approach to dealing with heart disease in Children is co-hosted by a benevolent institution set up some fifty years ago precisely to respond on the ground with a broad spectrum integrated strategy to this very cause. We would like to use this opportunity to draw attention to the promise that inheres in a multidisciplinary approach in the social and life sciences, that we identify with a civilizational perspective and socio-cultural 'cohorts' - (*manzoor al tajadud al hadari*) - and apply it to a critical reflection on the conflicting claims, trends and opportunities that are shaping the field of medicine and community service in Egypt today.

Coming from diverse backgrounds in the social and human sciences, traditional and modern, we hope to contribute our share of insights and analytic acumen to extrapolating creatively on a model of practice in social medicine and community service that takes the health and wellbeing of children for its center and point of departure to a more inclusive concern for society and its various sectors. We believe that this theoretical and reflexive initiative on our part is both essential and long overdue to supplement the field efforts of doctors in the work they do at hospitals, in outpatient clinics and in their private study and practice, as well as in their teaching and research. There is a need to articulate the history of a profession and its achievements in a way to make its cumulative experiences accessible to the relevant learning institutions and curricula, and therefore, more readily communicated to new generations of graduates. There is, above all, the need to make sure that role models are available and within grasp as they step out to practice their trade.

Our logistics in contributing to that task is to take the practice and the precedent of the Mother of Egyptian Doctors, Zahira H. Abdin, for a point of departure and an *Optican*. Socio-cultural perspectives will be brought to bear on available bio-data and empirical material will be used in an attempt to outline the parameters of a model of medical practice and to relate that model to a parallel concept of community outreach and social service, exemplified in the Association of Friends of Children with RHD. As the many-sided nature of Dr. Abdin's pioneering pursuits are brought into focus and conveniently institutionalized into a societal role model, we take up the challenge of articulating this role and developing an analytical framework that could become a unique and useful addition to the repertoire of a New Medical Curriculum that assures the profession its constitutive as well as its ethical bearings. This too is an area where the Abdin legacy

involved in efforts to subvert the underlying (power) system, identified by feminists as 'patriarchal' structures. Rather than questioning the existence and limits of that notion, she would directly engage it in diverse ways, to advance her goals and strategy.

Given the focus and fixation of much feminist scholarship with the patriarchal turf, and given the much taken for granted extension of this obsession with power and change to the official policies and programs in many third world contexts by virtue of the prominent sponsorship direct and indirect, by international agencies and various regional and non governmental bodies, it would be salutary to address this dimension. This need is even more pressing in view of the fact that the Abdin model of health care on the ground was both directly and effectively involved with changing attitudes among women and getting results. Among the questions we might ask ourselves in this context is whether the notion itself needs to be revised, given its apparent redundancy – and whether its usage has been over extended by the fact that it is turned more into a shibboleth, an ideological trope, in fighting the system and in the desire to 'modernize' – in a context where modernization is its own end and justification? Zahira herself was no feminist to be sure… nor was she a misfit in the system, for all the uniqueness of the model she embodied and practiced. Power was not her concern, nor was she engaged in playing power games…

World Heart Day International Meeting on the Golden Jubilee of the AFCRHD
"Towards an Integrated Approach to the Child with Heart Disease"
Cairo, EMRO – WHO H/Q, September 5-7, 2007

WORKSHOPS & ABSTRACTS sponsored by the Forum and related to the Founder Tribute

Title: The Founder and the Foundation: Exploring the links between Zahira H. Abdin and the Association of Friends of Children with Rheumatic Heart Disease. Workshop sponsored by ASWIC, Riwaq Zahra Circle

Friday, September 7 2007, 9.00 am – 12.30 pm
Moderator and Discussant TBA

What happens when Social Pediatrics expands its horizons to minister to different 'communities of need' in a fast changing society? How does the doctor who is dedicated to the health and well being of his young wards find himself, or herself, at the centre of multiplying circles of attention and commitment? And what kind of person does it take to turn the typical, competent, somewhat insular, busy and hardworking physician who is the hallmark of the profession as a craft and trade into

Socio Cultural Perspectives on Health Care

Consider the focus in each of the panels – one institutional and the other biographical. In each case we are using a model and a precedent for a binding theme. The model tells us something about the individual – the role model at its source – and it also tells us about the projection of that model into a sustained practice. It is this practice that becomes the foundation for a new school in medicine / treatment that we will call preventive care. Its other facet is health promotion. Both prevention and promotion require a strategy that is implemented from behind the lines as it were. For such a strategy to be effective, it calls for two main qualities on the part of its conception and implementation: foresight and perseverance. In the absence of the one or the other we cannot speak of strategy – in addition to requiring a heightened socio-cultural sensitivity. In the absence of this factor, there can be neither effectiveness, nor a cost-factor efficiency, which is a sine qua non, a prerequisite for practicality in an environment which is overwhelmingly constrained by an economy of subsistence, or an economy of needs.

We suggest that substantiating the above is feasible through a study of the ethno-bio data at hand in the case of the model and practice launched by Dr. Abdin nearly fifty years ago in Egypt when dealing with RF and RHD, and in its sequel as follow up in combating other diseases and extending the umbrella and network of child protection and care to other areas and services in the health field. The point is that she was able to identify and use the points of strength in the system to achieve her health goals. Nor did her advocacy stop at informing and infusing awareness, but it extended to motivation, and to instigating or feeding into a momentum of enactment that started with the immediate environment of the child.

The important aspect about her strategy in combat and control of disease, and in its sequel of activating a momentum of sustainable self-care and life promotion is that she never lost sight of the trees for the forest, namely, the human dimension was never lost to the disease. Both the little patient and his family remained at the center, and unlike care providers who might be taken up with the science and technology, or the techniques and procedures of health delivery, or the treatment of the disease, her attention to the human elements in her charge and to its human environment, was of a nature to transform them into participants in the success of her strategy.
Any consideration of strategy also raises the time factor. To her there was a long term and short term strategy, with their respective objectives – and both implicated the child and mother, her prime interlocutors. She typically spoke of the mother as being her first and most reliable ally in the fight to quash a disease and establish a health regimen.

- Here I would like to insert an aside, by way of a reminder. Among the questions to address in this paper from a gender perspective is this. While her focus was on women's role, especially that of mothers, and while she was bent on empowering them through education and means, she was not at all

This ability to switch functions to serve the needs of the moment, and to scale services offered to the intensity of the needs of the environment is another indicator of how she kept her finger on the pulse of the community, and how she managed to escape the insularity of a profession and falling into the trap of a habitual practice.

Responsiveness & Anticipation: This aspect tells us something about the quality of a professional or about the kind of clinician she was... with her fingers on more than the pulse of her patients... As she felt for the patient, she also felt for the society and the community, and the needs of the moment... While her patient was at the foreground and center of her clinical focus, yet she never lost sight of the human and social environment in which the patient moved and lived... and her concern was to make it a nurturing and healthy setting against which the individual patient could rebound, recover and develop.

We would want to investigate more closely the conditions that made for success in this **community-oriented diagnostics**... her ability to mediate between the different settings and parties involved in the delivery of a service ... between the academic, the clinical, the public, and the private.... How she could juggle the different elements concerned where, in the usual run of things often the end of an initiative would be lost in the confusion and paralysis that arose from this multiplicity. Yet, with the Zahira Model we see how she used her social, professional, personal, and other angles of leverage... to ensure the consummation of a service at hand...

Overcoming Environmental Constraints: How was she able to overcome the bureaucracy and inertia associated with many of the departments that were involved with the delivery of health services: for this is usually the bottleneck that puts an end to all the best of intentions in this regard? (I think it was partly by keeping that single-minded focus, backed by the tenacity & resolve to see things through, along with the tactful juggling of the social ropes and tropes...)

A note also on the impact of her **teaching by example**, and how this reflected on a generation of young trainees and interns... Her unfulfilled wish to the very end was to found her own school of medicine in Egypt where she could put into practice the different elements of her strategy of producing the ideal carriers of health services into the community: from the curriculum, to the training, to the logistics, and the exposure to practice of the medics & ancillaries ... Perhaps in revisiting her legacy as we do here, we might be contributing to fulfilling something of that wish, if we keep in mind that more than a building and its physical facilities, a school in a discipline or field of knowledge is effectively constituted by the community of scholars and practitioners who follow in the tracks of a master or teacher and cultivate a tradition of learning and practice!

MORE SPECIFIC TOPICS / THEMES TO FOLLOW UP:

Let me try my hand at some more specific topics for consideration in writing or commissioning papers:

Z's Holistic Concept Of Health: How was this envisioned and implemented? What was so wholesome about the holistic approach and how was this reflected in its output and yield? How it was theoretically conceived in the mind of its architect and how it was put into effect are other tabs along this line of reasoning.

What was the significance of **institutionalizing** the concept? How the attempt to actualize an idea, and hence realize a concept, was done systematically through its incorporation into a program, a policy, an approach that went beyond the random and the individual instance.

Beyond the Frontiers of Medicine? These are among the leads one may consider in dealing with her well rounded and unique concept of health which effectively made her more of a figure of social reform beyond being an outstanding health practitioner. There are other talking points, and areas for researching, that touch on multiple other facets of a model and its pursuit.

Can we perhaps address the **economics of program implementation**? How did she strive to be cost effective? (- given that this was one of her priorities and criteria in weighting options) How did she optimize chances of getting things done, while taking into consideration the material, physical and human constraints at hand...

What were her **strategies of tapping into the human resources** at hand? How did she proceed to create or multiply these resources? Beyond the opportunities for training and cadre formation, how did she invest in the motivational dimension?

Institutional Versatility: One of the tests of viability in institutional management is the way one prepares to cope with changed circumstances... How effective was she in attuning the institutions she set up to cope with changing environments? One of the critical moments that the RH Center in the Pyramids must have faced was the function of its own success... As the number of bedridden cases declined, how did she go about redirecting her resources to cope with other problems.... How did she switch them over to providing other services, or to serving other communities of need? It was this versatility and malleability that was another of the hallmarks in her strategy of coping and combating the range of diseases and disabilities that different target communities encountered.

Despite a veritable growth in the health industry in Egypt we need to realize that this hardly affects the mass consumers, where the situation is palpably worsened... We refer to the trend in recent decades to privatize health care and subject it to the market economy. (Can we verify this?)

'Doing' Health Care on the Zahira Service Model in Egypt today: What does it take to realize this project and keep up a legacy? Is it feasible? What are the challenges?

How to coordinate and balance efforts in the combat of disease and the sanitization of the environment and in being responsive to community needs between governmental agencies and private initiatives?

USING THE ZAHIRA SERVICE MODEL AS A UNIFYING CONFERENCE THEME?

Going through each of the above themes, I can see how we can easily bring in some aspect or another of the Zahira Model or experience in the field... and then develop our work from there... This way we would be using that **precedent** and its **architect** as the binding thread that weaves through the different themes of our conference. It would give the meeting some 'center' – or a unifying theme, all the better to structure it without being too 'blasee' or conspicuous about it.

A SPINAL CLUSTERING OF SESSIONS AS A SCAFFOLD FOR THE MEETING: The task ahead is to see whether we can construct a plenary session (like a general lecture), a workshop, and a panel or two round the above themes? This would be the kind of contribution I could bring in from the socio-cultural perspective, though it would be much enhanced if it could also be informed by some input and participation from others with a medical background as well. This would be truly a practical demonstration of collaborative & joint activities crossing disciplines.

BIOGRAPHIES & INSTITUTIONS: Another task is to use the ethnographic and biographic material to supplement a sociological and socio-cultural approach to our topic. As we do so, we might also bring in some comparative perspectives from other initiatives in our region, or other parts of the world, to enhance or bring out the particulars of Z's Egyptian model. (But this will need some researching!)

Prevention is better than Cure: At the nexus of preventative and social medicine.

Ethics and Medicine – to be discussed in the context of what type of doctors do we need in our system?

What do we mean when we speak of a community of health care specialists? (How revolutionary is that?)

OBJECTIVES OF MEETING

We will need to rehearse the objectives of the meeting to keep them in view as we organize the various activities and panels... Here are some of the points that come to mind as I think about the topic. They may not tune in with the way you are thinking about the conference and the emphasis you lay on some themes to keep them in line with WHF and other regional agendas. But from an ASWIC and Society of Friends CRHD points of view I feel we should try and weld them into our program.

Attempt to re-launch the defunct **Social Pediatrics Chair** in Cairo University, Faculty of Medicine. What was it that led to its neglect into disuse - despite the fact that over the past decade we have developed special studies and a certificate that reflects the increasing importance/ and awareness of social medicine... How could we have promoted a field while neglecting its staples?

Revitalize a field - social and preventive care medicine - after it has tended to lapse into oblivion. (Again, what are the indicators of such lapse? Even as this field becomes more universally recognized, and as our own efforts in our part of the world are usually modeled on mimicry, yet it would seem that following the example of others here, in keeping up with the novel and the latest, has somehow failed to make a dent in the mainstream of the practice. Again, is this something we can substantiate? How can we demonstrate this lapse, or must it remain a matter of impressions?)

Establish priorities in drawing up our Agenda. What type of agenda and what kind of priorities? (This applies whether to planning our agenda for the meeting itself, or to anticipating what we want to come out with from it and what action plan to propose.)

The Upcoming conference should provide us with an opportunity to write up a **history of a disease**, its combat, and its fortunes from the Egyptian experience... This would be an impetus to share histories across the board: to invite other traditions and examples or practices to document their evolution, through the challenges, setbacks, or achievements, and consequences... This is where a state of the art overview would be a significant landmark in documenting our model. This should be another objective of the meeting.

Probably, the first part would be the micro-level and would lend itself more to the contributions coming from the medical participants, while the second part would be the macro-level of the enterprise - which would situate and contextualize the first part, as well as explore and institute some socio-cultural and humanities perspectives of its own.

Ideally, one would like to develop the philosophy or mission statement round a vision of the Life Sciences and center the field that is targeted for study - (RHD & the community centered approach for its prevention & all round health promotion) - round a humanistic outlook defined against tawhidi perspectives on knowledge and life -tawhid being the theistic or faith-bearing tradition that fed the sciences & culture in Islamic civilization in its heyday.

The novelty or the creative aspect of the endeavor would be in our use of the biographical data – sources on Dr. Abdin, the Mother of Egyptian Doctors – in this fresh reading of a profession and a field... and through that creative approach to biography, we would be broaching a new trend in the literature at more than one level : research, conceptualizing, craftsmanship, (writing) -) - and if our model or example is successful - (productive and convincing) - it could well turn out to be a step in setting up a new Research Agenda that would span the Life Sciences and foster the growing links between the humanities, including the social sciences, and the scientific community in the bio-medical sciences.

The conference call output could be dedicated to the memory of the Mother of Egyptian Doctors, Zahira Hafez Abdin ... and we could have a poster session (and a video/slide- show) displaying some of the landmarks of her life and accomplishments - which would also include an overview of the Association whose fiftieth anniversary we are remembering.

Here are some proposed general themes for the upcoming RHD Conference:

Civilizational and Cultural Perspectives on Health and Wellness

Rethinking the Healing Profession through remembering the Healers.

Alternative modeling for our health-care communities

Biographies and Institutional Memories, or - Biography and Memoir, situated at the interface of the individual and the institutional

Social Pediatrics as a Paradigm Shift in the history of medicine

March 30, 2007
Memo:

This is a follow up on an earlier correspondence I had with Azza- as conference co-chair, and to which she had then reacted negatively ... After some minor editing I still find it useful enough to give an idea of the substance of some of the themes I would personally like to highlight in our conference panels and workshops.[Eventually they were incorporated into the Riwaq panels and workshops] Provided it's kept in mind that I come to the topic from a socio-cultural- not a medical - perspective. At the center of the themes & questions raised is a critical reflection on the Zahira Model of Health Care and on how it was projected in the institutional complex she set up. In this way I feel we can revisit a legacy and draw from it lessons which could serve future projects in the field of health care policies and related areas. It could also inspire by example collaborative efforts to team up in support of community centered health initiatives, including attention to reviving a parallel institutional infra-structure on the educational plane – like what I understand to be the now defunct Chair of Social Pediatrics. The latter was introduced in the early seventies in recognition of Dr. Zahira's pioneering efforts in the field since the early fifties. Today, since about 2000 a new building in the Kasr al Aini complex houses the Center of Social Medicine, though unfortunately it seems to fall painfully short on institutional memory!

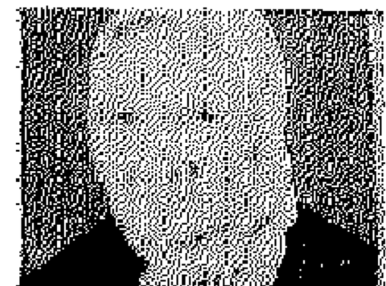
A Community-centered Approach to the Prevention and Control of RHD

The "Community in control of RHD Initiative" was the title originally proposed for the 2007 conference before it was changed to its current heading: "An Integrated Approach to Health ...." In either case the Zahira Health Care Model bridges and embraces the two outlooks)

Objectives of Present Communication

Our aim in this section of the Preparatory Memo is to try and develop the concepts and themes for the proposed conference on the CIC-RHD initiative. Since this conference is structured to accommodate the two dimensions of the ZHA profile, the scientific-medical on the one hand and the humane, bio-socio-cultural, on the other, I would like to outline and develop the vision /mission statement in a way that spans and integrates, embracing these two major themes.

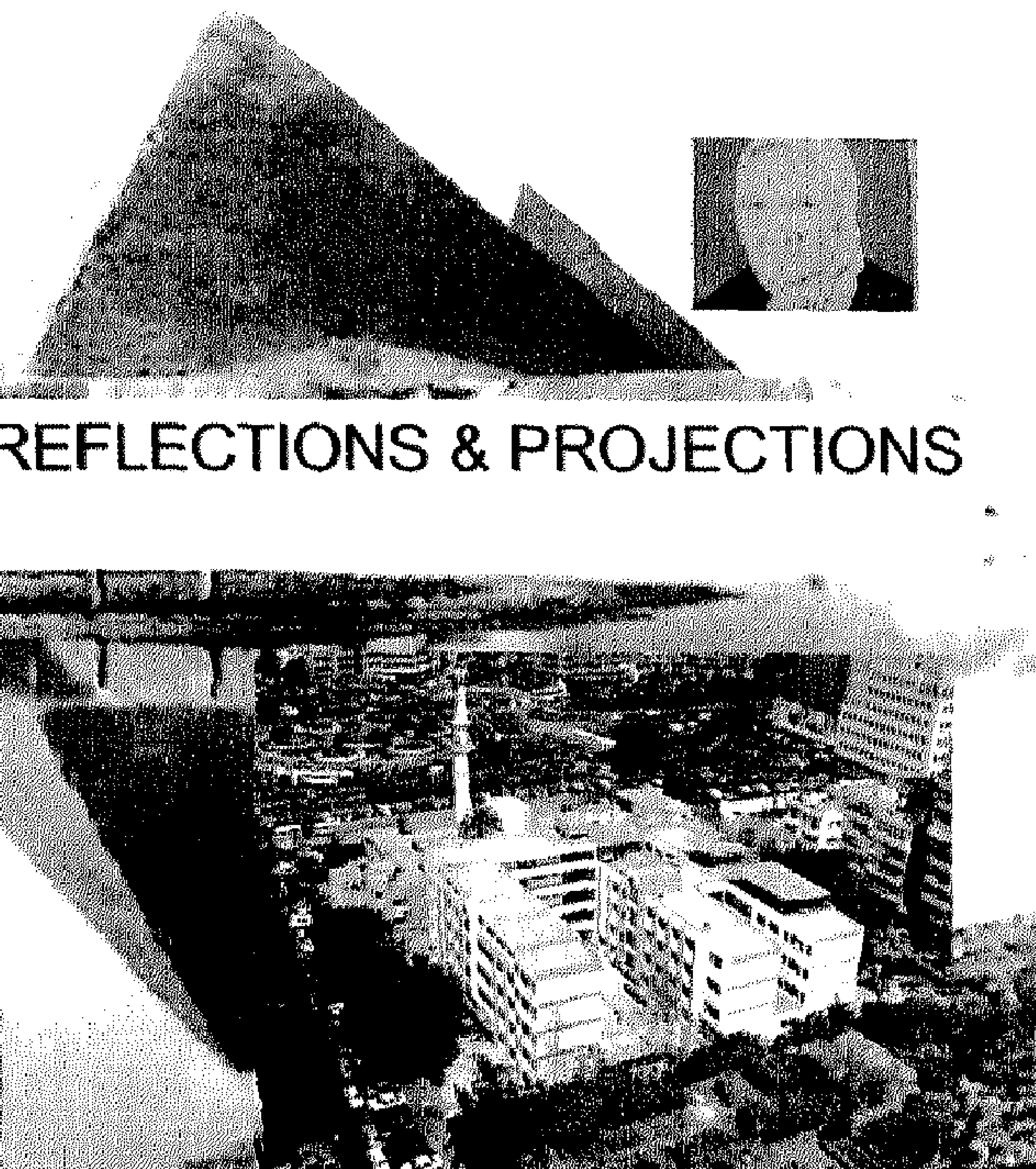
WORLD HEART DAY September 5-7 2007
EMRO/WHO, CAIRO, EGYPT



RIWAQ ZAHRA

WELCOMES YOU
TO THE
SOCIOCULTURAL FORUM

REFLECTIONS & PROJECTIONS



CELEBRATING FIFTY YEARS
OF PASSION & COMPASSION

AFCRHD
1957 – 2007



/ / /

World Heart Day International Meeting
The Golden Jubilee of the
Association of the Friends of Children with Rheumatic Heart
(AFCRH)
'An Integrated Approach
To The Child with Heart Disease'
EMRO Cairo, Egypt. September 5 -7 2007

A Selection of Memos and Preparatory Notes from the Socio-Cultural Forum at the Conference

PLOTTING A TIMELINE - UMM AL ATIBAA: 1917-2002*

TRACKS	1917 – 1927 /1936	1937 – 1947 Preparation …	1949 -1957 & Gestation		1957-1966 [Peak #1]	1967 – 1977 Peak #2		1975 – 1985 [Peak #3]	1986 – 1992 Maturation	1992 – 2002 Decline / Uphill Struggle and rearguard efforts to rescue & conserve on personal and public fronts
CAREER / PROFESSION	Schooling, multi-phased, from primary through secondary Several benchmarks:	Graduates DCH Cairo 42/3 Training in Kitchener's, Teaching in Women Culture Prog, Radiology Dept training… UK – courses & training for MRCP	First woman to be appointed to academic post to Cairo University Children's Hospital - Abourreesh; Private Practice launched; Interrupts career to join AbulFadl in UK; Joins RHD research & clinical programs in top London Centers- eg Hammersmith – and works with accomplished experts in the field. Eg. Pygott, Campbell, Goodwin	RHD Specialty fine tuned- original research and training in UK supplements field practice in Cairo	Stint at Great Ormond Hospital, London & WHO mission in East Africa	Note this as a period of voluntary mobilization of civic efforts in support of a country at war	Founding Social Pediatrics Chair; Heads Pediatrics Department Senior Consultant at Health Ministry where she launches a nationwide preventative program against RHD that becomes a byword and model/ precedent in its field.	Fellowship of the Royal College of Physicians (UK) – Hon. Doctorate of Medicine –Master of Divinity (Edinb)	Dubai Medical College Founding Dean & architect of the New Curric'lum in medical teaching	1992-Cancer Diagnosis & recovery – Recurrent Emergency Room stays through decade before onset of progressive degeneration and virtual immobility in the last 13 months
PERSONAL / FAMILY	Loss of Mother (1920?)- Father's pet child, family favorite with neighbors. Close contact w mother's family maintained	Father-daughter bond grows - she receives her social & cultural apprenticeship through father, public skills & exposure enhanced	Feathering her nest: launches family of four between 45 – 53; juggling priorities between family / husband support and professional / pediatrics career					Grandmother…mentoring and care… as she becomes support matrix for family tales/tails. Instead of relinquishing or lessening family burdens, she takes on a new set of responsibilities which will take up of her energies and sap reserves. (remember that she is now in her sixties! –usually a phase of retiring from family responsibilities or filling out in a more leisurely vein)		Gathering storms in private life compound with critical health problems, and depleting public reserves - Coping strategies are tested to the limit- all the while sustaining momentum of public involvement through periodic reprieves
SPIRITUALITY**										An extended but 'punctuated' spiritual retreat to Mecca
PUBLIC / COMMUNAL				Outpatient Clinic becomes nucleus for community outreach for young hospital patients & their families	Founding Assoc'n of Friends	Period of consolidation and growth - Inaugurated with RHD research & treatment Pyramids Center	Child Health Institute ELIS-Islamic Language Schools…	Orphanages, Elderly, Widows		

** The Spirituality Factor will need to be delineated and factored in – the above table simply indicates a 'place-holder' pending its exploration elsewhere. Such questions will be posed: Why is it important to gauge? When is it liminal, or decisive, in examining a life-story in view? Of what particular relevance is it in a siratographia perspective?

Figure 3: Timeline

Figure 2: Track

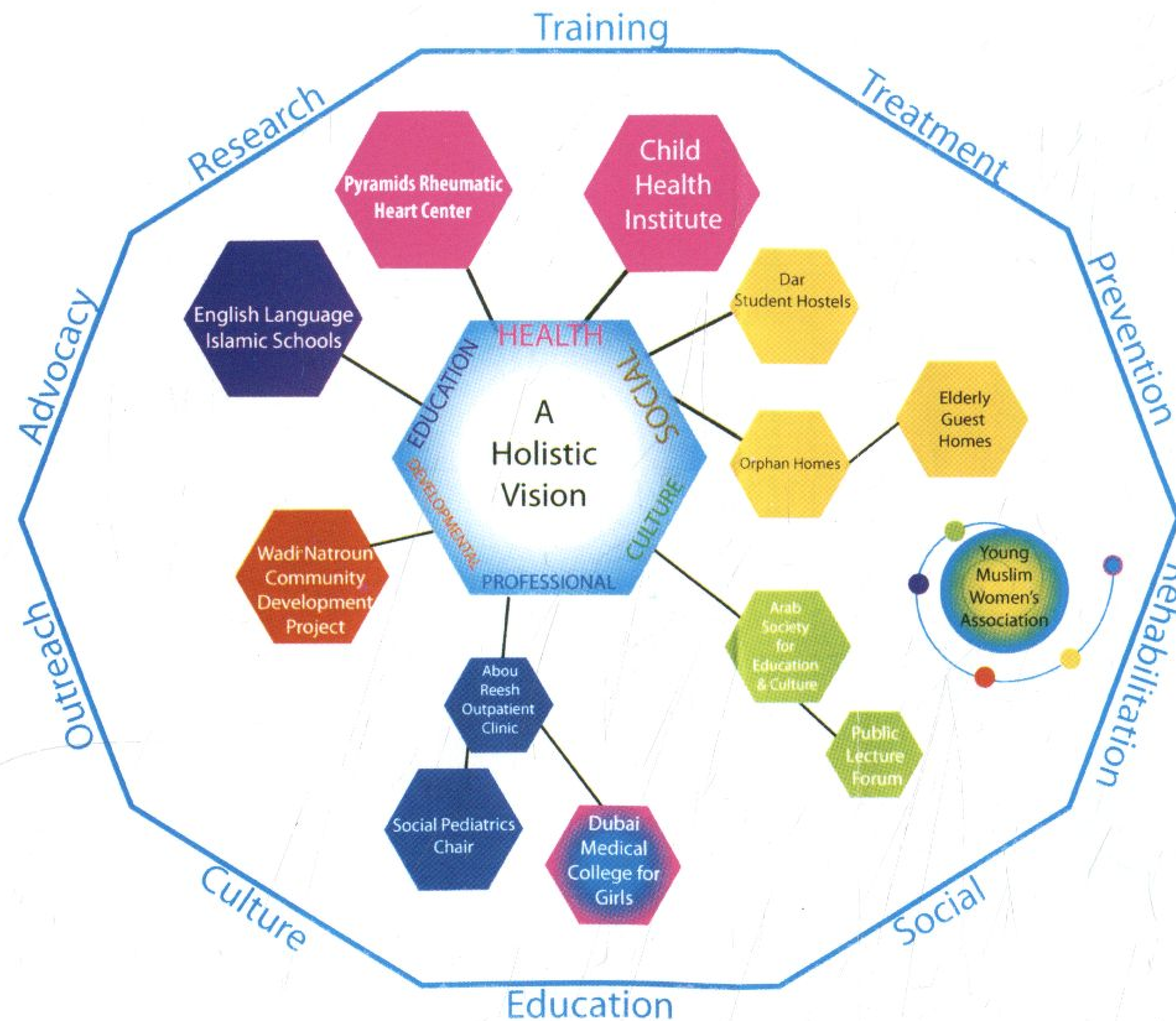
TRACKS	CAREER/ PROFESSIONAL	SOCIAL / PUBLIC SERVICE	EXTRA-CURRICULAR	FAMILY
Career Track as Professional Academic and Clinician involves a full fledged career in teaching, research, hospital & outpatient activity, conferences as well as administrative, as when heading the Pediatrics Department in the 70s… and as Chair of Social Pediatrics (Chair) & related 'extracurricular activities' like the founding of Women Medical Association and editing its Journal.	D CH (1943)	Children's Hospital Outpatient Clinic (AROC) (50's)		Motto: "Charity begins at Home"
	M.R.C.P. (1948)	Assoc of Friends of Children w RHD (1957)		Full-fledged family life as wife, mother, grandmother, sister, aunt – and a faithful daughter dedicating works to her father's memory
	F.R.C.P. (1978)	Pyramids Center for RHD & Outreach Centers at various University hospitals	Renewing YMWA – and subsidiary tracks in the popular Hussein Neighborhood (1970's – 90's) to include: Student Hostel, Health Unit, Social Services, Training facility & Education (eg ELIS in Port Tewfiq)	Services to local communities at the national level – from personal to neighborhood / or country wide family..
		Hostel: Dar al Talaba in Shari al Sudan as nucleus in a tradition of 'centers of excellence' to follow | Society for Islamic Tarbiyya (Culture / Education) – 70's (?)		
	Hon. M.D. (1980)	Child Health Institute (CHI 1975)		Services to the supra-community / ummah, over and above the local and parochial – extended to Muslim communities in Africa, Europe, South America, Central Asia, Bosnia… and New Comers to the Deen – also to foreign students on petty grants in Azhar university lodgings.
	Umm al Attibaa (1990)	Language Islamic Schools (1978/80's-)		
	Norgall Prize (1991)	Orphans- Widows – Elderly – community outreach initiatives through 'centers of excellence' and different social programs		
	Golden Shield of MDs (1995)	New Medical Curriculum (DMCG) (1986 -)		
	A host of tokens of recognition – awards for best society (assoc), shields and orders of merit for public service / professional accomplishment – 'mother of doctors' as a professional moral recognition of an already acquired status in both a career track and in its lifetime deployment for the public weal.			
		Participation in a variety of public initiatives in fields of education reform, topical issues touching mainly on health, cultural-religious direction … either by invitation and mandate, or through personal concern, initiative & activism on behalf of a public cause.		

* These tables, notably the timeline below plotting the Doctor's trek, are supplemented by another one charting the momentous events and turns in the ummah's timeline signifying the history of the collective – locally, regionally and worldwide. As always the question against which her life-story is scaled is this: Against which socio historical time-zone does the tale unfold?

Figure 1: Abdin Matrix

The Abdin Matrix of Institutions and Public Services

An Integrated Network



The Activities of the Mother Institution
Association of Friends of Children w/ R
Covers a Spectrum of Fields

- Health
- Social Services
- Education
- Culture
- Developmental Projects
- Professional Services

the Mother Institution, the
riends of Children w/ RHD,
Spectrum of Fields

Health

Social Services

Education

Culture

Developmental Projects

Professional Services

Timeline

[AROC 1950/51]–[AFCRHD 1959/60]–[PRHC]-[DSH 1963/64]–[ASIEC 1969/70]–[YMWA 1973]–[WNCDP 1973]–[CHI 1975]–[ELIS 1978]

[GHE 1984/85]–[OrH 1980's-1990's]–[Widows/Orphans Program 1990's]–[Dubai Medical College 1986/87]–[October City Complex 1998-2002]

and trajectory of an institution. The task of the student and researcher in the field is to pursue that trajectory from a different angle... to assume the live and critical consciousness and the open mind and imagination to relive an experience and retrace a vision and its paths, in order to articulate it in another medium, at another level, other than that in which it was experienced and practiced. The founders have left us a legacy, and institutions do not speak for themselves or their founders: It is for those of us who might share in the concerns, and who may have been witness to aspects or phases of a grandiose midwifery of opportunity in history to pitch in and bring our wits and spades to the task of assuring that that legacy is well spent and not wasted.

It is fortunate that an inquiry and review into the nature, history and treatment of a particular disease can provide us with an apt focus for this task. RHD belongs to that category of diseases that is hospitable to a pooling of combat resources from across the board, bringing in the experts from beyond the medical field proper. This is because it is a disease that combines elements of the physical and the social, the mortal, the moral and the psychological, the preventative and the treatment, probably in ways which can teach us much about many other diseases that include those of the community itself, and not just the individual patient... and in this way too it provides an ideal habitat for investigating the sciences of life and bringing together a range of inquiring minds and talents to the same round table to interact and exchange their respective learning experiences to the benefit of all the communities involved.

And just as we referred to an **institutional memory** and legacy and to the challenges it poses in disentangling the threads between the founder and the foundation, so too, the history and treatment of a disease have their relevant **narrative** which puts us in touch with the visions and the strategies of those involved in its encounter. This narrative also provides the nexus and interface at which to explore how the different communities involved in the diagnosis, prognosis, and combat of disease engage in its trek.

In the sketch that follows we chart out the **Abdin Matrix of foundations and public services** as an integrated network of services that covers a wide spectrum of interrelated fields: health, education, social, culture, development, and the profession. Each institution was an expanding nucleus for a variety of services that radiated into the community and served multiple constituencies. An example taken from the two major health care institutions she set up show how the programs she conceived ranged from the scientific and clinical to the social, educational, cultural and developmental. Behind this network was a holistic vision of health of the community that took the child's basic needs and wellbeing for its focus. It was a vision that was prompted by an impetus to reform and renew the ummah where health in its broadest and deepest sense was taken as an access to this end. As Nurturer and Healer, Educator, Community Builder, Initiator and Animator, Culture-Bearer and Renovator, Dr. Zahira Abdin, Mother of Egyptian Doctors, left a living model and legacy for the generations whose lives she touched, in Egypt and beyond We have also plotted, in a very general manner, a **timeline** and the **course tracks** of the Doctor's life and career to give the reader a general sense of the scope and direction her life took. (See Inserts)

expertise, compassion and resolve that had sprouted the Alma Mater and its many offshoots and subsidiaries. One was a novel and creative enterprise outside Egypt projecting the ideals and practices that would go into the creation of a new generation of women doctors who would be patient oriented in their ethics and humanitarian concerns and competent in their scientific and clinical training as qualified physicians. This was the Dubai Medical College for Girls **(DMCG)**. The other was the daunting task of revitalizing and activating a long standing institution that was going under and that was successfully overhauled and re-initiated into a new lease of life through these two decades. This was the Young Muslim Women's Association **(YMWA)** (*Jamiyyat al Shabbat al Muslimat*) that with its new network of health, educational, social services outreach became the hub of renewing community life in the historic city quarters of old Cairo where it was headquartered.

The nineties: Despite its being a decade of reverses and retrenchment, with efforts to shore up and secure the future of the various existing institutions and programs, new programs and projects continued to be conceived and launched onto the very end. (Widows, Orphans, the Elderly, and the **Sixth October City Complex**) The impending exit of the indefatigable, but all too human guiding spirit that had blazed the trail on so many fronts brings us face to face with questions of the generational gap that frequently besets the prospects of every venture that is rooted in one world and is confronted with the uncertainties and insecurities that attend the birthing of another in a succeeding epoch.

What becomes of the legacy of a golden age? How do institutions adapt to change without succumbing to the convulsions and ravages of time that threaten to derail them from their original founding impulse and creativity? In what way can we learn from the life story of an institution that had proved its worth and held sway for the good of the multitude of communities it had served for so long ? How can its experience become the repository of the reserves of the nation in the course of mapping its future and safeguarding its prospects? How can the life story and trajectory of an institution and its founders become a renewable source for inspiring new generations of prospective architects of community initiatives and community wellbeing? How intricate and intertwining are the pathways between the founder and the foundation? Where do we draw the boundaries, and what are the conditions for breaking in the progeny from the progenitor? What is the impact of the context or the setting on the course and evolution of institutions? How do the dynamics of setting and institution building serve to promote or impair the integrity of community building initiatives? To the extent that founding initiatives bear the imprint of their progenitors or founders, and in this way, they retain a certain uniqueness that may not be replicable, yet how much can be learned from that very uniqueness? And how can we create a more hospitable environment for cultivating the qualities that can promote and foster similar initiatives in the future?

WHERE DO WE GO TO ADDRESS THE ABOVE QUESTIONS AND THEIR LIKES?

This is the role of seminars and scholarly and practical venues that bring together members from different training and backgrounds to do more than celebrate the history

Like tracking an individual's life story, tracking the course of an institutional memory may be helped by sketching out a general Timeline round a central event / episode: Here I will take the founding of the Association of the Friends of Children with RHD (FCRHD) in 1957 as the founding moment in a sequence and process that were sparked by that moment, to provide the inertia/ momentum that would unfold over the next four decades.

GENERAL TIMELINE CONSTITUTED OF NODAL ACTIVITIES ORGANIZED ROUND AN INSTITUTION

1957 – 1966: laying the foundations of the **Center of RHD** and its progressive growth and expansion of its activities. (To include treatment and rehab programs, branching out to local communities, laying foundation for nationwide expansion in the seventies; alongside scientific and clinical research programs) This period also saw the expansion to auxiliary services to other sectors of society to respond to certain needs, as with the institution of the student hostel in the Cairo University vicinity - (*Bait al Talaba* al *Mughtaribeen*) - that also became a hive of cultural, social and health services in its neighborhood and sprouted its own community of mutual support and moral excellence

1967 – 1973: a period of gestation and hub of conception and development of programs projecting the CRHD in consolidation and maturity, and forking out into parallel new programs spanning health, education, and social services and developmental initiatives.

1973 – 1983: Latter seventies through the eighties witnesses the shift of the center of activities of the Association from the Pyramids RHD Center to the **Child Health Care Institute in Dokki** (CHI) – a multi-storied, multi-purpose foundation reflecting the expanding concerns, constituencies, and services of the Friends community. The founder's crystallizing vision of health and wellbeing for a community in control and prevention of disease becomes more inclusive and increasingly sophisticated. The combat now is less against the disabling factors in the broader community, more on the potential for healthy competences and the desire to facilitate their growth.

This is the period for the foundation and development of another mega-project on the educational front with the establishment of the **Islamic Language Schools**, Madaris al Talaiye, *(MTI)* -Vanguard Schools as new Centers of Opportunity and Excellence in the field of education.
(A Healthy Mind in a Healthy Body; and it takes all classes of society to make a sound healthy, self confident, forward looking and productive nation.)

PARALLEL TRACKS

The seventies and eighties also saw institutional developments of a scale and nature matching those ongoing under the procreative umbrella of the Friends community. They were however not directly connected to the Friends, but had their own independent nuclei. Underlying these divergent and parallel tracks was the same vision and energy fount that fed the Friends – together with the reserves of experience,

II

The Abdin Matrix of Institutions

THE ASSOCIATION OF FRIENDS OF CHILDREN WITH RHD: GOLDEN ANNIVERSARY 1957 – 2007 - (CREATING A PORTFOLIO)

CHARTING THE INSTITUTIONAL TRAJECTORY OF A CAREER: In The Footsteps of the Mother of Egyptian Doctors

I would like to try and flow-chart the different episodes, in an attempt to highlight the network that came to constitute the infrastructure of wide-ranging activities up and down the gamut of diverse social and public services to constituencies of all kinds, age groups, social backgrounds, divergent needs and spanning the breadth of the 40 years odd of sustained involvement in building the ligaments that make for a healthy and productive community.

A bird's eye-view of the whole may help us identify some of the characteristics, traits, and interconnections... that tell us about a vision as much as about a task of institution-building...and that can lay the basis for a learning experience that can continue to feed other visions and efforts of others well beyond those that went into the model under study.

The occasion for this re-examination is clearly presented by the golden jubilee of the Association of the Friends of Children with RHD. And our effort on this occasion is prompted by the desire to commemorate the event as much as by a need to learn from the past and mobilize our resources, including our history, to benefit the continued efforts at community building and advancement of the welfare of the ummah well into the future.

Before we can ask ourselves what are the lessons to be learnt, we will need to review the origins and purpose of the whole, through remembering the course of each of its parts, and seeing the connections through time and place... How do we go about this task? What is the best approach? What procedure may best be suited?

the eye-contact of the child friend and lover...who communicates with love and understanding with her ward/ ...

For me, it is a step to untangling that mystery... of the gut reactions I have always had for anything that hurt, insulted or distressed mum... and made me her first and foremost staunch and lifelong defendant... and how this informed many of my relations and some of the most wrenching options in my life... when it came to the point that I decided on where I stood from others in terms of where they stood from mother... It also goes to account for something of that enduring telepathy maintained with mother through our lives... and the deep, subterranean current that would often surface in moments of danger, or at those 'liminal' points in our lives...This was a power of penetration and reach she had ... that I now discover was not confined to me, her first born and eldest, but was there with Azza too, as I recently learned from some of our- alas - all too infrequent heart to heart exchanges ... and about whom I may know less with Omar and Hoda... (I guess I'll have to stimulate them to explore and interrogate their own registers for that...)

Let me not forget to note the point that started this whole foray into styles of upbringing... and how this was spurred by her own frequent recollections and references to the way her own father treated with her... and of how she experienced her own character through her schooling and beyond... as a result of that early upbringing... how all this impacted her own attitude with us... each of us in their own personality type space... and how, in my case, this was experienced and lived out... which will take me back to the comments made about that perennial element of trust... which infused her ways with us... and the freedom she gave us to grow up on our own... neither suffocating, nor choking, nor doting... and opening us out to the potentials in our environment... which at another level, also replicate, or resonate, with elements coming from her own childhood experience... with the ' surrogate mothers...' she encountered.' [End]

It was those first formative months and years that would mark the ascent into the intricacies of a life experienced first hand through the arrival of a first born, in the middle of a devoted engagement with the range of state of art expertise and know how of the age on the sciences (and mysteries) of human life. This had already been preceded by a close apprenticeship in the field, and what she would now be living through in that phase would be a perfection of that craftsmanship ... an initiation into its high orders. Needless to say, the atmosphere in England at the time was like no other. It was a world that had had a close call with death and devastation and that was now in the throes of recovery and reconstruction...

Here, one might imagine, were ruminations which provided Zahra food for thought...something which came to add to the intensities at which life itself was lived. And no doubt, there she was for her, little Mona was there, who in many ways would be the perfect reminder of all that this meant... Like daughter, like mother, each in her own day and age was a war time baby, or a post-war baby at that, and each would carry the tremors and vibrations of her times... This too is a theme in itself, one that will be singled out for its own chapter... so I will not go into that here... not to go off track... and I mention it only in so far as it serves to highlight the point I am trying to make in this inquiry into the channels and tracks of mother-daughter bonding, at a turn where I am trying understand the force of the transmission that resulted in a communication of internal identities / impulses that became a first line of mother-daughter defense... or should I say, its ultimate line?...

Anyway, I find this point of some fascination ... because for another reason, it just serves to show the futility of an exercise of setting out on an autobiography, or even a biography, that does not appreciate the wonders and the mysteries of those intra-biographical spaces that dot and traverse countless lives... and since our essay into this field of writing lives: self and other, equally implicates an attempt to explore the interface at the micro-macro levels/ that is to say, it is an attempt to explore and establish the congruities between our individual life stories and the life story of our nation, or the communities that impinge on our lives at some point in a common trajectory... then a pause at this phase and point of transition and transmission of mother-daughter impulses is of special interest, beyond its erotic and esoteric sublimity... It is nothing less than a journey to the sources... and as with all such journeys, we are inevitably transposed to a dimension that evokes the wondrous...

> *The above reflection was to be followed up in a vein that sought out themes and ideas listed here in the following shorthand treks that closed this leaf of my sketchpad: ' Apply the doctor's lens... etiology... what does a clinician do... what is the clinical sensibility about... how a doctor probes for clues... what went into the making of the humane and compassionate doctor... how the personal and professional converged to shape a special doctora and clinician...and how this churning 'gaze' was to remain her hallmark... down to that very special morning round the swimming pool at Ballah... where she combined the eye of the observing doctor/ clinician, child care specialist, with*

Let me explain that finding… in barest outline at this point…(as I must get up and go for the night…)….It is now all too obvious in retrospect, that I very closely identified with mother… so closely in fact, that unknowingly and imperceptibly, our vibrations, impulses and signals were one…Now this is a very difficult condition to explain, let alone imagine or believe/ conceive… but I am increasingly convinced of this identity of feelings and affinities … with every episode I recollect and try to think through… Now, one of the clues to the source of this identity comes from the childhood pictures I have recently come across… as I gazed at them thoughtfully it suddenly hit me how much mother must have invested in me in earliest childhood on… I have no doubt now how much of that investment was begun almost from the moment of my birth…why, I am inclined to think even before then… but if I am to go in this direction I will need to turn to some of that literature to see what they have to say about this pre-natal period… what is it that happens in the darkness within the womb, as that embryo grows… as life is breathed into the womb… Yet, it certainly doesn't take that line of inquiry to substantiate that contention on the level of what must have happened from day one… even if I have only the most rudimentary of recollections to build on, but that of which there is not the slightest shred of doubt remains enshrined in that treasure trough of photographs that faithfully record some of those milestones of the first three or four years of my life as a curious and passionate toddler in our world. I have only to see the way she held me up against her heart… time and again…from one picture to another, and to capture that laser beam that bound me to her pulse, wherever I happened to be positioned from her stance… to appreciate how bonded we were, even as that umbilical bond may have been cut with my birth…Now, to see the implications of it all, I feel all one needs are just a few other little snippets here and there to fill out the details on life back then and to catch a glimpse of the challenges that a young mother doctor was going through, alone, at the time.

For one thing, for example, I recollect from a taped narration I listened to posthumously, how she traveled on her own with me on board a ship long sea on her way to Portsmouth or Southampton to join father who had gone before us… so, there she was, a young mother, with her baby around six months old, clasped to her breast, alone in the high seas…what sort of impulses must have been exchanged then in those subterranean intimacies, I know not… But there it was, mother must have actually been living the intensity of her own 'remembered' lost mother and mothering period, through those earliest years with me, her first born… and it was with every ounce of her being that she must have lived through the sanctified tremors of this sublime charge, while at the same time conscientiously fending off a hard won space on the cutting edge of the frontiers of that very profession she would soon be marrying into and interweaving through her own life – a profession that took life itself for its subject as science, art, and craft, its origins, its mechanisms, its pathogens, its prophylaxes and cures, the pride of the healer's craft that was to be her lifelong passion, compassion, and recall … a profession that extended itself to the child, that innocent, helpless, defenseless bundle of promise and hope that was to be its first tangible subject. So here was the mother and the Pediatrician all bound up into one.

daughters and son, to be received in accordance to our individual and respective attunements and inward dispositions.

It is at this point that I touch on that silver thread to which I recurrently return, that which underlies the theme of the mother-daughter bond that I am coming to learn about and cherish with every new insight I gain on the pattern of our mutual lives... lived out separately, each in her own time, yet indescribably, in its own sublime way, resonating with the echoes from the other...in its every bend and turn...

Let me address that here...in this context of different approaches or styles to upbringing... How father would huff and puff in despair at mama's ways... how he wished she would be more emphatic and pull the tabs down with me, to put me as it were, in my place... to draw in the reins, and remind me where the buck stopped... according to dad... and every decent family, or so he thought... as he would blink his dark bewildered and exasperated eyes at such seeming folly, license, and a bordering on delinquency...from this wild teenage daughter of his... who seemed to think she was too good for the world (for him!)... Mother's response would be subdued... she would patiently, stoically, try to absorb his fury, rather than to argue... only occasionally would she try to gently, but firmly, remonstrate with him, in defense... not of herself, oh no.. but in my defense, me, her daughter... "No, Monem, oh no, it's not like that, she's a good girl... you just ... well, underestimate..." Oh, how many times I recall mother taking up our defense, doing so not just for me, but for Azza, for all of us... in retort to some unjustified outburst father might trump up against us, collectively, as a bunch of ingrates, or individually projecting on us some of his own discontents ... and how restrained ... and subdued she would try to be... all the while, knowing, and now, in retrospect realizing more than ever, how these outbursts perturbed and shook her to the very core... how sensitive she was to any show of violence, even if it were merely in remonstration, or in the word... And while it was not infrequent for father's volatile temper to go beyond the word in an unstoppable urge to get a fling at that Impudence Recalcitrant, whether it was as was more often the case me, that proud and wayward daughter of his, or that terrified son, cringing in his own self-defense... yet, it was always and eternally, with that studied restraint, and intuitive gentleness that she, our dear mother, would attempt to weather the storm... and fend us from its deleterious impact... that has probably left its irreparable damage on my psyche to this day as much as it must have left its muted scars on hers throughout their many years.

Indeed, it is only now that I am learning about the extremes of some of my own reactions back in those bygone years... of why I should have reacted with such intensity to certain situations, situations that would in all likelihood have been little more than part of the normal run of affairs in many another family, and in many another circumstance... It is simply the realization that such intensity owes its origins not so much to the violence or virulence of a gesture in itself, nasty, hurting and inexcusable though it may have been, as to the compound manner in which it was internally perceived and received in my own psyche at the time....

you, her daughter, and she knew, she trusted, that you would ultimately do the right thing... That was one major difference between her and dad... in fact, between her and most any other mother I could think of... any other mother in her society, in like circumstances with teenage daughters growing up in a society where reputation and doing the right and proper thing was expected of an especially respected family would be especially important...

The trouble is this, that mother was not really a conventional mother in the sense of abiding to the societal norms in a given milieu ... there was nothing typical about her, under whatever label you might want to put her...she was neither the traditional, homebound, conservative mother, nor the liberal, modernist mother, nor the mother who was too busy to mind her children growing up, nor yet again the mother who was over protective and fretting her heart out over the ups and downs of her babes... It was just sensible, intelligent, concern, and a kind of judicious, observant, prudence, textured into a gentle, loving kindness that was the overall feel that she left you with... And within that tenor, she would intuitively leave each of us his or her space... to work out our way in life... at whichever stumbling point we might happen to be... with each of us knowing all the while that for sure she would always be there for us to help out when we needed. With some of us I feel this worked fairly well... with others of our own number, upon reflection, I feel one might have second thoughts.... Later on, I might get into some of these details, especially, as I might interact with some of her own comments and reflections on the subject, in her later years...

Coming back to that space left us to grow and stumble... remember, it was not as if each of us was left utterly rudderlessoon the open seas... for, growing up in our family, we were caught between two rudders/ or inclined to shift between two poles... one was dad and the other mum... and between the one and the other, it was left for each of us to develop his or her own personality / and independence... While Hoda and Azza seemed to gravitate towards father's orbit... Omar was dabbling in the uncertainty of his equidistant zone, astride both worlds, seemingly as yet not quite indebted to either... for me, there was no question about my orientation to mother's aura... all the while however keeping a strong individual platform of my own... resolved on taking it all in at my own pace and will, all the while maintaining a certain detachment, intent on safeguarding the integrity of my inner core... However it may all have been, the upshot on the face of it, was evident for all to see... each of us grew into a world of his/ her own... with an interesting impermeable thread of affinity, interweaving our lives, and an unmistakable echo, that resonated in us all simultaneously and all the same. It was that mysterious quality which, many years down the road on our individual journeys, would remain/ return to bind us, despite how each of us may have developed in our own way and may have lived through a unique and individual set of circumstances; a quality that would often make people comment on how like we were, for all our apparent differences... And it was this imprint that I now feel must have been something that was carried over from mother's pervasive, yet discreet and all too imperceptible manner of our upbringing... An upbringing that in some ways very much mirrored something of her own... and which filtered through to each of us, her

got along, how we were drawn or attracted to one another, and how genuine were our affections… it seems, the only occasion religion got in the way was when someone or the other from the grown ups… the parents or teachers got involved… but, at the end of the day, when left to ourselves, as children we divided among each other along lines of natural affection… where there were also those of us who just didn't mix and didn't become friends, and for these there was no question on where we stood in terms of our private faiths or family affinities… and where no doubt part of that indifference, or want of sympathy and self-sought distance, sometimes had a racial/ cultural component to it, in addition to its being simply a matter of personal antipathies…

I refer to this latter aspect because I also happened to live through a very testy period in my early teenage years in England… when we happened to be there at the time of the Suez Crisis in 1956 … when Nasser nationalized the Suez Canal and the tripartite aggression against Egypt was launched in retaliation… and feelings were running real high in England at the time… and being from Egypt there in the middle of it all was a real challenge… and it was a time where true friendship shone… and this was also a time where the medical doctors my parents were working with were especially wonderful in making sure that we continued to be made to feel wholly welcome and more than accepted…and it was also a time for testing the caliber of sentiments and integrity of our friends and teachers at school… where there was scope for indulging in nastiness as well as room for being really wonderful models of being fair and good and true.. So, I think, in a way, the very historical period that found me in England during both critical periods of my growing up, whether in earliest childhood years, or later, in that critical transition to my teens, would impact on the quality of experience and shaping that would come to mould my character and shape my attitudes for later life… However, all this is another story… a great chapter I would like to write, and to give its dues…
Right here, I feel I have strayed far and beyond…

The original point in this segment of my story on mother-daughter bonding came to me in a reflection of the way she brought us up and how it was thus in such a manner as must have reflected her own upbringing…rather than any other social contingencies, norms, or pressures she felt obliged to respect. It was, I venture to suggest, the particular quandary in which she found herself, caught as she was between a husband who thought differently, and whose every impulse and background seemed to revolt against a perceived negligence and undue license on her part, and on the other hand, a daughter going through the conflicting pulls of a teenage gone awry somewhere midstream and desperately seeking to adjust in a situation that was virtually beyond adjusting in itself … it was that situation that brought out the very special quality of hers in handling test cases. No, she did not neglect, she did not ignore, rather, she was very concerned, very solicitous, she noticed, she observed, she might counsel, befriend and advise, where she saw no reason for concern or worry, she held off judiciously, on all counts, she trod lightly, softly… she made sure you were given your space.. she respected your choices… above all, she trusted you… she exhumed her own trust in you… and she knew, just knew, that whatever the rough roads you might tread, whatever the hard choices you might be confronted with, she had enough confidence in

luckily these particular kind of attractions were infrequent... but when they did develop they would usually be attended by heartache...as inevitably they must... It is no secret indeed that as I grew up, into and past those torrential teenage years, one of the cardinal causes of my unhappiness was the wonder and uncertainty about where in the world I would ever find my Prince Charming!! The range was quite vast, enough to be inhibiting... since for one who had grown up in so many circles and cultures there was no ends as to which part of the world, which culture... I was not bound by any parochialities... and my affinities were quite encompassing of the world of our humanity... the only proviso that I seemed to have committed to at some level at least, was that for any serious prospects, the eventual claimant on that title would have to 'become Muslim'... perhaps not just to be socially acceptable to my family, but also, perhaps, because deep down I equated whoever would have those splendid human qualities of charm and goodness and everything I might be attracted to with some essential godliness, 'loving of God' too... in the sense of the purity and goodness and righteousness I identified with Islam, or with the kind of Muslim practice I could see in my home, especially in my mother.

Yes! My understanding of Islam has an altogether different and fascinating story of its own... as well as its complexities... it was definitely not the Islam of my dad...or so I thought, at least not on the face of it, for deep down I recognize some residual and unmistakable affinities... yet, beyond that, I often wonder how much of that benevolent and idyllic understanding I had of my faith came from my mum... I honestly don't know... I haven't thought out that one yet... but all I do know for sure, was that I did grow up with a loyalty to my faith and that I must have had it all figured out in my mind when at a fairly early age, may be before I was even 10, I was writing that 'book length' tale of Peter and Abdullah... and explaining how in the search for truth, it all led to the one true God... However, again, how I related to my faith remains a very, very complex story that needs and deserves to have its own telling and hearing... for one thing I know for sure, it was never something to be taken for granted with me... and it was a question I was faced with very early on... and the course of my life and career choices and patterning, if I may say so, came to be shaped by the responses to this question, as I went through life, in its different formative and maturing phases...

Indeed, upon reflection, I see all the paradoxes... and amaze at the outcome ... For I know of no one who was more absorbed into the life and culture of a good Englander growing up, saturated in the fairy tales of the Grimm and Anderson Brothers ... and who thoroughly delighted in singing Christmas Carols and excelled in improvising tunes on them, and sang out as enthusiastically as every other child in my class the patriotic hymns and anthems: " Some talk of Alexander, of --- and Hercules...of Hector and Lysander and such great names as these, but of all the great names ... there's none that can compare with Britannia ... Britannia rules the waves ..." ...nor can I think of one whose circle of friends was so wholeheartedly assorted and intimate with all and sundry, including Jewish and Buddhist...and yet was also such a proud and doting Muslim too ... it's somehow, partly true, that for us as school friends, playmates and pals, growing up together and befriending one another, our approach to each other was solely based on how much we liked each other at the personal level, how well we

'outside' group at my school, by whichever measure that was judged: hence, I would mate up with the boys against the girls, and my best chums where we sat in class would be two Amrs (a Hamza and a Younis, I recall) and myself, as against other pal groups, notably 'the girls'... my best friends would often be from among the foreigners at the school, like Denise Lagnado (of Italian, Jewish stock) rather than homebred Egyptians - and it would take some time before I began to have good friends among these... but there, again and again, my first instinct would incline to reach out and empathize, or take a liking and acquire a spontaneous understanding for the 'minority,' or for those who were somewhat 'different' in my class... a pattern that seemed to replicate itself when I went on to another school, the Manor House (in my two years there)... where again my best friends were Lorna and Lulu, daughters of the Philippines military attaché in Cairo at the time, who also lived a block away from our home ... and with whom I could visit as often as I saw them at school... or, again, with Yoko Watanabe, my Japanese friend... and then of course, there were my Levantine friends, mostly Christians from Lebanon and Jordan, to whose parties I would go...I mean, I remember being on closer terms with some of these than with many of my other class mates who were mostly upper class Egyptians... I did have some friends from Maadi and elsewhere, especially, when I went for my last year to the English School in Heliopolis ...they were mostly of mixed background, with English, Swedish, or other European mothers married to Egyptian dads... but then anyway, our relations rarely developed to an intimate pitch, and we lived too far apart from each other for that...

I can almost number my Egyptian school girl friends, perhaps because they were so few: In my earliest years, it was Sohair Ali Ata... but that was in the short years I went to the Immaculate Conception School, that school of Irish Sisters, in Saptiya, where my parents sent me before we left for England in 1954... and Sohair was a friend I kept for life... through the years, even when we didn't see much of each other, and after I had traveled and returned to Egypt and gone to different schools and all that... yet, the basic thread of friendship was maintained through the years... to this day. The other good friends I had from school included Maissa el Mufti and Shadia Shindi... however, these were not friendships that were maintained through the years, and as we changed schools, or started our different college and career paths, contact was lost... Interestingly, my best school friend from the mid fifties years in England was maintained long after each had gone her way...and there were cherished reunions with Susan from time to time through my later visits to England – even right down to the later years of her mother's life, when they had left London altogether for a home in the country.

Yes, that was a hallmark of my old school friendships, and it would carry well into my college years ... they were never superficial, they were always for real... it was something that was very much part of my life... where my relationships were always in some sense 'deeply involved'... where there was always some deep side to a relationship, where there was a certain quality, a certain intimacy, about it... always, as though it were I was striving for keeps... for something enduring and below the surface... it was a case in point whether with my girlfriends... or with the not infrequent attractions I might develop for the boys around me, or shall I say, that

3

Mother Daughter Bonding – Fragments from a Theme

Upbringing - Challenges and Convergences:

Sketch-Pad... Feb 18, 07

Note: As I think back through the years of mother, and remember or rather, reflect in them my own, I cannot help seeing the parallels crop up again and again, in the most diverse of developments. Here my mind goes to the manner in which mother approached our particular upbringing as children... How this resulted in very different attitudes and lines of development among each of us, my siblings and myself... how it also often resulted in some tensions at home, through differences of opinion, between her and father.... And how particularly virulent these stand-offs would be in my particular case. Thinking back now, I realize that my own case was a particularly difficult test case, not only for my family, but most likely for any family.... For there I was an admittedly intelligent and advanced child, precocious perhaps, and above my years... subjected in those most difficult of years for any teenager growing up, to the most bewildering of pulls in different directions....

Having left England for Egypt at a delicate period of my growth ... where on the one hand, it was obvious I was quite at home in my 'environment' out there... having acclimatized or adapted between a very unique blend of identities and loyalties that included the ways of my parents, together with an integrated and involved life with my school and my friends in and out of school... particularly a couple of best friends, into whose families I was taken in as one of their own... and one of whom was on close terms with our own family, especially, with mother... Here I am referring to Susan Morley who was a school mate as well as a neighbor who lived down a few houses from our own on the same road, the Avenue... So, in and out of school we were close friends... and this did not interfere with other circles within which I moved and played ... as with children of family friends from Egypt...and other English family friends with whom daddy worked and who took a liking and personal interest in his family, especially me... It was indeed through such benevolent and friendly connections that I got to go to my first concerts and had the greatest thrill of my life as a 9 or 10 year old going to Swan Lake at Covent Garden (what a treat!!) and actually got to see Dame Margot Fontaine...

It's just having been pulled away from all that heartwarming familiarity and pushed, as it were, to sulk my way back in Cairo. The very difficult period of adjusting to my new school, the Gezira Preparatory School, in new surroundings was a transition that coincided with the onset of that natural phase when little girls wake up to the prospects of adulthood. I was now coming into my teen years. My life would bear the brunt of these frustrations and complications for long after. I seemed to have become part of the

uncharted terrain... imparting to a flat and faceless plane some identity markers as a way of establishing its epistemic credentials, qualifying it thereby to serve as a standing registry or a frame of reference and recognition for shaping siratographia discourses.

Highlighting some theoretical points and assumptions against which to establish these congruities:

(1) All biographies are situated, and being situated there can be no biography that is not recorded without its 'point of view' – or an angle from which recollections are brought together and marshaled, or conducted. I am really trying to say three things here: that every life-story is not only unique to its subject, person-specific, but that it is also contingent on its day and age: it is a child of its times, in much the same way as the life in view is lived in the full mirror of its setting. While subjectivity imprints that individual's life story, it is also inescapably imprinted by the course of a setting that is distanced from it, that is to say, that the 'objective' – is very much a part of the factors that go into the shaping of the life story. What is particularly interesting though is the interface, the space at which the dynamics of the life-story unfold, as this is the crux of a reading whereby, insofar as the central drama goes, meaning the life story of the individual, what counts is the manner in which the setting impinges on the individual's consciousness and action, on their self-understanding and on how they go about 'their story'... Looked at from the micro-cosmic view, what matters is our response to our circumstances, how we re-enact their meaning and value or significance, through our lives, or through the choices we make and the paths we ultimately travel.

Hence, on the most general level, there is nothing new or revelatory about this staple about the conditions and manner of the enactment of one's life story, nor about its rendition as an account, the substance and manner of its representation and narration. Every life is a situated life, and as such it is subject to the terms of its situation, within a range of variations or possibilities. Not even the dweller of the fabled desert island stories can escape this rule. The story of Hayy Ibn Yaqzan, much like that of his later recall some centuries later, against the shores of another time, Robinson Crusoe, could not have been conceivable without that interweave with their setting: a natural habitat or a concocted el dorado. It is, as it were, a mandated interdependence that assures the nature-culture nexus. The setting is the condition and the premise for discovering 'self' - while the self comes only fully into its own in response to something beyond itself!

events and happenings, known sequences and sequels, but that there are layers where the ripple effect of our sentience, our own being as active consciousnesses and consciences...moral beings who have lived their assigned lot in earthly register, leaves its impact somewhere beyond those passing years, as though in some gravitational force or field in cosmic spheres that are potentially accessible to our senses... supra or otherwise, if only we can tune in – and resonate... again, if only for a fraction of a second that could spell its own eternity... It is this plumbing the depths of a life... an invocation of a clearing in its pathway, modulated by the intensity with which we seek to ascend through a journey into the inner reaches of time taking for our steed and vehicle the trappings of a particular life... that we may find ourselves but a hairs' breadth away from a bridgeable span of time that has a particular relevance, value, worth and meaning to us as earnest seekers on the brink of the shores of that sought after life-line...

Nota Bene!! I am aware that the above is carrying me into some esoterics that might probably be hard to follow or even to concede/ conceive for my readers... I myself can hardly make sense of exactly what it is I am trying to say... all I know though for sure is that there is something to be said for an experience of tapping into an individual's life-story, and with it the memories of a past... especially when it is done in the frame of an intimate connection to the life researched... I know this from the promises of experiences and attendant insights that I am just getting a whiff of in a very tentative way at a point in the journey where I am still virtually an outsider, a novice to the experience...

It will be tough to articulate this kind of experience... to evoke this kind of approach... and expect to gain some credibility... but, I will hopefully find a way of such articulation, as the experience crystallizes... and I am sure to identify some 'straws in the wind'... among similar experiences among others who have gone before down this track of reliving memories..... or tapping into those of others, especially, loved ones... The only difference here as we reach to probe dimensions beyond the palpable and material 'evidence' may perhaps lie in our attempt to integrate that approach into a kind of systematic framework that defines a field under construction. Biography as a field that opens out onto the subjective may well lend itself to a humanities perspective that is more open to forays set on pushing out the frontiers of human consciousness in directions that impinges on ongoing research in para-psychology and related domains. (cf. Stanislav, Beyond the Brain...)

Epistemological reflexivity aside, we come back to the objective of this memo, which is far more tangible and concrete. It is about our insight into the facts and implications of Zahira's bio time-line and its personal and historical corollaries in so far as our ascent into the trajectory of her life journey goes. What does it mean to say that like mother like daughter from a temporal perspective, there were some amazing correspondences about the manner in which history and life treks, their individual timelines, coincided with historically significant events, if not turning points, in the affairs of that broader collectivity that is their ummah? I can only venture into some tentative propositions at this point, in an attempt to give some initial topography to

triggers a rush of adrenaline... tremors that I sense filling my being even now... after so long, more than fifty years!... one of the reasons no doubt that brings these memories back with such a gush is the fact that I happened to be physically located very close to the epicenter of where the big events were happening.... This physicality was as much spatial as social and family wise...and on reflection, it speaks a world of how interwoven is the fabric that binds the individual to the community, the bio of our personal life-stories and its counterpart in the narrative of our larger society and our community- our ummah.

I will not go into all this right now... except to have it as a background, or canvass texturing the runway of my mind, when I hit upon some of those insights into mum's own years... and found myself gasping at the amazing parallels that could be drawn between the lines and pathways binding mother and daughter...in yet unforeseen corners of their lives..

The upshot of noting dates and going down the parallel paths of our histories... mother and daughter, each in her own span, I arrived at the simple fact that each of us was in a way ... a wartime baby: a child that grew up in interesting times, and was in a position or at a socially, and physically, situated context to have the stories of the day impact on her own unfolding story, of a child opening out to the world.... It kind of brought me back to an idea I had often played out in my reflections and teaching in courses on intellectual history and on the implications of time seen from the manzoor hadari perspective. The idea is that of the generational time-frame and its meaning for ascertaining certain directions and dimensions of history, society and culture. Now, in my present engagement of the biographical field, I find myself hitting on new possibilities in this regard... and specifically so, as I rethink mum's own life-story and try desperately to capture the impetus and impulse of a life to which I have very few direct windows from which to look... i.e. The very sparse material I actually have about mum's own childhood and her years as a young woman, going through her different phases of schooling onto college... the actual material is limited to some scarce and far between anecdotes, tidbits, that I now cherish, as I rue my not being more attentive at times when I could have learned so much ... from so many sources, people who are no more... Still, this dearth or scarcity is such as to make the little that I already have access to mean so much more... and to provide me with the clues...to worlds unfathomed... And, possibly, in retrospect, come to think of it, may be if I had so much in terms of actual material detail to follow up, my story and the turn taken would have probably been a lot more conventional.... I would not have lived the challenge I am daily confronting... of how to creatively plough a course, in ways that go beyond the conventional and well trodden pathways that are established in their field...

In fact, this whole idea of imagining the bounds of a new space... that I call siratographia... may not have come up at all... and it is this rather unusual space that I am trying to explore that is spurring quite a few tracks... that would otherwise have been left uncharted... It is an attempt to really live the bio-experience in a different dimension... a realization, that our lives are not just 'book marked' in terms of surface

service and other social engagements...and the circles she jockeyed between were truly astounding: her versatility and sheer ability to deal with different constituencies and at different levels and sectors of society... indigenous and international, high, low and middle... male and female, patrician and plebian...country, village, and city...

2

SKETCHPAD: ZAHIRA BIO – PORTRAIT
Turning Points and Convergences in bio-tracks and collective histories

February, 2007

Good Morning, Muses!
After a mixed night of minor ebbs and flows, mercifully nothing worse, I finally managed to get a few peaceful hours of sleep this morning and woke up dousy but refreshed with my mind wandering on various odd tracks, finally coming into focus on mother's early years... in conjunction with thoughts of my own childhood...At one point I was looking at dates and connections...trying to place moments of parallel pasts in their historical time frame... what was happening there and then in the world in which we respectively grew up? It was an interesting and enlightening exercise that was sparked not least, by the remembrance of those critical years of transition, as we moved back and forth between England and Egypt...the years between 46 and 49, and then the early fifties... as I was trying to remember who was born where... puzzled as to whether Omar was indeed born in the Garden City home we had briefly settled before moving to the Abdin / Bab el Louk vicinity...or whether he too, like Azza, arrived there...

It was in the course of this attempt to focus these years that I suddenly realized that yes... dates do matter.... And that there are periods in our lives that in some ways are like no other, in terms of the intensity at which they are lived and experienced... This was thinking back on me... reflecting on my own childhood memories and excitements of those same years... years that were truly eventful – not just for the world – but for my personal world ... whether in Cairo or in London... Yes, I realized what it was like to be not just a 'war-time baby', but also to have been growing amid the excitements of what was happening in our particular part of the world... with the war in Palestine, the political fireworks in the region, and the army revolution in Egypt and the departure of the King, and with him, the monarchy... It was a sparkling, bubbling era that was personally meaningful to me in a very real way... it seemed to directly impinge on my personal and family life growing up as an intelligent, observing, sensitive and keenly inquisitive lively - hardly seven yet by 1952, but by then well beyond my years, according to mum's own remarks about me...

My memories crystallize round a few moments that stand out and exert a powerful pull... recollections that are not just vividly recalled, but the remembrance of which

structuring our presentation, and identifying the objective or purpose of telling the story… and outlining a sequence… from beginning to end…

I might try to see if I could set up an individual appointment with Georgia Roberts to discuss my current project… but first I need to try my hand at drafting out some of the options mentioned above…

I realize too that I may need to get Azza to pitch in … particularly at the more professional junctures… to identify some specifics relating to mum's lifeline and pursuits in medicine … it is these specifics that might be required in profiling her professional career portrait… E.g. the hospitals and centers she worked at and did her research in England… Hammersmith, Great Ormond Street, Middlesex, Taplow?? Her track in the Abu Reesh Children's Hospital / Kasr al Aini in Cairo, between teaching and clinical and research tracks… Her runs with the WHO in 1961… her research in Cairo… between the RHDC and the Ministry of Health… and the nation wide effort she undertook in preventive medicine – rheumatology screenings and immunization of entire school populations… and campaigns to educate the grass roots and mothers particularly among the underprivileged and disadvantaged sectors of the population …Also her rehabilitation projects… and her outreach programs in the communities served… Something too, about her scientific research and findings in the field of RHD … the streptococci virus she identified etc…Recall too, the Chair for Social Pediatrics instituted for her in the seventies, exactly when, can we possibly track this down?

In the medical field it will be necessary to distinguish between the different tracks of her activity: the research or scientific, the clinical, the academic, the administrative, the builder/ founder… In the academic distinguish between teaching, research, curriculum development, training cadres … where she piloted or pioneered fields and areas….
As a clinician, emphasis on how she practiced in the field: on her relation with the different sectors she dealt with – including the patient, mothers, staff, personnel, and of course other doctors, whether interns or colleagues.
Try to identify the threads and patterns that run through her work and the different roles… How did she integrate the different facets of her work? What about the vocationist and the mission, or the 'calling,' prompting her involvement and dedication.

I think mention too should be made of her private practice despite its subsequent and early interruption… I'm not sure… when exactly did she close her clinic? Was it in the late fifties, or was it later following her traumatic accident when she was confronted with the need to focus her energy and dedicate her attention to her charitable foundation… I have a vague recollection that this decision was taken before her accident… for by then she was already confronted with the challenge of juggling her work in the Aburreesh complex and teaching faculty… and her altruistic commitments in social service… both demanding tasks…

Recall too, that she was doing a lot of other things besides… not just the medical role and the charitable field, but she would be attending to sundry other areas of public

contextualize Dr. Abdin's Award...Luckily, I have some press clippings from the occasion, including material from the *Frankfurter Allgemeine Zeitung*...It would then be possible to place that award in its context...and provide some useful insights, along with the colorful details to foreground my story in this episode...
As for Old England's Royal College of Physicians... I find that here I will definitely need to follow up on Dr. Abdin's absence from the Munk's registry... and take the matter up with its Editor... Could this have been an oversight on their part... or something missed on ours?

I also came across some interesting and inspirational sites from which much can be learned in implementing our Bio project... For one thing, I've learnt that the photo-essay is certainly one of the more attractive and practical options I have ... to begin to get a handle on mum's life story and accomplishments... This along with the idea of the Time-line as a strategy and approach in handling the material and resources at hand...

Following in the tracks of the renown British economist and cultural critic, Ken Boulding, for example, I stumbled upon "The Commons"...an internet learning and networking project that can very well be applied to our particular project on ***al umm-ummah: siratology venu...*** It can provide us with an adaptable model of a cultural and communications hub that can help evolve, advance and spread our ideas on the web... Just as Ken Boulding is taken as key to introducing and floating a project for sustainable society and responsible community, we can find our model in Zahira Abdin's example and accomplishments to establish our "Renewal and Reform agenda..." More of this later...

Second thoughts developed on how to handle some of the materials at hand: e.g.- now I'm considering doing a study on the few writings we have for her: notably, her account of the DMGC - It is not enough to simply include it as documentation... but it provides us with an outstanding opportunity to dialog and comment on her ideas in this area of curriculum design/ development and implementation **... the point is to engage her on her terrain**... and use this practice to bring up a range of other topical issues to address....

Provisionally, I will want to visualize how to go about organizing and annotating the materials and ideas already at hand on the subject... like sketching out various formats of the big picture of a profile... and a story... This may include how to categorize or classify the subject...whether as character, plot, or themes...

I am reminded of the project we worked on in the Inova Family Center for health services here in Arlington last summer... on writing one's self or story... and how we started from simply collecting a range and assortment of miscellaneous stuff that caught our attention... from magazine clippings, images, words, phrases, concepts and 'idea-units' ... and then we would simply work on putting them together in a sequence – or a timeline- that would tell our story... This was preceded by some coaching about

I

A BIOGRAPHY IN THE MAKING

My Sketchpad Series –
Background Notes for a Bio Project
(Samplers)

1

Surfing the Web and Some Afterthoughts

December-2006

The following are some of the ideas churning in my mind in the wake of the last few days surfing the net on Zahra Memorium related missions .... These preliminary exploratory outings have brought some food for thought to say the least - I will try to sketch out some quick notes to which I can later return... for more deliberation... For now I just want to get a grip on things, lest the enthusiasm sparked dwindles and all the budding ideas evaporate...

First: I have been able to locate three promising sites that will spare me much effort I hope: One is the Edinburgh University Registry with its listings of Honorary Graduates... from whence I learned something about the Master of Divinity honor awarded Dr. Abdin... and about who else was awarded what during that same year of 1980; this has much promise for enriching my narration of the event... and contextualizing it.. I also learnt of the American neurologist who shared the distinction with mother, and by tracking down his information on the web, I found it a somewhat interesting coincidence that he too passed away the same year as mother... in 2002: notwithstanding the fact that he was more advanced in years.. It was equally interesting to learn that Simone Weil and Rebecca West had each been honored in the same year...So too with Kenneth Boulding...What I did learn for sure, as I scrolled through the listings down the decades was that it was indeed a rarity to come across a name that was not of European or Western origin: and that Zahira was a double rarity in this regard. The deep Xian roots of this venerable European institution were also pretty obvious... I would like to follow up on some details, including the nature of the award... and how it differs from the doctor of divinity- which seems to be reserved for those whose background formation and profession is strictly theological...The Hon. MD would certainly seem to stress excellence in the virtues of a profession, a kind of distinction awarded the accomplished layman whose skills and practice were informed by the higher virtues.
I also came across the website for the Elizabeth Norgall Award and the International Women's Club in Frankfurt... and this too provides some invaluable insights to

ADDENDA

- I - A BIOGRAPHY IN THE MAKING
- II - THE ABDIN MATRIX OF INSTITUTIONS
- III - WORLD HEART DAY INTERNATIONAL MEETING on The Golden Jubilee of the Association of the Friends of Children with Rheumatic Heart (AFCRH) 'An Integrated Approach to the Child with Heart Disease' EMRO, Cairo, Egypt. September 5-7 2007

  - Notes and Memoranda from the Riwaq Socio-Cultural Forum

Less than one week later, Zahira was taken to the last of many emergency room stays from whence, shortly thereafter, she would finally be delivered of her worldly cares and returned to her eternal home... The tenacious warrior had held her grounds in the field to the very end, and now she had earned her heavenly rest.

LAST PORT OF CALL ...

www.muslimwomenstudies.com



On Call to the End

It was not an untypical charge!

The annual meeting of the General Assembly of the Association of RHDC Friends convening on April 24, 2002 was the last public function Dr. Zahira would attend. By that time she had been bed ridden for many months, but her agile brains and unyielding concern for the public weal had never flagged... and true to her mettle to the very last, as long as breath and wit she had, she would not miss out on anything for which she felt the Call... With the Association that she had founded 45 years before, in 1957, she was sure to respond to an urge that could not go unheeded.... and fragile as she might have been, she insisted on being there... or rather, she beckoned and they came. These were hard times though, not times of ease, and they were testing times for exposing the mettle of those around her. At the helm, tending his lifelong mentor and inspiration, is Dr. Ahmad Qutb, at that time the Vice President of the Association, and a loyal and dedicated soul who had overseen the growth and flowering of many a project at her side. He belongs to a fortunate generation that had drunk at the well of Zahira's inspired learning and training....On the right, is her son, Omar, who became her closest counsel and guardian angel through her last days, and upon whose shoulders she placed her Trust. On the left, Mr. Abdullah Barakat, one of her more recent recruits to the Board, projects something of the awesome reverence that attended this function.

with the fears and insecurities of a "non-traditional student", and always reminded me that this was not about me and my ego, but about something much bigger than self. Her image silently gave me the courage and support to complete my studies and graduate with highest honors. Her image also kept me focused on the fact that I am simply a vehicle for this process and a conduit to transmit a force and will far greater than my own.

I have spent the last four years working in a hospital psychiatric medical care locked unit with chronic mentally ill. I have initiated a study centered on a self-care program for the staff in acute settings. This study uses art therapy and person centered theory to assist nurses and caregivers identify and manage secondary trauma that they are experiencing.

As well, I have received two grants to start an art therapy program in a cancer center in a suburban hospital. This program involves working with patients and their families or caregivers practicing art therapy, and co-leading support groups for newly diagnosed breast cancer patients, and patients dealing with metastasis.

I have begun an exhibition program of original art work by local artists. The work hangs in the hallways, waiting areas and treatment rooms. It offers changing windows of creativity for people to enjoy. I hope that it brings a fresh breeze of light and hope into a darkened space.

I am developing a study in this center to research the ability of art therapy to reduce some of the symptoms caused by cancer treatment for breast and prostate cancer patients.

It is so important for you to know that this really has nothing to do with me. I am fully aware that I am just a conduit. Your mother reminds me of this every day I set out to do this work.

It is God's grace that brought her to me. And it is God's grace that allows me to do this work. I am not a special person or a sainted human being like your mother. This work comes late to me, and my time and energies are finite.

I am well aware of my faults and insecurities and weaknesses. It is just that your mother's presence … changed my life.

I am deeply indebted to her.

With highest regard ….

Mary Donald ATR BC LPC

***"There was something about her…
A glowing presence…. that touched me…
And changed my life!"***

The following tribute comes from another wonderful spirit I've only just discovered… who happened upon me as a Godsend, coming as if to provide me with the moral support just needed at this phase in my life's bounties, as I go through various treatment options to check a health condition. Of course, I owe much to Aicha who introduced us … But, the most remarkable of things, was the chance encounter Mary herself had with mother, as the story below illustrates… It's an eye opener, because it is a narrative that points to many other similar encounters, some of which I have known, and most of which I have little access to today as I strive to document a life and its many mansions. It tells of how she touched the lives of many, in ways beyond fathoming…

Dear Doctor Al Fadl,

About fourteen years ago while visiting Aisha and her children in Cairo, I was taken to meet your mother, in her home. As I entered the living room of her lovely apartment I was filled up with a warm full rich feeling. I felt as if my whole being had expanded and I felt as if all good was filling my body. Your Mother entered the room and I was struck by her glowing and loving presence. We were strangers and I was considerably younger yet I was swept into her loving being and I too began to glow, wanting only to do and be the best that I could be. I left that day feeling and truly believing that I had been in the company of a truly remarkable person and filled with gratitude for the gift of our meeting.

I came home from that trip, developed my photos and put your mother's picture on my desk. I had no idea how her presence would manifest in my life but I was sure that it would be revealed to me when the time came. I simply knew it and trusted and then let it go.

Two years later I was asked to help a woman's center in Riyadh and went to Arabia.

When I was there I also had a similar feeling of fullness and continued to help this organization as best I could with my business experience and artistic ability.

In 2001 I left my career of many years and began graduate school at the age of 58 to become an art therapist. Your mother's smiling face peered down at me, as I struggled

TRIBUTE TO A SAINT

S. Abdullah Schleifer-

Senior News Correspondent & AUC Media Professor (Cairo, June 2002)

Sayeda Doctora Zuheira Abdeen did many things and was many things, and all of it was good.

Let me address one aspect of her life which I am most familiar with and most grateful for - and that was her devotion to be of service to those of us from the West who had chosen Islam and come to Egypt the better to study it, and/or the better to live it.

Now many educated and pious Egyptians find Western converts fascinating, particularly those converts who were well educated themselves and came from comfortable family backgrounds in America and therefore had little or no dunya reasons to take Islam - on the contrary, doing so made the dunya more difficult, for those of us in this category.

Because of that fascination the kind hospitality we were so often the recipients of, often overboard and in its own way quite demanding, was also tinged by complexes and even at times suspicion. After all, why did people like us take Islam, if there was no benefit in the dunya? Could it be we were all in the service of Western intelligence agencies? Such were the second or third thoughts of many very hospitable, educated and conventionally pious Egyptians we would all encounter.

That was never the case with Dr. Zuheira. I think the reason for the modesty and pure sincerity with which she dealt with Western Muslims, and took a genuine interest in our spiritual pursuits as well as our problems that needed solving, was because her Islam was not limited to conventional piety; her Islam was above all else God-Centered rather than world-centered. Because her Islam was above all else a personal spiritual experience, second by second, as she moved thru life.

Beyond the fame and honors, the university degrees, the accomplishments, Sayeda Zuheira Abdeen was above all else, a Saint.

the correct destination. She was working with Dr. Enes Karic, who presently serves on the academic board of Fons Vitae.

I remember the afternoon when she was lying in bed with a broken leg. I got in bed with her so I could press against the leg and keep it in place. Finally the ambulance came. She was in great pain, but always incredibly sweet and thoughtful to the paramedics. Even though she was very old – and she always had looked the same way in the thirty-seven years I knew her – she was careful that these young men not see her without her scarf.

Modest to the last. Empty to the last. Her sanctity came through her humility and service. Life will never be the same without her.

P.S. The BBC made a series on the great faith traditions called "The Long Search." In the one that they produced on Islam, somewhere in that hour, the crew visited Dr. Zahira and Dr. Abul-Fadl, interviewing them around the dining room table. For years I would hear school teachers and people who used these films mention that the only explanation they ever understood about Islam was the presence of Dr. Zahira Abdeen: what she said, how she said it, and how she was with those around her.

recalls for me the story of the Prophet Muhammad when an angel removed his heart and purified it in snow.

Zahira was on her second life when I met her, which explained a lot about her luminous, generous state of being. Her family had two homes on the island of Zamalek (in the midst of the Nile in central Cairo). One of them was in a neighborhood called Agouza. One day she went to take the elevator down and when she opened the elevator door, she did not notice that the elevator was not there. She stepped in and fell six floors, smashing herself to bits on top of the elevator on the ground. Though unconscious, in herself she thought, "No one will think to find me here when I am missed." She then went with her mind to the mind of her husband who was in their prayer/retreat room, which stood in the garden behind the apartment building. She said to him, "Ya Abdul Menem, come find me on top of the elevator, move me very carefully." The hospital where she lay unconscious concluded she might never wake again and if she did so, would certainly never be able to walk. One afternoon, as her husband sat near her, he heard a voice in his mind say, "Do you need her?" He replied, "N'am", meaning "Yes" in Arabic. She opened her eyes and was later to mention that in that time outside of normal consciousness, she had been with the Prophet's family, and her head lay upon Sayyida Zeinab's breast (the granddaughter of the Prophet).

She once mentioned to me that as a young girl on their farm, one morning when she heard the call for the dawn prayer, she lingered in bed. She felt someone tug gently at her toe. As she opened her eyes, she saw Sayyida Zeinab fading from view. Against all odds she fully recovered and was able to walk again, only to return devoted to service.

She worried that all the upper-classes were sending their children to the British or German schools, where they would learn English, so important for one's livelihood today, so she created Islamic English schools so that the young could study within the structure of their own faith and culture.

Somehow she managed to make the Hajj every year, which is a feat of great endurance. She had a special place where she always sat and could be found at the Mosque of the Ka'aba. One day I found her there weeping. She said, "Oh Aisha, I don't do enough."

When the Bosnian war was underway she encouraged me to go there. After working in the refugee camps and for the Bosnian embassy in Zaghreb, I realized the best way I could help would be to publish material which they needed for their schools and raise funds to have school supplies and crayons sent. Being a publisher I thought the best way I could help was to be involved in this way – all the time with Zahira pressing me.

She could feel her strength waning. She sold her properties in order to create endowments in Bosnia which would provide teachers and schools. She was always worried that the booklet I did in Bosnian, Understanding Islam and the Muslims, as well as The Life of the Prophet Muhammad, would not arrive by ship and make it to

MY ULTIMATE ROLE-MODEL

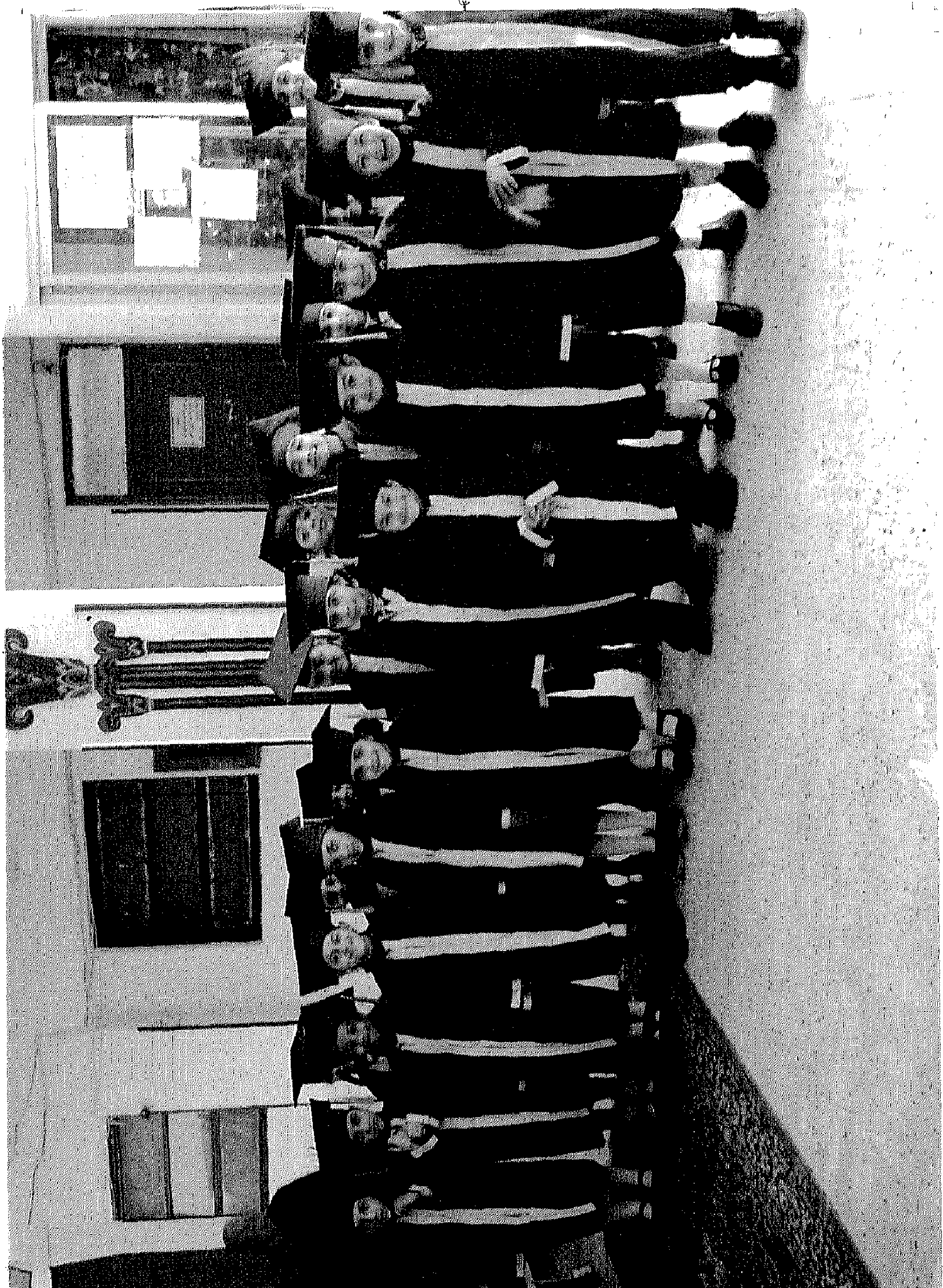
By Gray Henry

The Gouverneurs arrived in Egypt in the sixties... probably one of the oldest and most sustained contacts... whose home in Maadi became a hub of hospitality of various visitors from back home... meaning mostly America and England. Those had their own circles of spiritual masters and inmates... who again were not too far from mother and father... and the warmth and intimacy of a sustained contact could not be measured in words. "Aicha" kindly sent me the following elegant and compact rendering of some of her memories as a contribution to the work I hope to do, and I considered adding it to the present fringe collection for the light it casts.. on yet another dimension of Dr. Zahira.

When we arrived in Egypt it was not long before we met Dr. Zahira Abdeen. My son one evening was very sick with croup and could not breathe. We ended up in the Kasr al-Aini Public Hospital downtown in a tent filled with oxygen and herbs which would ease breathing. Dr. Abdeen approached us and was of enormous comfort and kindness. She was a pediatrician among many things. She had even founded a hospital near the pyramid of Cheops for children with rheumatic fever – a disease whose statistic she single-handedly changed in Egypt with a board of wonderful beings, such as Mr. Abdul Latif Mashhour. The children also learned crafts and skills for future self-sustenance. She founded hospitals all over the world and made a major contribution in Russia. And yet though she worked from the crack of dawn till midnight tirelessly, she was always free to help anyone and to receive us. Once my maid's baby was very ill and she drove all the way to Ma'adi where we lived to diagnose the child herself.

When visitors were there, I noticed that she treated everyone equally, whether it be a minister or a young student or a tradesperson. When she gave advice she would put her hand on one's knee and draw very close. She always recommended that we trust God in everything and continue asking Him for our needs moment to moment, no matter how small...To stay in constant communication and contact with the Divine Source of all being. She never spoke badly of anyone and when others did, she jumped in and turned the mention into something positive and spiritually useful.

Dr. Zahira was a Sufi saint herself. Her husband was a spiritual master or shaykh in the Shadhiliya tradition. Once we were all together in Leeds, England, and were preparing to sit together in remembrance of God. I can remember Dr. Abul-Fadl, Dr. Zahir'a husband, say, "Now we are about to perform the very act for which the human being was created." Once he was hospitalized for a blockage in his heart. On the dawn prior to the operation, his wife dreamt that angelic beings reached into his breast and washed his heart. When they opened him up the next day, the blockage had vanished. This



Dr. Zahira allowed this child to lead her by the hand along the length of the wall onto which he and others were 'creating' their (thus) finest works of art; and listened to his commentary. At the far end, he relinquished her hand and excusing himself, ran to fetch Hani, who exhibited 'his' wall to Dr. Zahira – as did four others between the ages of five and six. She smiled and congratulated them all on their efforts and carried on her inspection of the school, its staff and pupils – as if nothing unusual had happened!

This amazing woman had the tremendous ability to adapt to that in which she recognized logic. She would sanction differing methodology that improved children's ability to achieve, as long as standards of etiquette or behavior were not compromised. She fit very well into the title of 'tomorrow lady'. Not literally of course, for we are all allocated tasks in life, [at whatever time, 'we are') but for some, it is difficult to change attitudes that have existed for so long. Dr. Zahira had no such problem.

Although referred to by some as 'stubborn' – I prefer to translate this aspect of her character, as absolute determination not to lose sight of her original vision – nor to be distracted from it.

Remaining focused is what she achieved – almost to perfection.

Zahira Hafiz Abdin loved children – any children and all children. The hospitals and schools had become extensions of herself, inextricably entwined in the fabric of everything that she was, throughout her entire life.

Before leaving the school, she still found the time and energy to look into each of the ground floor classrooms. A radiant smile was her approval of the welcoming, colorful decorations on the walls where so many would sit and 'be taught'. There were going to be 'different things' happening here, she knew. Though precisely where the exciting new stimuli were coming from, no one knew at that time.

Although tiring, it had been a good day!

I recall the first time this wonderful woman [the personification of Hope] saw the mural on the main hall wall of the school in Port Tewfiq. It took two people almost three weeks to achieve! Sand was collected by the bucketful – 30 to be exact – and then durable glue was smeared across a wavy, three foot band at the bottom of the wall – onto which was thrown the 30 buckets of sand! That was the easy part! Sweeping up the majority that fell back to the floor was another task. This procedure was repeated four more times until the 'sea bed' was ready. Then the 'creatures of the sea' were fabricated from anything that came to hand small stones, pebbles and shells were also affixed; and a grand 'fishing net was made from twine. Shells and flotsam threaded through it.

The initial effect upon pupils when school commenced, could be heard long before they entered! Faces pressed against windowpanes, eager to see where they were going to spend large parts of each day for the foreseeable future. When the youngest suddenly missed home and mother, they were taken to the hall where stories would unfold and tears soon stopped. Dr. Zahira liked this mural and its many, intended purposes.

The day she first saw children painting on the vast expanses of white external walls on the first floor of the very same school, was something she hadn't expected or been prepared for. Stopping abruptly, she just stood and watched until the children realised that she was behind them. They ceased their banter, put down their brushes and stood to attention like miniature soldiers. She greeted them – they responded. They fidgeted!

She singled out little Ahmed Abdul Menem (small of stature because he was a premature baby) and asked what the purpose of this artistic exercise was. He asked her if he could relate it to her in Arabic. [He thought he might fumble with his words in English] He was, at that time, just five years old.

He explained that the limitation of paper on a desk was both difficult and boring, and as long as they did their very best on the walls – and understood that periodically their creativity (necessarily) had to be erased – he felt confident that his artistic abilities had improved no end! He went on to explain that his class and one other would be painting the scenery for the end of year drama for parents, friends and governors.

INTERLUDE...
THE SCHOOL AT PORT TEWFIK

Zahira Hafiz Abdin loved children – any children and all children . The hospitals and schools had become extensions of her self inextricably entwined in the fabric of everything that she was throughout her entire life.

.... This amazing woman... the personification of Hope ... the 'tomorrow woman'...

..... Dr. Zahira was indeed a Beacon to the many who knew her - rather more than a ray of light.

Memories carry me back to a myriad of times and incidences – some of which have given me moments of mirth through many difficult times since; while still others have repeatedly given me food for thought.

The 'Opening Day' of the school in 26th. July Street, Port Tawfiq; was one such time! It had been 'so long in coming'! We arrived together in her car. Ever present was the necessary supply of what she called her 'energy' – freshly squeezed lemons to you and Gathering up thermos flasks and bundles of papers, she said, "Come along then, let's go and do the necessary." We did – or rather – she did. With one flask of her fresh lemon juice tucked firmly under left arm, she balanced on two nondescript walking sticks and slowly propelled herself in dignified manner, across the sand that was the playground of that school. Although mobility was not at its best that day, she appeared from a distance to almost 'glide' across the length of the playground to be traversed. But then she always knew that her Creator would make all things possible, for as long as they needed to be so.

As we sat down for a moment, small, sharp eyes purveyed the surroundings and everyone present. She indicated one of them and whispered, "Remember that face over there!" Sketching a mental image of the face to my left : "Why?" I mentally asked myself – but being devoid of reply - did so for I knew there must be a reason. The day wore on. Endless rounds of interviews, for both staff and hopeful parents of prospective pupils alike took up the entire day – and still it was not finished. "We must return tomorrow dear." She said, weary now that it was nearing sundown. No time to eat! There was now the journey to Cairo, and then back again in the morning!

We left...

foreign students at Al-Azhar. Shabbir's wife was unwell and had begun labor prematurely. Three African students hadn't any food left and did anyone have some sugar to spare?!

2 a.m. through with it, the opportunity to slip into unconscious oblivion for two and half-hours! Bliss!

At 7am Dr. Zahira was "in house" -

"It's time to distribute for the people!" she announced.

She oversaw for a while then went in search of the German surgeon, whose husband was away at sea. Did she wish to join us for dinner? And where was the Filipino girl who helped out on the top floor? How were her studies going? Will she stay to complete?

Half an hour before jumah, four Malaysian and two Indonesian sisters arrive with their children. They are also studying within Al-Azhar. Where will the ta'leem class be on Saturday?

Back down to the second floor to see how many children are in the crèche. Someone let ustaz Ali know that there will be children arriving from Suez for sight correction. If we can't handle it, they will be referred on.

Do I mind being responsible for transferal, as the children are familiar with me? And, perhaps I could encourage the consultant ophthalmologist to "pop into" Okasha street if he ever has time.

How many children have arrived from Sinai in varying stages of malnutrition? Is Dr. Khalid coming this weekend?

Just as Azan begins Dr. Zahira decides to go to the school to pray with the children. Will I join her now or after *Salat?*

"Shall we take some fresh lemon juice?" She asked, dragging herself away from sad thoughts and back into Thursday afternoon.

"What about Sudan?" was the inquiry that came next totally unrelated to our previous discussion. I said that I was ready and that I would leave from Suez on deck the 'Jeddah Dhur'(??) for Port Sudan via Jeddah. Thereupon ensued a general conversation concerning which refugee camps I would visit this time; how I would get from Port Sudan to Kasala; from where I would obtain water (it hadn't rained for seven years and four months) and on and on etc...

Just as suddenly, the topics regarding Sudan were eclipsed, and a more detailed deliverance followed on the functional systems of the medical faculty for girls in Dubai. Perhaps she thought, she might return to Cairo for a few days before making her annual excursion to Mecca for the (Haj) season....

Although still troubled, she was by no means depressed. The concern and worry she had bypassed. Asking her Creator to sustain her through all that was her trust and amanah, became a part of each of her days.

Children were always Dr. Zahira Abdin's investment for Egypt's future and for her own resting-place at qiyamah. It would seem that their very thought kept her motivated and on track... I can still hear her voice gently resonate ...

> *When something is good (for our deen and for the community) two things generally occur. He tests us constantly to make us 1) sure of our intentions and 2) to strengthen us so that we may be able to cope with whatever comes to play! I see him as the reverse side of the "testing apparatus"!*
>
> *Will we be strong enough of iman and personality to remain focused and pro-actively participant, in spite of the many trials and tribulations? Will we deny shaytan entry into anything inherently well? Will we refuse to be distracted by that which we perceive as being 1) easier to handle or achieve, 2) more attractive in terms of "returns" or just 3) requiring less effort?*

Dr. Zahira knew well, that anything worth having would be a struggle to establish and an even greater struggle to retain.

The story of the "runaway engineer" was entered into just to salat ul-maghrib.

Dinner on Friday would be a family affair. Would I be there? Shall I stay in Okasha Street, or travel back across the desert tonight? Decisions, decisions!

The choice to remain in the hospital would allow a good night's sleep, so El-Dokki it was! Sleep-time was greatly reduced due to an unexpected visit from some of the

"Don't follow me, dear," was the statement she thrust quietly into the silent room. She repeated the statement once more - this time turning to look directly at me.

"Why? I enquired, surprise taking over, momentarily rapid mental recall, behaving like the re-run of some past video! The "film" of constant struggle, toil and travail, etching itself on the surface of my own, personal "memory bank"!

"Why now?" I asked again, puzzled by this sudden change of heart.

"Because ... if you follow me, and do what I do, "they" are sure to make your life miserable!" She said, staring straight ahead again, as if looking down a long, unending tunnel.

"They" I said – "who are "they"? Not really sure if I wanted to know.

"Why dear- they are our own people!" She continued

"Some of them even present themselves as our closest "friends" for a time. But only for a time!"- almost whispering.

"It's too late now" I responded, not quite knowing why I chose those four words; they seemed a little out of context when spoken but never mind they were out! I've come too far; the corner has been ferried; and I don't really feel the urge to retrace my steps at this time. "What else should I do now?" I asked as my dear companion continued to gaze into the afternoon sun as it bathed everything in the room.

"Think very carefully my dear! You cannot possibly know how desperately unhappy "they" have made me and for such a long, long time. I can no longer remember when last I felt elation." This petite, dignified powerhouse of feminine humanity, who had long since become my close friend and confidant, was at last showing me the other side of her personal coin.

In a moment or two, she shared many more thoughts, hopes, aspirations and disappointments about whom she thought "clever" in the truest of senses. With whom she was so disappointed, and why. How she sat in a conference, listening to "friends" behind her talking about her in a most unflattering manner! She so wished that it hadn't been necessary to hear those caustic comments; but also instantly realized that he had intended her to. It was just a thing she recalled. One of many she had to take on board; to bear quietly; ever hopeful that someday it would stop!

"You have no idea what "they" are capable of!" she said, somehow feeling the need to underline the words she had already uttered.
"She's just tired!" I thought to myself "there must be times when it all becomes a heavy load to carry."

Employment for widows and unsupported women and children was something that both hospitals and schools presented an infrastructure for; while distribution of basic necessities took place each month.

Dr. Zahira Hafiz Abdin achieved what is for most, merely pipes dreams. She struggled throughout her lifetime to ensure minimal waste. She struggled long and hard to retain that which was her amanah. Throughout, her guide and protection was ultimately her creator and her faith. Her tempered, yet unwavering loyalty to both, were her unfailing shields in her greatest times of need.

Division within humanity wounded her intensely further fuelling her drive. Yearning for people to learn in childhood, believing that once God gives the instruction to: (be) life is both important and relevant. Language, race, skin tone and geographical location are merely that no more. Things, which are common to all, should hold greater importance than those things (fewer in number) that divide. No more. Things, which are common to all, should hold greater importance than those things (fewer in number) that divide. Matters of faith are largely and primarily of a personal nature and should never be used as a political tool with which to beat each other.

It has been said that Dr. Zahira did not delegate sufficiently, and retained personal control of all that she had worked to establish. To a great extent, there is validity in that. But each time she tried to do otherwise, it created a welter of new problems, a Pandora's Box, which had to be redressed. Where her trust and delegation was properly and professionally received and administered, she gladly relinquished her hold; the constant and consistent need not to carelessly lose what was, after all, her amanah, (divinely mandated trust) made her a strict but fair, task master. It must also be borne in mind that those who were her critics, made no attempt to duplicate her work in any way: nor even to improve upon it at all.

Her memory lingers on.... As the very thought of her brings her back to life in the many moments we shared....

The Other Side of the Coin - From Mazhar Street to Okasha Street(CHI)

..........This petite, dignified powerhouse of feminine humanity, who had long since become my close friend and confidant, was at last showing me the other side of her personal coin.

On a sunny Thursday afternoon at her home in Zamalek on Mohamed Mazhar street, (June 1984 -I think it was) Dr. Zahira lent forward on her cane. Shafts of sunlight mottled the floor and fell directly across the right side of her face, producing an almost child like quality of expression in small, sharp eyes.

Fastidiousness, tremendous faith, an unmitigated adoration for children and humanity as a whole, coupled with granite determination and inexhaustible compassion-became the hallmark of this candle----no, beacon----for the many who really needed her and her services.

They were difficult times, when our paths crossed, but like ships in the night, we recognized each other's (lanterns).

Here, at last, was someone who understood me, my aims and aspirations - the majority of our co-religionists, having acquired the almost incessant ability to talk, rarely valued the artful skill of minimal verbal communication!

Perhaps this was one of the primary keys to Dr. Zahira Hafiz Abdin's many successes with humanity; for when we talk too much, we rarely achieve.

The most productive equation for the establishment of quality life support systems, must be to (produce the goods) first-then talk about them.

The intentions that drove her to establish an alternative school system in Egypt were many. She was painfully aware that, while Egyptian doctors of medicine can be counted some of the very best; few chose to remain in their country of birth after graduation. Miniscule salaries and an infrastructure, which had yet to be rebuilt, greatly contributed to their speedy departure. If schools existed, where children could be mentored in the English language, they might take on a more comprehensive understanding of science subjects. If, too, their learning was grounded on a bedrock of faith and ethics, they might well be more motivated to sacrifice and service. Were this to become the case, more qualified students would qualify for entry into medical faculties; eventually producing practitioners from within sectors of Egyptian society, unreliant exclusively on salaries for survival. It may well be easier to encourage these youngsters to remain in their place of birth and serve the community more adequately.

Improvement of existing educational systems was of paramount importance, for empowerment is best achieved through the acquisition of knowledge at all levels. To ascend the ladder from the valley of poverty, rising to the plane of equilibrium and finally thrusting for a pinnacle of excellence, was the dream that Dr. Zahira held for all children, youth and humankind.

Some of them achieved this goal!

Improved health service provision was another goal she set herself, making small charges to those who could afford to contribute, while free treatment was available within the resources available to her, for those who could not pay without prejudice or discrimination.

AL BOSNAWIYA SAFIYYA REMEMBERS

I do not know much about Safiyya... Nor do I know her English name... All I know is that she is a wonderful person whom I met a couple of times... she has some mixed genealogy that goes back to the Balkans and Eastern Europe – Polish and Bosnian, if I remember. She belongs to that circle of special "newcomers" to the faith whom mother was always solicitous of... as another of her extensive and all embracing communities. In this case, Safiyya was involved with mother in some of her projects while in Egypt ... whether in view of some medical background she had, or of her English pedigree where she was apparently involved in one of the schools mother set up. What is most significant, as far as I know, was the kind of bond of mutual trust and affection that developed, as the memoirs below will attest. Dr. Zahira became a confidante for Safiyya... and in one of the darkest times of trial when Safiyya was on a rescue mission to Sarajevo during the ethnic cleansing there, her husband was among the men who were intercepted at Mostar, killed and mutilated... It was touching to learn that she called mother from Zagreb for consolation. She was in Cairo shortly after mother passed... and as a family friend, she was approached for a tribute. The following excerpts are taken from her memoires... three short tracks woven together with minimal editing into a chain of unique, first-hand, invaluable reminiscences ...

A BEACON IN MY LIFE

'... Like Ships in the Night we recognized each other's Lanterns.'

She was a small, though vibrant, aging lady when first we met. Just how, when and where, I no longer remember!

Her systems were not easily understood by the majority, and absolute refusal to spend one pound more than necessary, created the basis of a reputation that followed her as she criss-crossed the length and breadth of Egypt and eventually much of the world. (Generous as she was with her privy purse thrifty was she of the public weal!).

Such a lovely lady... a warrior of all times...

The following is a gem of a dispatch that I ferreted out of my archived mail... Its value is that it records a precious moment in the last thirteen months of mother's life, when she was struck down by the final bout from which she never recovered. Azza's spontaneous expression conveys more than a mood... will share it with our friends in this intimate corner despite its personal profusions...indeed, perhaps, because of them and what they convey!

Date: 29/5/2001 – 1:51 pm
azfadl@yahoo.com (Azza Abul Fadl):
roptix2@aol.com

Dearest Mona ..
How are you? ... and where are you?! We heard of the great things you did for Mahmoud. It was so honorable of you to go yourself and help him out. He is now back and looking great, thanks to you! But it's all been so hectic for him. We celebrated his return and everyone is so glad to see him.

Mom is still as is ... She is such a lovely lady. I am so proud she is my mom. Pray for her ... she is the one and only warrior of all times... a fighter who never gives up even when all her strength has waned. I feel so embarrassed of myself seeing that I can breathe and move and care for myself and yet I haven't the strength inside of me to fight as she does.

She continues to give us the lessons of our lives and teach us what we may never understand as yet... it's just so unbelievable what this woman has inside of her... thoughtful of others even in her distress ... organizing, leading, and making top administrative decisions while her heart is failing and she gasps out to breathe ...loving and praying and appreciating the very little worthless things we do for her...

What are we? Her daughters? Really and truly I doubt that very much ...Yet, stunning as it seems, we were delivered of her womb... You, Mona, may be the nearest of us to her...I saw that in a dream some days ago. I saw two faces of you, one was young and beautiful and your hair was dark and fell soft over your shoulders and the other face you showed me was mom's face with her white hair and serious face and I said to myself, why...this is Mona ... she has turned into mom... isn't she still beautiful?!

I don't know what this dream meant, but I think it has a lot of significance.

How is Zeinab.? I saw her father last week when I went to Aswan; he helped me meet some of the officials and was truly very helpful, he is a kind man. I hope she's doing well ...give her my regards.

I'm very troubled with so many problems at work and have only God to protect me ...so just pray He is there to protect and that I deserve His blessings and protection for we are but meeklings made stronger and able by whatever He bestows on us.

Lots of love

Azza

hidden strength within us that gives us the love that is the power and energy to keep on going.

As a 14 or 15 year old girl I had been hosting my Syrian friend Sahar in Maamoura. When we went for a swim we got caught in a 'dawama' (whirlpool) and could not get out of it. When the lifeguard rescuer came for us I told him to go to her first and that I was a stronger swimmer and I could make it on my own. However it got really hard and I found myself drifting more and more into deep waters and unable to go back and even unable to swim and I found myself surrendering to it, when suddenly a voice called out in my ear and it was the voice of my mother calling out my name and ordering me to fight it and save myself. And all of a sudden it was as if some utmost strength was given to me and I found myself trying harder to swim and calling out for help and the lifeguard appeared from no where and pulled me out. Its strange how these things happen so quickly that the seconds and minutes pass like lightening and its as if there is this very thin hair line between death and life or between fate and rescue that we cannot understand ourselves, but can only be undone by a simple word we use so much and yet do not understand its depth - love- deep and sincere love, devotion and keen love.

Motherhood is something so difficult to describe and understand, but the depth of it differs according to the spiritual strength and purity of the soul. I believe our mother had this special quality of soul that enabled her to devote her life to goodness or because she devoted her life to goodness she was able to nurture and sustain this pure soul with which she was born. It is true that we are all born with such beautiful souls that are the creation of God's beauty and bounty to us. It is up to us to protect, promote and support and develop this soul and nurture it through goodness and love and faith and giving and caring unto others and healing the pain of others and making this the world that God had originally created for Adam and Eve. It is our doings that distort and disfigure God's creation and this fires back on us with all the problems we face in our lives and in this world.

Good luck with your scans and let us know what happens-- Omar is better, but in a bad mood, and getting too impatient and frustrated.. Pray for him and call him- he needs us.

Love,

Azza

On an Intimate Note

FRAGMENTS FROM A FAMILY EXCHANGE ...

Azza visited with me in our home in Reston, Virginia, in the Winter break of December 2006/ 2007, after attending a conference in Orlando, Florida. We enjoyed some common memories of mother, and upon her return we had a brief exchange – from which I am including the following letter. I had specifically requested that she refresh my memory on an that incident that came up in one of our conversations when I mentioned an incident that befell me in England in the Fall of 1975 when I had submitted my doctoral dissertation and was waiting on the Viva. That year I had taken my rucksack and gone to the Lake District walking my way across the mountains from one hostel to another, and had run into an incident which nearly lost me my life. Briefly, a heavy mist suddenly covered the mountain top- so thick, that I couldn't see my hands at arms length. As a result I lost track of the cairns and walked into a whirlpool that sucked me in so deep and threatened to leave little of me beyond a mustard beret floating at its surface... It was in that wilderness, on the brink of a life-death experience, that the last image I was conscious of was that of mother...and the next thing I was aware of was a force wrenching me from the neck... and landing me onto solid ground... I was surprised to learn about a similar experience with Azza... and this is her record of the story...

Dearest Moni,

It's good to know that even in the middle of your courageous efforts to fight this cancer out of your body, you are still intently engaged in such a moral and divine mission of reviving and immortalizing our mother's memory through these incredible memoirs you are collecting and writing.

Yes. I remember that we were speaking about the spiritual penetration ability of our mom and how as a mother her bonding with us would enable her to be with us and come to our rescue at moments of danger and fear. It seems that she lived so deep within us that she is there whenever we need her; and even now as we go through all the crises we are facing with you and Omar and my daughters and Hoda's daughter and grandchildren, yes she seems to be seeing and feeling and sharing this with us and in some way giving us the strength and faith to withstand the strong winds of fate that have come onto us and make us enjoy the good moments that come out of them, especially those dear moments that bring us closer together and let us enjoy one another and nurture the sisterly and brotherly love that life with all its stress may have broken away and deprived us of. She is our secret bond that keeps us together, and our

July 04, 2002

Dear Miss Abul Fadl

Let me begin by apologizing twice: First, for the delay in responding to your wonderful note and gift; second, for the impersonal typing of this letter. My handwriting is difficult to read and I also find it easier to simply type this note.

We are very grateful to you for the lovely gift you sent last month. It is beautiful and as it comes from you it is even more special. Your thoughtfulness is very much appreciated.

I find very difficult to think how much I will miss those wonderful and informative sessions with your mother. I can imagine what it must be like for you and your family. I'm almost a stranger and know relatively little about most of her contributions to the people not only in Egypt but of her incredible influence that touched professionals and patients in so many countries. Every time I had the chance to talk with her, even that last time when she was infirm and in the hospital, I could only admire her for what she continued to be throughout her long and distinguished career.

I sincerely hope that her contributions will continue to be remembered in Egypt and that her actions will serve as a role model for continuing humanitarian "goodness." You mentioned that you attended a memorial service earlier last month. Has there been any memorial fund, or other remembrance, established in her memory?

I sincerely hope that someday I will be able to meet you as I have the other members of your family. There is a chance that I will be going back to Egypt this winter, and if so, I will certainly contact them. In the meanwhile I wish you and your husband all the best, and hope that we will keep in touch

With very best personal regards,

Ed Kaplan
Edward L. Kaplan, M.D.

VIGNETTES FROM AN EARLIER CORRESPONDENCE

March 25, 1999

Professor Dr. Zahira H. Abdin
18 M. Mazhar Street Zamalek - Cairo, Egypt. FAX: 2023603956

Dear Dr. Abdin,

I cannot begin to thank you enough for not only the wonderful opportunity to visit with you, but I am especially grateful for your generous hospitality.

The luncheon on the terrace of your hospital with the wonderful food was no different than the first time I experienced this kindness more than 24 years ago.

It was such a privilege to be able to talk with you about the many mutual Interests we share. As I thought about it, twenty four years ago it was almost limited to rheumatic fever and rheumatic heart disease. Now the subjects are so much more inclusive. To be able to hear and to discuss your ideas is something that I wish could happen on a much more frequent basis!

The wisdom, dedication and commitment to the betterment of people everywhere which you continue to demonstrate makes you the unique individual you are. It is a sincere privilege to be able to consider you not only a friend, but a colleague. I have been many places on the globe, but seldom if ever have I had the opportunity to know someone like you. May you and your humanitarianism continue to grow and foster this incredible legacy.

Upon my return I did have almost an hour's telephone conversation with your daughter. She, like her mother, is also an exceptional woman. I know that you are very proud of her.

If your travels bring you to the United States, it would be an honor to welcome you in Minneapolis.

With thanks, as well as my warm and sincere regards.

Very sincerely,

Edward L, Kaplan, M.D.

And in Retrospect ... *the following would be the last of an exchange I would have with Dr. Kaplan for some time, as a switch in life paths would reflect and follow in the wake of the global changes that came to impinge on many a personal life...*

Dear Azza,

Of course I remember you from Alexandria in November of 2000. I was sorry that we did not have the chance to renew our acquaintanceship this past February.

Thank you very much for your comments about your mother. While you are admittedly influenced by the mother/daughter relationship, I have had the wonderful opportunity to observe these wonderful attributes from another perspective, that of a friend and colleague since I first met her here in Minneapolis about 1965 or 1966. This humanitarian was more than exceptional during her life. As you described it perfectly in your Email, the word which so exemplified her every action was "compassion." While reflecting and promoting compassion, at the same time she also was an astute scientist.

During the visit to Egypt when you and I met in Alexandria in November 2000, you may not be aware that your mother absolutely insisted on taking me to the plane at the Cairo airport at 2 A.M. when I was leaving to return to Minnesota. She came to the airport hotel at 1 A.M. (despite my attempts to tell her not to!). We sat in the lobby of the Movenpick Hotel and she carefully outlined a study she wanted to do about streptococci and rheumatic fever. It was a perfectly conceived study with proper controls and the like. It was not surprising because I knew her and what she stood for, but it was an experience that I will never forget!

I sincerely hope that you and your siblings will in some way be able to arrange for her to be remembered and honored in Egypt and across the world. There are very few like her and there will be very few like her in the future. I feel so very fortunate to be able to have known her and benefited from her kindness, compassion and wisdom.

I hope that if you ever visit the US, that Minnesota will be a part of your itinerary. With my warm best wishes and sincere sympathy for your loss,

All the best, Ed Kaplan

We send our deep sympathy to you and to your entire family. If there is anything that we can do to help remember her in any way, I know that you will let me know.

Sincere condolences,

Ed and Irene Kaplan

From: Azza Abul-Fadl <azfadl@yahoo.com>
To: <kapla001@umn.edu>
Cc: <Roptix2@aol.com>
Date: Monday, May 13, 2002 10:34 AM
Subject: mom's passing

Dear Prof. Kaplan,

Thank you again for the kind condolences for our dear mother, this time passed through Dr. Salah. I met you briefly in Alexandria not too long ago. I am her youngest daughter and work as a pediatrician, teaching in medical school. My interest is mainly in social pediatrics, since I was very impressed with her work in social medicine. I do very little clinical pediatrics. I prefer to care for needy children at risk, helping moms with breastfeeding and caring for their children, supporting the health of adolescents through adolescent health. Its been all the works of my mom. She saw pediatrics as a science of making children really feel better inside out. Not only free of organic disease, but also supporting them to enjoy their life, grow to become useful adults physically and mentally. Her aim was not to cure their rheumatic heart state of children or to prevent it, but to make them useful, happy beings irrespective of their handicap. She loved them as their own, and made us feel they were all our brothers and sisters, we would spend our holidays and weekends, playing with them and reading them stories and giving them love and attention. When she visited these children or did her rounds she was sweeping amongst them like a mother caring for her children, making sure they had everything they wanted and all the care they needed.I could go on speaking about her endlessly... I thank you again and wish you and your family all the best.

Best regards, Azza

The Kaplan Exchange...

One of the first notes of sympathy from overseas came from Dr. Ed. Kaplan of the University of Minnesota, Department of Pediatrics, Head of the World Health Organization, the Collaborating Center for Reference and Research on Streptococci. – Dr. Kaplan represents a second generation of American friends of the Association, if we are to consider the first generation of the sixties that included professors like Wannamaker, Zimmerman, and others from various American hospitals and institutions with whom Dr. Abdin had at the time engaged in a major research project on RHD. Few people may know that the proceeds of that project were funneled into the funds she was raising at the time for developing the Free Rheumatic Heart Center, instead of going to her person as principal in charge of the project. There was a warm ongoing relationship from the earliest years, marked by bonds of mutual esteem, respect, and an enduring friendship that is well reflected below in the cherished fragments of correspondence that came our way... Needless to say, it comes as an authentic witness and testimony to another facet of her many-sided personality and engagements.

Subj: Sympathy
Date: 5/8/2002 8:02:01 PM Eastern Daylight Time –
From: kapla001@umn.edu (Edward L. Kaplan, M.D.)-
To: omarabulfadl@hotmail.com, Roptix2@aol.com

My Friends:
I have only this afternoon learned the very sad news of your mother's passing. I learned of this from Dr. Salah Zaher from Alexandria who sent me an Email. His sad news caused me to stop for a long while and sit in my office alone to reflect on what this wonderful lady has contributed both to me as an individual and to the world. To try to describe the encompassing influence she had to accomplish good for all people - whether they be children with rheumatic fever or whether they be friends and professional colleagues like me - is impossible to do. Her many significant accomplishments speak for themselves. It is through these accomplishments that she will be long remembered by all.

I am especially glad that my wife, Irene, and I were able to visit once again with her during our short stay in Cairo in February. The genuine love and affection which she showed to us and the opportunity to talk with her about medicine and science, even at that late time in her life is something that I will always recall. I can also assure you that not another birthday of mine will go by without my recalling that huge birthday cake that she sent to my hotel in Cairo this past February.

III

REVIEW

TRIBUTES & TESTIMONIALS

A regret of hers that she feels quite strongly is that she was too busy to bring up her son and three daughters (two of whom are now doctors) in the way that she feels would have been ideal. "A mother should spend a long time with her children as they grow up, quality time, particularly during their adolescence. A mother must be seen to listen, she's not just an adviser or someone giving instructions."

Does that mean she is against women working or having careers?

"I think only special, self-denying women can have both a career and children. I believe the primary role for a woman is to take care of her husband and her children.

> "As a result, a woman must choose a profession that can accommodate this. And as I've said, we can't do without women teachers or doctors. But working women must be strugglers, succeeding at home and in their profession. There is an element of sacrifice."

Zahira's fame is not restricted to Egypt, where Mrs Suzanne Mubarak recently accoladed her as the 'mother of Egyptian doctors'. She has made some 20 trips to England, where she was made a fellow of the Royal College of Physicians in the Seventies, and received an honorary MD from Edinburgh University in 1980. She has lectured and visited hospitals, exchanging ideas, all over the world. One of her most successful achievements was setting up the Dubai Medical College, which, true to form, she ran for a few years before she was satisfied it could run itself.

Now in her autumn years, she is clearly proud of her achievements, and particularly of the Dubai College.

"My only ambition now, before life ends, would be to establish a similar very successful school in my own country.

"I am thankful to God for this last phase in my life. I know I have made some mistakes and for those I ask His forgiveness. And whatever happens, I am looking forward to meeting Him with contentment and hope."



Given her love for medicine, it is perhaps surprising to note how much she has had to overcome in order to accommodate some of the more complicated aspects of being a doctor.

"Although I found it hard at the beginning to dissect the human body, because it was interfering with what God had made, anatomy has always been a sign to me of the glorious creation of God the maker of man and the universe."

What she saw as an increasing lack of genuine care among doctors ("like most people these days, they seem to be seeking the shortest way lo make money, irrespective of the legality; prescribing drugs far too easily without really considering patients' needs"), led her to establish the Child's Health Institute in Dokki in the late seventies.

The Institute aims to provide care for children with any ailment. Ten storeys high, it has facilities for looking after children suffering from malnutrition and disease, and it has also extended its services to provide for widows, orphans, pregnant mothers and premature babies. And the whole ethos of the foundation is one of care and encouragement. The Institute, says Zahira, grew out of her sorrow for children who went into hospitals where no one cared and where doctors extorted high fees from their patients.

Perhaps, in view of her emphasis on the notion that health of mind completes full health, it was inevitable that Zahira would branch out from medical care into education. Her 'Islamic Language Schools' were established under her meticulous supervision to "combine modern science with Islamic behaviour", as she puts it. Children - .... - learn all that advances in technology and twentieth-century progress have brought, but in a moral, almost religious atmosphere.

> "The schools try to instill a deep faith in the children, as well as a strong sense of morality. Morality is something that has become rare in this generation"

The schools today are popular. Some parents send their children to them because the fees are moderate; but the majority, she believes, do so because the education the schools provide is exactly what they want for their children.

She has sometimes been accused of parsimony with regard to what she pays the teachers at her schools - an unlikely charge to level at one so charitable. But it is true that her teachers don't receive high wages; it is part of her philosophy. Teaching, she believes, should be considered a mission and a struggle: "People should do it for the love of working in an Islamic school and for the love of children, not for money."

Teaching is also one of the few careers that she feels women are particularly suited to. She believes women teachers - like women doctors - can communicate better with children than men.

She has been recognized internationally for her work in this sphere. In Britain and Europe she has received honorary degrees and won coveted prizes, such as Germany's Norgall prize for women and social services, and for several months she visited and was consulted by socio-medical institutes all over the US.

She had other aspirations as well. For some years, she had harboured a dream of establishing a hospital for children at Cairo University. It would be a hospital where social and preventative pediatrics, rather than simple treatment, would be the norm. This, it must be remembered, was at a time when child diseases were rife in much of Egypt and when the notion of social and preventive care was virtually unheard of.

Eventually, in 1956, encouraged by her brother-in-law (then first under-secretary at the Ministry of Social Affairs), she established the Centre for Rheumatic Heart Disease in Children.

> "This disease was very prevalent in children when I set up the association. I used to visit schools in urban and rural areas, to look for children in the early stages of this disease. A huge number passed through the association; and the work has paid off. The danger of serious cases in Egypt has been reduced from 48 per cent to just three per cent."

Zahira oversaw the setting up and running of the Association - and the numerous branches it spawned - like a hawk. There was almost no detail she left to chance or to others. She made sure that everything was constructed and later managed lo her own specifications of thoroughness and care.

"I now almost don't supervise it," she wryly notes. She doesn't believe in rushing things; and she doesn't believe in concentrating on more than one project at a time; "otherwise you waste time." This and her meticulousness have been guiding principles of hers in the many schemes upon which she has embarked during her life.

As in most other topics, Zahira has strong views about childcare.

"Dealing with children taught me how to love them. When you are treating children medically, they have to feel that you are willing to help and serve them. But it's no good just being sympathetic; you have to be firm as well. If you are just sympathetic the child will be hard to treat because he won't know what you're about."

Zahira always smiles when she first sees a child she is about to treat. It helps the child feel the doctor is not an enemy, she says. An obvious ploy, one might have thought; but Zahira is amazed by the number of doctors who don't use it ....

Another trick is letting the child use and feel the medical instruments. She always, for instance, gives her stethoscope to the children patients so they can hear their own hearts beating.

Zahira received a full education at a time when this was rare for women. She came top of her year in the baccalaureat exams (the equivalent of the Thanawiya Amma exams today- or the GCE) in 1936 — the same year that Gamal Abdel-Nasser sat them.

She continued her education at the Cairo Medical College, where she began her specialisation in children's medicine. She was one of its first women students and again, when she graduated in 1942, she was near the top of her year.

She continued studying for a Masters, and was allowed to work at the hospital of the Cairo Medical College. In 1948 she was elected a member of the Royal College of Physicians in London, and broke new ground in Egypt by becoming the first woman ever on the staff of the Cairo Medical College.

Zahira was breaking new ground in other fields as well. As a young woman, she grew up in a period of great liberation in Egypt. In the fifties, it was a rare thing indeed to see modem Cairene women wearing the hijab. What most see as the liberation of women, from the public self-unveiling of Hoda Shaarawi onwards, had made the hijab both unfashionable and undesirable for most women. Zahira defied this trend. (though she did so by the time she was turning forty following a hajj trip!)

"I have always believed that it is the duty of all girls to wear the hijab, firstly to obey God and secondly as a conspicuous outward sign of piety. I believe this to be especially true these days, when it is possible to see girls walking half-naked in the streets or on television." (Yet she believed that this was a girl's personal choice, not to be imposed on her! And this was reflected in giving her daughters their choice on the matter.)

This vehement belief in modesty and obedience to God has marked Zahira from her earliest days. She recalls a luxurious childhood, during which her every whim was cared for and life was easy. But something within her nature has always drawn her away from worldly pleasure and led her to question her position in society. She has never been able to accept that so many of her countrymen are poor when she is not.

She translated these sentiments into action fairly shortly after she established her private clinic in 1951 in downtown Cairo.

"I found taking money from people for what I had done, whether they were poor or not, very difficult, because I felt I was adding an inconvenience to the patient beside his disease."

Thus, when she started her charitable services to the community, and when these began lo increase, she found she was ready to put an end to her private work.

Zahira pioneered the idea of community medicine in Egypt. "Someone gains knowledge for the benefit of the community and takes it there, rather than to a hospital or a specialized clinic."

SACRIFICE AND STRUGGLE

Interviewed by Jamaluddin Mussallam – Al Ahram Weekly (October, 1992)

Zahira Abdin can lay claim with some justification to the recently bestowed accolade of 'Mother of Egyptian doctors'. One of the very earliest women to study children's medicine and certainly the first to bring the plight of children with diseases to public attention, she has worked tirelessly to set up and develop the childcare institutions and the schools that constitute her major contribution to Egyptian society, Zahira herself believes proudly that her most important offering has been as an example and role - model - something all good mothers, she believes, should be

Zahira Abdin has lived her life with an austere sense of purpose. A profoundly religious woman, she has carried out her life's work as a devotion lo God and firmly under His shadow.

Her life's work has principally been Pediatrics. In this field, her achievements are numerous and very visible: The Centre for Rheumatic Heart Disease in Children near the Pyramids, the Child Health Institute in Dokki and, abroad, the Dubai Medical College.

But she has been more than just a doctor. She has established a chain of schools in Egypt, she has exchanged ideas with institutions all over the world and, above all in her eyes, she has set an example both to children and to her contemporaries. Almost all of her work has been charitable, and her private life is remarkable only for its extreme modesty and piety.

Zahira was born into a wealthy family, the youngest of five children (two of whom died while still children), in 1917. Her father… a French-educated lawyer who became a member of the Senate (Egypt's then upper house of government… was at once a religious and liberal man.

"He rather doted on me as I was the smallest of the family. And after my mother died — she died when I was three years old — he pampered me a great deal. It is a gift of God that I remained very straightforward." (Clearly meaning that she did not become a spoilt and self-indulged child, as is often the case in such circumstances!)

The death of her mother, she believes, affected her deeply. "I have always been calm. I was never naughty as a child. I can still remember her," She was, in short, a serious girl for whom study held more attraction than playing. She recalls preferring to listen to religious anecdotes and moral stories than the more usual children's fairy- tales. Religion to her was about love and compassion.

II
Overview

family and survivors, who were not aware of the need to inform you of her passing away - over four years ago. Without an obituary it seems, there was no listing...

I hope that in taking this initiative to write to you, Professor, it may now be possible to make amends and duly update the registry to include her as a worthy Fellow of the RCP. As far as I know, she is one of the few women from outside the UK / Europe to earn access to this prestigious institution – especially, back in the forties, in the immediate post-war years, when the exams for admission were far tougher, more rigorous and competitive, and RCP membership constituted a rare privilege, indeed. I was a toddler at her heels at the time, and I would like to have it known for the benefit of posterity that this did not keep a young and devoted mother from striving and succeeding where few could brave it through.

In documenting her biography I hope to be taking up a modest role in rendering her memory an inspiration to a future generation, much in the same way in which her lifetime role and pursuits were meaningful and inspiring to the many whose lives she touched. I feel this is the least I could try to do for her, in keeping with her own example and spirit. She would not have liked to consecrate her own memory in itself, as she was always keen to avoid the limelight, shunning publicity, too busy with the enormity of the charge of serving the poor, the sick, and needy, battling the endless hurdles in the way of improving the lot of a world in turmoil, always doing so without much fuss or flurry, working modestly, quietly, persistently, intelligently, gently, behind the scenes, one step at a time, tending to a labor of love, with the right balance of gentle determination and focused resolve... In short, she sought neither wealth nor fame: rather, it was quite the reverse, where it was fame and wealth that sought her out...and she used both adroitly enough to serve the constituencies to which she had dedicated her learning and skills. So, it is in this spirit, that I too hope to undertake a daunting task, not to celebrate the accomplishments and uphold the memory of my mother as an end in itself, as worthy and dear to my heart as such aims are, but rather so that a role model and example might be held up to a generation that is in dire need of such models in our troubled and confused age.

In response to the above query, Professor Gilmore kindly responded with the following note, and shortly thereafter, the oversight was rectified. Dr. Abdin's name has since graced the registry of the Royal College of Physicians.

Mon, 29 Jan 2007 12:07:08 -0000
From: "Ian Gilmore" <Ian.Gilmore@rcplondon.ac.uk>

Dear Professor Fadl,

Many thanks for your email and for the moving account of your mother's remarkable achievements. Although I do not have all the information yet, I suspect that the college had not picked up on her sad death properly, and I very much hope that we will be able to include her in Monk's Roll. I will make the necessary enquiries.

Your mother had the most distinguished of careers and you should be very proud of her. We are honoured that she was part of this college.

Kind regards.

She was an outstanding clinician and a first rate academic researcher and scholar, a teacher loved by her pupils, and an inspiration and model to countless others. Her public outreach and philanthropy extended to wide and varied constituencies of potentially underprivileged and neglected sectors of the population including, besides poor and sick children, widows and orphans, the lonely and elderly, and itinerant students. Her contribution to the betterment of society included a holistic concept of health and wellbeing that took her to the more general field of education, where she broke new ground with a chain of model Islamic Language Schools.

At the behest of the Ministry of Social Affairs, Dr. Abdin presided over the Young Women's Muslim Association, Egypt's equivalent of the YWCA - coming to the rescue of what was an ailing institution at the time and leaving it anchored and sure-footed nearly twenty years later. In recognition of her administrative skills and proficient institutional and social work, she was awarded the Republic's Order of Merit of the First Degree, one among many others to follow in later years, consistent with a pattern that had marked a distinguished career of public service and excellence from its beginnings when she came out top of class 1936 in the Kingdom among the thousands graduating their secondary education at the time. From thereon, her maiden appointment to the staff of the venerable college, another 'first' of its kind step in the history of the school, would open the way to women medical doctors to go into teaching. In 1991 she was the first woman from outside Europe to receive the prestigious Elizabeth Norgall Prize, likewise opening the door for other nominations and awards from the Middle East.

The woman whose towering strength and resolve were matched only by an inexhaustible fund of love and compassion that embraced all, beginning and ending with a consuming passion for the weak and helpless and downtrodden, would pursue her life guided by the strength of her convictions and nourished by the depth of a spirituality that fed both her mind and soul. She led by example and practiced what she preached in pursuit of restoring the medical profession to its original vocation of being the business of selfless and soulful agents, earthly angels of mercy, who walked the earth. By the time she passed, she had stoically survived the trials and tribulations of a decade of sorrows and reverses signaled in by the onset of a self-diagnosed breast malignancy in 1992 and punctuated by recurring visits to the emergency room until finally her frail body caved in to release her to return to her eternal home. More than the hospitals, schools, charitable institutions and foundations she built in a life-time of sacrifice and struggle, and unremitting love and giving, she left behind her a legacy and a model that speaks to the needs of the many communities whose fate were touched by her grace.

I was understandably surprised when I recently checked out your reputable registry, the Munk's Roll, and found no mention of Dr. Abdin. A search under alphabetical listings did not yield up any results, nor was the chronological search by year of award of degree, whether in 1948 (MRCP) or in 1978 (FRCP) any more helpful. It was then that I realized that somehow this oversight must reflect a failing on our side, her immediate



Hon Doc of Medicine- Master of Divinity-Edinb 1980

The following synopsis is excerpted from a recent exchange with the Registry of the RCP...when it was accidentally discovered that somehow, her passing and obituary – some nearly five years ago, had been missed.

Zahira H. Abdin (June 1917 – May 2002) D.C.H (Cairo), MRCP (1948) FRCP (1976) Hon M.D.(Edinburgh, 1980)

...Dr. Abdin, a pediatrician and rheumatic heart disease specialist, was a most remarkable woman whose prolific accomplishments during a long and fruitful life of devoted public service and professional excellence have not gone unacknowledged, both in her home country and internationally. In Egypt she was awarded the honorary title of Mother of Egyptian Doctors by the First Lady in an official ceremony in the early nineties. (I believe it was on occasion of a centennial celebration of the founding of the medical school in Egypt) and earlier, in 1980, she was awarded an honorary MD (Master of Divinity) by Edinburgh University.

She pioneered the field of social pediatrics in the Middle East in the fifties as part of a relentless and comprehensive campaign against rheumatic heart disease, which was one of the leading causes of mortality among children at this time. Less than two decades later, the incidence of fatalities from rheumatic heart disease has dropped from 47 per cent to less than 3 per cent. The Chair of Social Pediatrics was established in the Aburreesh Children's Hospital, Kasr al Aini, in recognition of her work.

The founding of the Dubai Medical College (DMCG) for Girls 20 years later, in 1986, came as a crowning glory to many other foundations and institutions she had set up in the intervening years: most notably, the Free Pyramid Rheumatic Heart Center and its offshoots in schools of medicine throughout Egypt and the Child Health Institute, in Dokki Cairo. The DMGC was noted for its innovative program combining the best of both professional and ethical ingredients in its curriculum, and it was promptly accredited regionally and internationally, by the time it graduated its first batch of students in 1991.

I

Preview

It is on this note too, that I would like to acknowledge all those who contributed to enlightening the burden of work undertaken in difficult circumstances, most notably to those wonderful souls who responded to a last minute request to contribute a written thought, Gray Henry and Mary Donald, adding unique and invaluable input – including personal photos that I have reserved for the biography ; five years earlier Safiyya Soliman on a visit to Cairo and Abdullah Schleifer residing in Egypt had responded to a family request to contribute a word or share an experience with the participants at the memorial service; Dr. Kaplan shared some of his treasured memories and opinions of Dr. Abdin in e-mail exchanges with the family and phone conversations. Without a prompt response to much needed assistance in other forms and ways, this compilation would have been less than complete and the task even more arduous. I would like to acknowledge these gracious efforts beginning with Professor Nasr Arif, Dr. Heba Khalil, Siddiq Ali, my nephews engineer Abdel Monem and Ibrahim Omar, and Dr. Mahmoud Hefnawi, my friends and members of the Riwaqee Circle, notably Fatma Hafez and Khadeeja Kamaleddin. In my solitary confinement, Obay Altaleb gave generously of his time and skills to assist in getting a camera ready version that would expedite publication and Saber alKilany spared no effort to pitch in a timely manner on personal and technical matters. Samir al Tobgy has proved his mettle as always, and to him I owe a special thanks. To those and many others whom I may have missed, or not mentioned by name, I am much obliged. The work however, accomplished as it was in difficult circumstances, involved many critical editorial decisions, priorities, oversights, and compromises which were taken out of duress, but with an earnest intent and resolve to see it through. All responsibility ultimately remains my own.

Needless to say, without the unflinching encouragement and the moral support of my dear husband and without her beloved spirit and presence that inspired and sustained me throughout from Beyond... none of this would have been possible. May God bless all ... and may He in his enduring Bounty and Grace sustain me through his all embracing Compassion, Mercy, and healing power and– if He so wills – grant me that lease on life to complete a project that remains dear to my heart...that her memory may live on to inspire and instruct generations to come.

Mona Abul-Fadl
Reston, Va. February 2008

to balance the personal and the institutional, within the given constraints. I felt that this would be a substantial addition to the English section, and make up for its relative limitations, without detracting from the Arabic whole. Many have pressed for an Arabic version, but again, I respond with a hope to supplement with an online electronic version at some point, rather than delay the work at hand.

And again, it is important to keep in mind that neither the Arabic nor English sections of the present volume is a biography, but it constitutes a significant collection of scattered material and documentation, some of which is researched, others news briefs, reportages, comments and remembrances by those who knew her or worked with her, and a few rare interviews with doctor Zahira herself in her lifetime, especially the latter part – for she was especially talented in dodging the press – in a typically tactful manner – for she was too busy working in the quiet, out of the limelight, getting things done. Her ambitions for herself were not of this world. As a contribution to the Golden Jubilee of the Association of Friends of Children with Rheumatic Heart Disease, it is being published as a Memorial Volume in two parts, the first, which is the present one focusing on the Founder, and hopefully the second to follow on as a collaborative effort with some research and a more detailed overview of the institutions.

Given the comparatively modest technical facilities in dealing with Arabic text electronically, it took some effort to scan the clippings and make them appropriate for a Word processing format. Other material that was received while working belatedly on the text in my home in Virginia under restrictive health conditions and virtual immobility arrived in scanned format and took me as editor literally hours manually processing it as word documents - though by no means a qualified Arabic typist myself, it was the only available and reliable option in the circumstances for lack of accessible personnel and technologies. I had absolutely no intention of trying to cope with an internet exchange in the lethargy of a Cairo summer, not if display copies were to be made available for the upcoming Memorial Convention at the beginning of September. And though arduous and time consuming, it was a commitment followed up between chemo sessions and recurring health crises, but ultimately indulged in as a labor of love.

Zahira H. Abdin, Mother of Egyptian Doctors comes as a tribute and testimonial not only to its distinguished and beloved subject, but it is an inclusive tribute that is extended to all the noble and honorable individuals who had at one time known Dr. Abdin in one capacity or another and volunteered to share a memory, an experience, a reflection, a treasured moment or a long forgotten situation. On behalf of Dr. Zahira's family, and on my own behalf, I wish to thank them for the spirit and integrity with which they penned their thoughts. I personally learned so much from them, some of them were rehearsals of things I had known, but for which I had no 'documentation,' others contained wonderful revelations that brought my dear mother live to me as one who had lived for so many years physically apart from her … though spiritually we were never closer… and, despite some inevitable repetition, most of the reports, articles and interviews came with fresh and welcome perspectives – all of which enhanced the value of the relatively modest collection at hand and gave incentive to its publication.

you approached it. It would be a study that would go beyond a conventional biography, and would take more than one volume to address.

The volume at hand is a modest preliminary to the task envisaged. It brings together, under one roof, a collection of articles, interviews, reflections from diverse occasions, including mostly press and journals or magazines. The bulk of this collection is found in the Arabic section which constitutes the mainstay of the volume. The original clippings were taken from the Ahram Archives in Cairo in 1998 upon the founding of the Zahira Circle of Friends in Cairo, an outreach for the Zahira Abdin Chair of Women's Studies set up in the Graduate School of Islamic and Social Studies in the United States, and later transformed as an independent Association for Studying Women in Civilization (ASWIC). This was an eclectic collection that started with the sixties and covered the early nineties with gaps in the intervening decades. This was supplemented by clippings from other sources and the obituaries and articles that were published after her passing, as well as by some of the available printed and transcribed material that she had authored. Part I brings together the presentations that were delivered by colleagues, family, and friends at the memorial held at the Egyptian Doctors' Syndicate in June of 2002. The collection is by no means exhaustive, and there are audio and video tapes that have still to be transcribed, or made accessible in some form, as well as many not yet completed interviews with some key figures who have known her and are still alive that I would have liked to include. However, this will be left to a supplement for another day, perhaps, but I feel that, for all its limitations, there is enough at hand to make this edition worthwhile to go into press, for the benefit of those interested, and to put an end to further procrastination.

The English section is far more limited in the amount of contributions, but they come through as deeply textured pieces. It comes in a different strain and tenor from the Arabic, but neatly complements it. It is more personal, there is a touch of intimacy in some of the contributions included, and all come packed with insight and bring new perspectives. This equally applies to the sketch-pad notes added at the end as an appendix –as in the "Biography in the Making" – which is included from a wider cluster of files on the subject, with the purpose of giving the interested reader that in-house, workshop feel that goes into crafting a biography, as well as a foretaste of one of the two versions of a forthcoming work – an English version that is being written in a more personal vein at the interstices of the biographical and the auto-biographical in a new take on the author is tapping into as a new genre of "siratographia" – or civilizational and intercultural writing. The other version will be in Arabic and involves a group effort experimenting at a somewhat more advanced level within that latter school of methodologies.

Bridging the Arabic and English sections is the Photo Essay: "More than Words can Tell." It was originally conceived as an Album closing the Arabic section, with a selection of individually captioned photos with the conventional brief description. The idea of turning it into a narrative interweaving the personal and public life-story of Dr. Abdin and the Institutions she founded was triggered as I reflected upon the selection and read into it a synoptic overview of a life-track and an essence. The challenge was

Foreword

Umm al Atibba' Dr. Zahira Abdin: A Tribute and Testimony Founder and Foundation I

The present compilation was put together for the celebrations of the fiftieth anniversary of the Association of the Friends of Children with RHD, which was the first and major foundation established by Dr. Zahira H. Abdin at the outset of a career that marked a new departure in professional philanthropy. From the start this foundation became an umbrella for a variety of social, charitable, and developmental services in fields that went beyond health. In fact, these expanded services were anchored in a holistic concept of health that evolved into a practical vision of reform extending to various constituencies from the grassroots up and targeting women and children for focus and agents of change, with an eye on the future and the generational impact. This may have come as a natural inclination to a clinical pediatrician who combined to her exceptional training, intelligence, sheer common sense and professional skills a deep compassion and human sensitivity that sensitized her to her young patients' plight and carried her concerns to investigating their family and social conditions, turning her into a world class pioneer of preventive medicine and social pediatrics since the turn of the mid-twentieth century. She was internationally and regionally recognized for her pioneering initiatives in the medical and human / social field, particularly for her work in the prevention of rheumatic heart fever among children, and received many awards in Egypt that covered her work in the medical, social, and educational fields, crowned by electing her Mother of all Egyptian Doctors in the early nineties by her colleagues and students in the medical syndicate and endorsed by Egypt's First Lady, Mrs. Suzanne Mubarak. One of the most distinctive nominations and awards as Honorary Doctor of Medicine had come ten years earlier from one of the oldest and most reputable European medical schools, Edinburgh University – an M.D. or Master of Divinities, that is the highest honor awarded a layman for using his professional skills and aptitudes for the service of humanity (or for public service) – combining thereby ethics to professionalism among their criteria for worldwide nominations.

While it was naturally gratifying to be recognized and acknowledged by distinguished institutions and honorable and appreciative colleagues, Dr Abdin was a woman on a call living her entire life, through sickness and health, in the shadows of a self-dedicated mission set on serving the constituencies she served, particularly the underprivileged, and she served with her eyes set on the rewards and pleasure hailing from beyond this world. The more one learned about the life of this woman, the more one realized that it was a life that was worth a close study that could be undertaken from many perspectives and angles, and be just as instructive and new, whichever way

CONTENTS

Note. This book is published as part of the proceedings of the Golden Jubilee of the Association of Friends of Children with Rheumatic Heart Disease. It was presented as an ASWIC contribution at the Socio-Cultural Forum of the conference "An integrated Approach to the Child with Heart Disease" held in Cairo, Egypt, in September 2007 on World Heart Intern'l Day and co-sponsored by the World Heart Federation and the AFCRHD. Its theme is part of an ongoing ASWIC project on women, culture and community: *al umm ummah*. The Memorial Volume however is published independently of ASWIC.

To the sweetest name in all Eternity
To… Mother

"The candle burns brightest in the dark"



Mona Abul Fadl (born 7 November 1945 /Dhu'l Hijjah 1, 1364) Cairo, Egypt, grew up between two cultures, with the greater part of her childhood spent between England and Egypt. She received her doctorate from London University and went on to earn her professorship at Cairo University. For the past 20 years she has resided in the United States. Her versatile interests cover a range of topics from Islam and the Middle East to political theory, epistemology, cultural studies and feminist scholarship. She is also active in intercultural dialogue and piloted a project on Western Thought at the International Institute of Islamic Thought. As incumbent of the Abdin Chair for Women and Gender Studies at Cordoba University (/GSISS), she pioneered a project on Muslim Women's Studies and founded the Association for Studying Women in Civilization. She writes and lectures in English and Arabic and the following include some of the English titles she has contributed to the field: Alternative Perspectives: Islam from Within, Where East Meets West: An Agenda for the Islamic Revival, Toward Global Cultural Renewal, Islam and the Middle East: The Aesthetics of an Inquiry, Contrasting Epistemes: Tawhid, Social Science and the Vocationist, Paradigms in Political Science Revisited, Cultural Parodies and Parodizing Cultures, Agency, Morality and Responsibility: An Islamic View of Man, Revisiting the Woman Question: Tawhidi Perspectives.

The Association for Studying Women in Civilization (ASWIC) is a non-profit organization that was established in Cairo in 1999 in accordance with Law 32/ 1964. It seeks to raise awareness about the status and potential of Muslim women by conducting historical research, academic and field studies and through organizing seminars and workshops. ASWIC's activities and inquiries draw on intellectual premises and sources of Islamic culture and civilization. Its perspective emphasizes the link between past and future, spirituality and materialism, divine revelation and empirical knowledge. ASWIC aims at enhancing women's role and status in contemporary society and at protecting and safeguarding the family and social structure. It seeks justice for women on the understanding that women are a sure access for social development and reform. ASWIC operates through two principal units. The first is the academic unit which promotes and conducts research and study projects combining a focus on women's heritage and contemporary status through critically engaging historical Islamic texts and current literature in the field. The second is the community oriented socio-medical unit whose main concern is to improve the physical and mental health of women and the family. It works in a tradition of social and preventive medicine pioneered by the Mother of Egyptian Doctors, Zahira H. Abdin.

The series on Contemporary Muslim Women's Studies includes the following titles: (Arabic w English Abstracts)
A Century of Women in Arab Culture and Society: An Analytical Bibliography; Women, Waqf, and Development; Women's Discourse or Contemporary Arabic Discourse - Proceedings of a Seminar on Aicha Bint al Shati'; Centennial Discourses: The Veil Unveils – Muslim Women and the New World Order; Muslim Women at the Dawn of a New Century: Reports from the ASWIC Archives; Towards Understanding Gender in the Middle East & Other Essays; Mother of Egyptian Doctors Zahira H. Abdin: Tribute and Testimony

ASWIC

ASSOCIATION OF FRIENDS OF CHILDREN WITH RHEUMATIC HEART DISEASE 1957 - 2007

FOUNDER and FOUNDATION

VOLUME I

MOTHER OF EGYPTIAN DOCTORS ZAHIRA H. ABDIN: 1917-2002

TRIBUTE and TESTIMONY

Compiled and Edited by

Mona M. Abul-Fadl (Ph.D.)
Abdin Chair for Women Studies
Association for Studying Women in Civilization, Founder

First Edition

Dar al Kutub – BIN 23492/2007

Subject Index
Women in Egypt - Women in Islam - Arab Women –
Social Pediatrics – Medicine in the Arab world - Biographies -
Charities and Voluntary Organizations – 1.Title – 2. Series

MOTHER OF EGYPTIAN DOCTORS

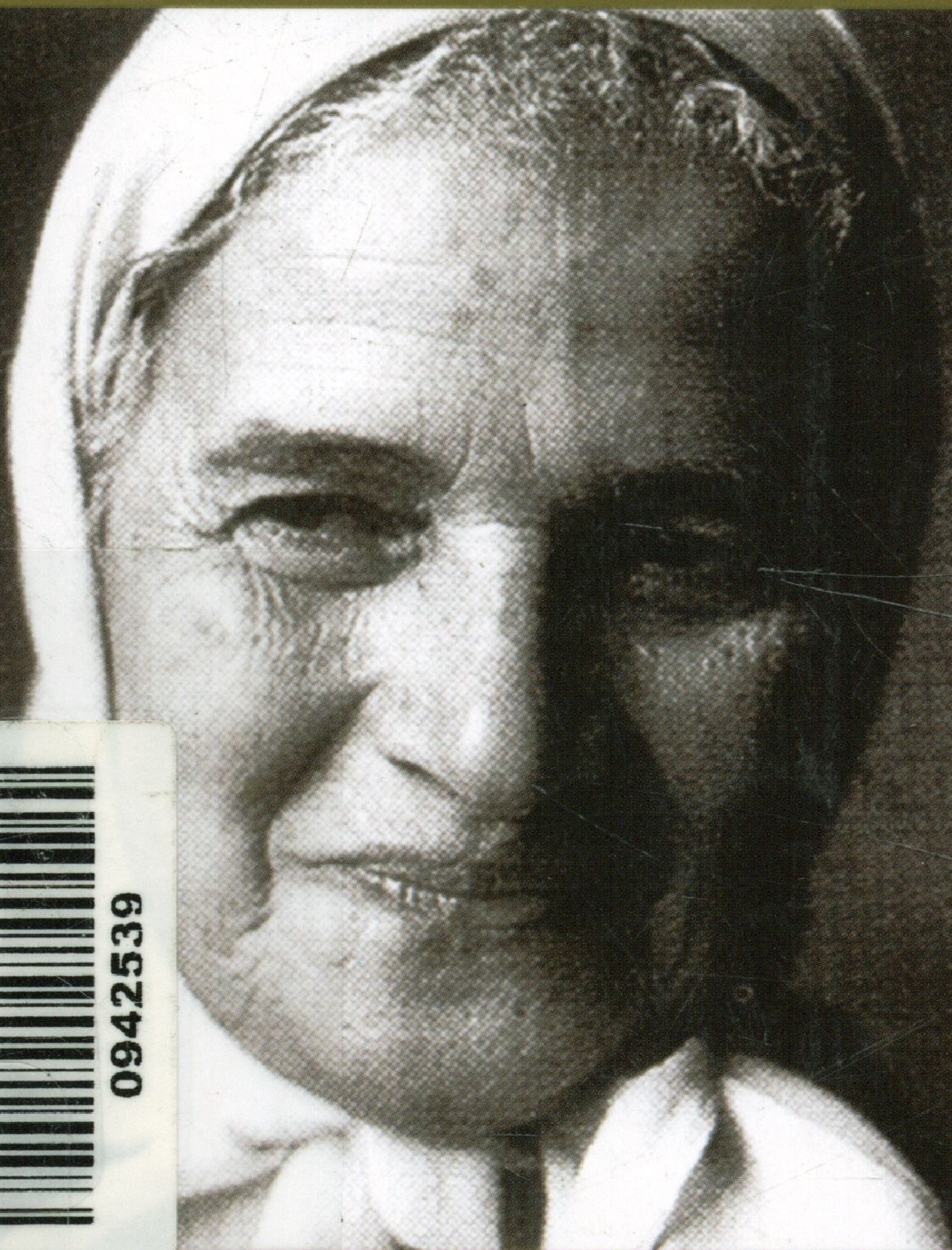
ZAHIRA H. ABDIN

TRIBUTE and TESTIMONY



Association for Studying Women
in Civilization (ASWIC)
Studies on Women in Islam No. 5

MOTHER OF EGYPTIAN DOCTORS



ZAHIRA H. ABDIN
Tribute & Testimony

GOLDEN JUBILEE
ASSOCIATION OF FRIENDS OF
CHILDREN WITH RHEUMATIC
HEART DISEASE
1957 - 2007

FOUNDER & FOUNDATION
VOL I



Compiled and Edited by
Mona M. Abul Fadl (Ph.D.)
Zahira Abdin Chair for Women's Studies